سلسلة شروحات ومؤلفات معالي الشيخ (٣٢)





لمعالي الشيخ

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته

جمع وإعداد الفقير لعفو ربه ورضاه

عادل بن محمد مرسي رفاعي

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته والمسلمين

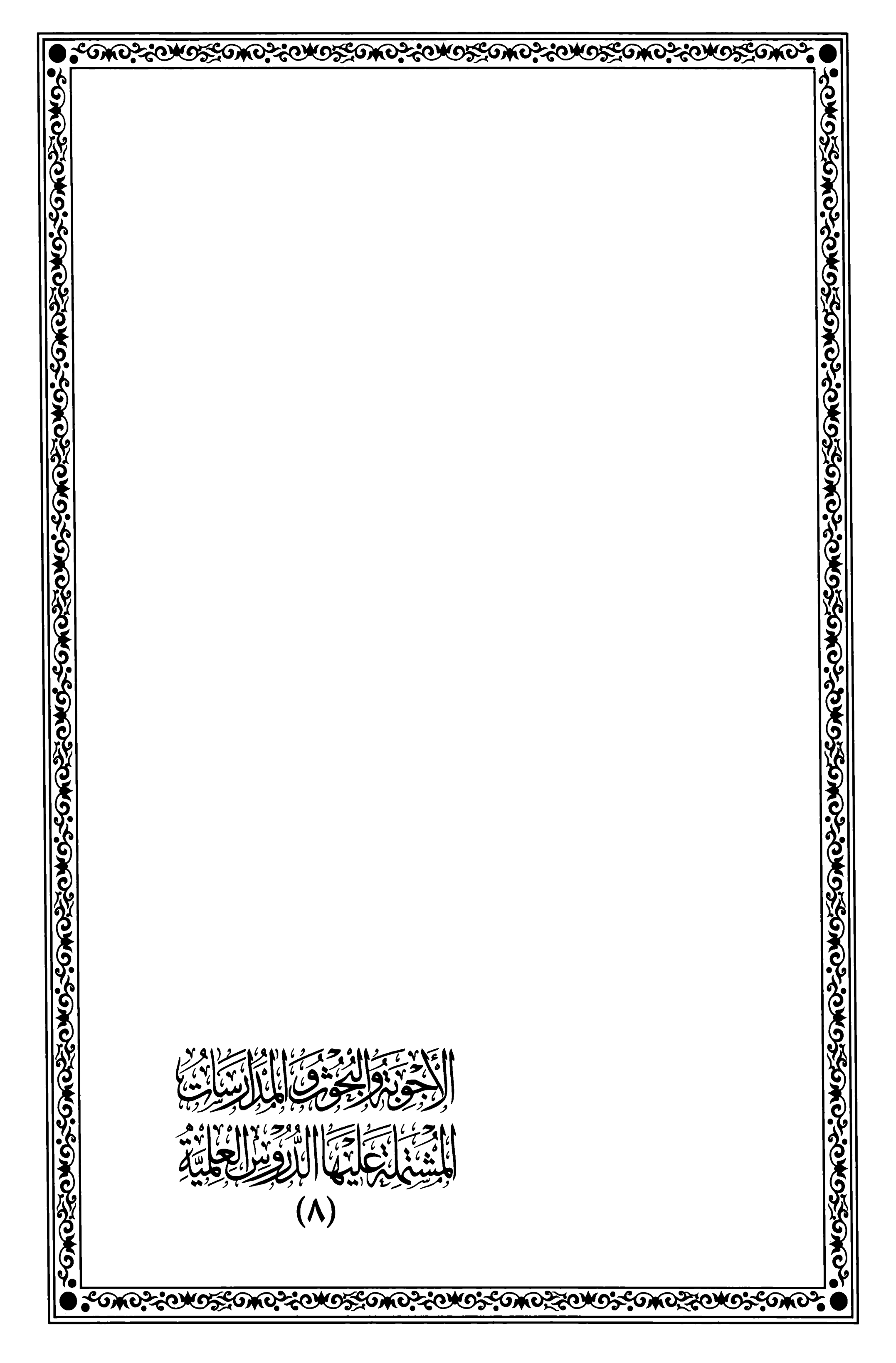
المجلد الثامن

التفسير وأصوله - اللغة والبلاغة

التفسير وأصوله - اللغة والبلاغة



مكتبة دار الحجاز
للنشر والتوزيع



الأجوبة والبحوث المدارسات
المشتملة عليها الدروس العلمية
(٨)

ح عادل محمد مرسي رفاعي ، ١٤٣٦ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل الشيخ ، صالح عبد العزيز محمد

الاجوبة والبحوث والمدارسات المشتملة عليها الدروس العلمية. / صالح عبد العزيز محمد ال الشيخ ؛ عادل محمد مرسي رفاعي - الرياض ، ١٤٣٦هـ

٨ مج.

ردمك : ٩-٨٢٧٤-٠١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٤-٨٢٨٢-٠١-٦٠٣-٩٧٨ (ج٨)

١ - العلوم الشرعية - مجموعات ٢ - الفتاوى الشرعية - اسئلة وأجوبة أ. رفاعي ، عادل محمد مرسي (محقق) ب. العنوان

ديوي ٢١٠,٨ ١٤٣٦/٥٢١٩

الطبعة الأولى

طبعة عام ١٤٣٦ هـ

مكتبة دار الحجاز

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض - حي سلطانة شارع حنين - بجوار جامع شيخ الإسلام ابن تيمية

الإدارة والمبيعات جوال - ٠٠٩٦٦٥٦٧٣٣٤١٧ - ٠٠٢٠١١١٦٨٩٩١٠٠ - ٠٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣

الإسكندرية - ١٧٥ ش طيبة سبورتنج بجوار مسجد الصديق هاتف: ٠٣/٥٤٦١٥٨٣ - جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥١

القاهرة - ٦ ش المدرسة متفرع من ش البيطار - خلف الجامع الأزهر الشريف - هاتف: ٠٢/٢٥١٠٧٤٧٢

جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥٠ - البريد الإلكتروني: d.alhijaz@gmail.com

سلسلة شروحات ومؤلفات معالي الشيخ (٣٢)

الأجوبة والبحوث والمدارسات المشتملة عليها الدروس العلمية

لمعالي الشيخ

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته

جمع وإعداد الفقير لعفو ربه ورضاه

عادل بن محمد مرسي رفاعي

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

المجلد الثامن

التفسير وأصوله - اللغة والبلاغة

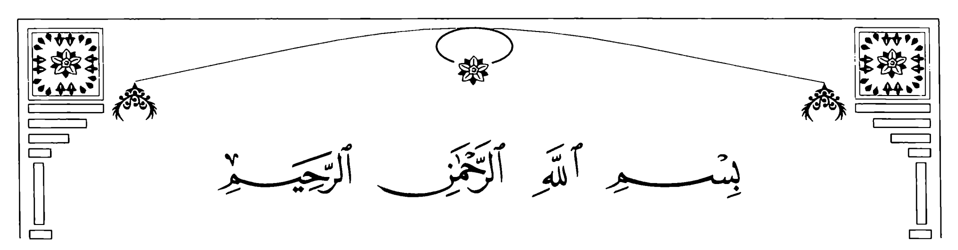


بسم الله الرحمن الرحيم

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على خاتم النبيين محمد وآله وصحبه وبعد:

فقد أذنت لتلميذنا البار وابننا القلبي
الشيخ عادل محمد مرسي بأن يطبع المجموع
المسمى «البحوث والمدارسات» بعد أن
جمعه وتولى ترتيبه وتصحيحه، وأطلعني
عليه بعد تمام الفراغ منه مصححاً ومرتباً،
فشكرت صنيعه وفقه الله وجزاه
خير الجزاء عن العلم وحملته، وعني، لما أفاد
ما صنع والحمد لله رب العالمين، وكتب أفقر
الورى صالح بن عبد العزيز آل الشيخ بالرياض في ٢٦/٥/١٤١٥



س١: ما المقصود بـ(مِنْ) في قوله ﷻ ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]؟

الجواب: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] المعقبات هنا: الملائكة الذين يتعاقبون على العبد؛ لأن العبد موكل به ملائكة، منهم ملائكة للكتابة - كتابة أعماله -، ومنهم ملائكة لحفظه، وهؤلاء الملائكة يقال لهم: المعقبات، وقوله ﷻ: ﴿مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾ قال بعض العلماء: هم أربعة: اثنان من بين يديه، واثنان من خلفه ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ (من) هنا اختلف فيها المفسرون، بعضهم أجرى (من) على معناها الأصلي، وقال: إن معنى الآية: يحفظونه، وذلك الحفظ له من أمر الله، وهؤلاء أيضًا اختلفوا، فقال بعضهم: (من) هنا على معناها الأصلي، ويحفظونه: قدّر وحفظهم له من أمر الله، وليس من تلقاء أنفسهم، ولكن الله ﷻ أمرهم بذلك، وقال آخرون - الذين قالوا بأن (من) على معناها الأصلي -: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾؛ كما قال ابن عباس ﵄ وغيره: فإذا أتى قدر الله، خلوا ما بين العبد وبين قدر الله، يحفظونه من المرض، فإذا أتى أمر الله - الذي هو الأمراض -، أمر الله ﷻ الكوني - الذي ذكرت - بوقوع الآفات، أن يقع له حادث، أو يعتدي عليه أحد، فالملائكة تحفظه من ذلك الشيء، تحفظه من أن ينتقل له المرض، تحفظه أن يصاب بهذا الشيء، تحفظه من ذلك ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ يعني: مما سيصيب العبد لو تركته

الملائكة، يعني: الذي هو من أمر الله الذي يحدث في ملكوته، فوجود الأمراض، والآفات، والمصائب، ووجود ما ينغص على العبد هذه كلها وقعت في كون الله بأمره، فالملائكة تحفظ العبد من هذه الأشياء، التي هي من أمر الله، هذا قول الذين أبقوا (من) على معناها.

وآخرون قالوا: (من) هنا بمعنى الباء، يعني: يحفظونه بأمر الله، وهناك من يقول بالتضمين - طبعًا وهو الأصح -، وتكون هنا يحفظونه من أمر الله، بمعنى (من) الأصلية، أي: يحفظونه، وذلك الحفظ والحراسة من أمر الله، وليس من فعل الملائكة وحدهم من جهتهم، دون أمر الله لهم(١)، هذا فيه بيان فضل الله على العبد ونحو ذلك، والله أعلم. [**شرح العقيدة الواسطية**]

س ٢: هل هناك دليل على أن الحسنى هي الجنة؟

الجواب: نعم، قول الله ﷻ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النحل: ٦٢]. [**شرح العقيدة الواسطية**].

س ٣: عن آية آل عمران، أهي في الدين، أم في الدنيا؟ وهي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

الجواب: هي في الدنيا. لماذا؟ لأنه قال: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٣] ما كان الرجل من الأوس مع الآخر من الخزرج متآلفين متحابين، ما كان يرضى الرجل الذي في المدينة -مثلًا-

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٦٦٢)، والبغوي (١/ ٢٩٩)، والطبري (٧/ ٣٥٠)، والقرطبي (٩/ ٢٤٧)، وزاد المسير (٤/ ٣١٠، ٣١١، ٣١٢).

الذي من الأوس، أو الخزرج أن يأتيه واحد من قريش، ويسكن مكانه، ما يرضى، لو يأتي ويفعله، ربما فعل به وفعل، فكان هناك عداوات فيما بينهم، ما بينهم تآلف، ولا تحابٌّ، فأمر الله ﷻ بأن نعتصم بحبل الله جميعًا، ولا نتفرق يعني: في الدنيا. **[شرح مسائل الجاهلية]**.

س ٤: هل تفسير زبدة التفسير اختصار لفتح القدير، ومختصره هو الشيخ محمد الأشقر؟

الجواب: إنه تفسير رأيت منه مواضع، قرأت منه في مواضع، فألفيته تفسيرًا جيدًا، قد نظرت بعض المواضع التي زلت فيها قدم الشوكاني رحمه الله، فتحاشى ذلك الزلل، وعبر بعبارة جيدة، مع أنه مختصر له، فلم يبق عبارة الشوكاني في بعض المواضع، ولا معنى ما يريد الشوكاني، بل قرر الحق في بعض المسائل منها، ويمكن أن ترجعوا، وتقارنوا ما ذكره عند قوله سبحانه وتعالى في أول سورة الأنبياء: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾ [الأنبياء: ٢]، فإن الشوكاني رحمه الله في هذه المسألة لم يفهم ما كان عليه السلف الصالح في مسألة خلق القرآن، فأتى بقول من جنس أقوال أهل البدع، فتحاشاه المختصر - الشيخ الأشقر -، وهذا يدل على عناية بالأقوال التي زل فيها قلم الشوكاني. **[شرح مسائل الجاهلية]**.

س ٥: ما كتب التفسير التي تنصح بالرجوع إليها؟

الجواب: كتب التفسير - والحمد لله - كثيرة، لكن يحرص طالب العلم وصاحب التوحيد والسنة والعقيدة الصحيحة على أن يرجع إلى الكتب التي يأمن فيها على اعتقاده؛ لأنه قد يدركه الخلل من حيث لا يشعر، وهذه الكتب - الحمد لله - كثيرة، مثل: تفسير عبد الرزاق، وتفسير ابن أبي حاتم

وتفسير ابن جرير الطبري، وهو أعظم التفاسير، وأجلها شأنًا، ومثل: تفسير البغوي، ومثل: تفسير ابن كثير، وكذلك تفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، رحمهم الله جميعًا. **[شرح مسائل الجاهلية]**.

س ٦: ما صحة من يقول: الحروف المقطعة في القرآن: إنها مما استأثر الله بعلمه، والسلف يفوضون علمها إلى الله؟

الجواب: ما أعلم هذا القول، لكن الأحرف المقطعة من السلف من

قال: الله أعلم بذلك، ومنهم من قال: ومنه ما استأثر الله بعلمه، والله أعلم بحقيقة ذلك[1]. **[شرح مسائل الجاهلية]**.

س ٧: هذه الحروف في أوائل السور ما معناها؟

الجواب: هذه الحروف في أوائل السور تسمى: الحروف المقطعة، الراجح في معناها أنها للإشارة إلى أن هذا القرآن كلماته متألفة من جنس هذه الأحرف، وإذا كان كذلك، وهذه الأحرف هي التي يتكلم العرب بها، ويؤلفون بها كلامهم، فإن ذلك يدل على أن القرآن معجز.

يعني: أن يقول للناس: هذا القرآن مكون من هذه الأحرف، التي تتكلمون بها، وتنشئون بها كلامكم، وليس من أحرف أخر، ومع هذا أنتم لا تستطيعون أن تأتوا بمثله، ولا بمثل عشر سور، ولا بمثل سورة منه، وهذا يدل على عظم الإعجاز، ويدل على هذا التفسير الاستقراء، والاستقراء أحد أوجه الأدلة التي ينبغي العناية بها، فتجد أن معظم السور التي في أولها

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٦١)، والقرطبي (١/ ١٥٤، ١٥٥)، وزاد المسير (١/ ٢٠، ٢١، ٢٢).

الأحرف المقطعة يعقبها ذكر القرآن، أو الكتاب؛ قال ﷻ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ١-٢] ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران: ١-٣] ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ [الأعراف: ١-٢] ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، وقال الله ﷻ: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [يوسف: ١]، وقال ﷻ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [السجدة: ٢] وقال ﷻ: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢] ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [قٓ: ١].

إذًا أكثر السور التي ابتدأت بالأحرف المقطعة يعقبها ذكر الكتاب والقرآن وهذا يدل على أنه متكونة كلماته من هذه الأحرف، فائتوا يا كفار، يا من لم تصدقوا برسالة محمد ﷺ، ائتوا بمثل هذا القرآن، أو بمثل عشر سور مثله مفتريات، أو بمثل آية، وهذا فيه أبلغ الإعجاز، ولا يوجد في السلف من يقول: لا نعلم معناها، من يقول: الله أعلم بمعناها، بمعنى لا يعلم أحد معناها، أو يقول: الله أعلم، أما ألا يعلم معناها: فلا.

ولهذا تنتبه، فإنه من الأمور التي يشيع فيها الخطأ أن يقال: الأحرف المقطعة من المتشابه، هذه من كلمات الأشاعرة، ويريدون بالمتشابه يعني: لا أحد يعلم معناها، ما عندنا شيء في القرآن، ولا السنة لا أحد يعلم معناه، بل لابد أن يكون هناك طائفة تعلم المعنى؛ لأن العلم محفوظ، العلم بمعاني الكتاب والسنة محفوظ بحفظ الكتاب والسنة، فلا يجوز أن نقول: إن الأحرف المقطعة ليس لها معنى؛ لأن الله ﷻ أنزل القرآن، وأمر بتدبره، فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢]، ولم يستثنِ الله ﷻ آية من الآيات، ولا كلمة من الكلمات بالأمر بالتدبر، فأمر بتدبره، ويدخل في ذلك

الحروف المقطعة، وهذا يبين لك أن القول الظاهر الصحيح الثابت هو أن الأحرف المقطعة لها معنى على نحو ما أوضحت لك .**[شرح لمعة الاعتقاد]** .

س ٨ : الحروف المقطعة هل هي من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، أم يوجد من يعلمه من العلماء؟

الجواب : الحروف المقطعة اختلف أهل العلم فيها إلى اثني عشر قولًا ، وهذه الأقوال جماعها قولان :

القول الأول : أنه يعلم معناها .

القول الثاني : أنه لا يعلم معناها ، ومن قال : يعلم معناها اختلفوا فيها إلى أقوال، والصحيح أن معناها معلوم معروف، وأنه لا يقال: لا يعلم معناها؛ لأنها ذكرت - كما بينت لكم مرارًا - ذكرت للتحدي، فهذه الأحرف المقطعة ليست أوائل كلمات، وليس مجموعها يدل على أسماء الله ﷻ، وليست أسماء للسور - كما هي أقوال مختلفة في المسألة -، وإنما الأحرف المقطعة هي الأحرف التي ينشئ بها العرب كلامهم، والتي بها يفاخرون في إنشاء الأشعار وإنشاء الخطب، فإذا كان كذلك، فهذا القرآن من هذه الأحرف، تكلم الله ﷻ بالقرآن بلسان عربي مبين، فإذا كان كذلك، فتكلموا بمثل هذا القرآن، أو بمثل عشر سور مثله، أو بمثل سورة، والجميع عجزوا عنه، ولهذا: هذه الأحرف المقطعة الصحيح أنه لا يُقال: لا يعلمها إلا الله، بل هذه الأحرف المقطعة جعلت في صدر السور للتحدي، تحدي الكفار أن ينشئوا مثل هذا القرآن، الذي هو من هذه الأحرف. **[شرح الطحاوية]** .

س ٩: هل الحروف المقطعة أوائل السور من المتشابه؟

الجواب: نفس المسألة التي سألت عنها أنها هل هي من المتشابه، أو من المتكلم؟ هو في الغالب ينقل عن البحر المحيط، فتح القدير عن القرطبي والبحر المحيط.

الحروف المقطعة، السلف لهم فيها قولان: القول الأول: أن لها معنى يعلم، والثاني: أنه لا يعلم معناه، ومن قال: إنها مما يعلم معناها، اختلفوا في معناها على عشرة أقوال مختلفة، من هذه الأقوال - وهو أصحها - أن هذه هي الأحرف المعلومة وتصدير السور بها للدلالة على أن كلمات هذا القرآن من هذه الأحرف، وأن المشركين لا يستطيعون الإتيان بها، فهي للتحدي، وأيد ذلك بالاستقراء، فإن أكثر السور، بل جلها إذا افتتحت بالأحرف المقطعة، تبعها ذكر القرآن، أو ذكر الكتاب؛ كقوله ﷻ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة: ١ - ٢] ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ١ - ٣] ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف: ١ - ٢] ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾ [يونس: ١] ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾ [الرعد: ١] ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [قٓ: ١ - ٢] ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [صٓ: ١ - ٢]. . . ، إلى آخره فأيد ذلك بالاستقراء، أنه كلما ذكرت هذه الأحرف، تبعها ذكر القرآن، وهذا للدلالة على أن هذا القرآن كلماته وآياته من هذه الأحرف، ومع ذلك عجزتم عن الإتيان بمثله، أو بمثل سورةٍ منه، أو بعشر سور، وأما من قال: إنه لا يعلم معناه. فإنهم قالوا: - يعني: ما نقل عن السلف - إنه مما استأثر الله بعلمه، يعني: أنهم يقولون: الله أعلم بمعناها، استأثر الله بعلمه، يعني: الله أعلم بمعناها،

وهذا لا يعني أنها من المتشابه، ولكن يعني: أنهم لا يعلمون علمها، فهم بحسب ما يعلمون يقولون، هذه الله أعلم بها، يعني: لا يعلمون المراد بها، ومعلومٌ أن نفي العلم من الصحابة ﷺ أو من السلف لا يعني أنه لا يعلمها آخرون، فنفي بعضهم العلم لا يعني أن آخرين من علماء الصحابة ﷺ لا يعلمونها، وهم قالوا: الله أعلم، استأثر الله بها، لكن لم ينقل عن أحدٍ منهم أنه قال: إنه من المتشابه. لماذا؟ لأنه قد خاض فيها الصحابة ﷺ، خاض فيها الصحابة ﷺ بمعناها، والمتشابه قال الله ﷻ فيه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]، فلا يصح أنها من المتشابه، هذا بالإضافة إلى أن قولنا هو أن المتشابه المطلق لا يوجد لا يوجد متشابه، ما أحد يعلم معناه في القرآن، كلمة ما أحد يعلم معناها من الناس، حتى الأحرف المقطعة، لكن قد يقول القائل: الله أعلم، هذه استأثر الله بعلمها، يعني: لا نعلمها، قد يكون هناك من يعلمها، إلا إذا ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: استأثر الله بعلمها، فهذا يعني: أنه لا أحد يمكن أن يعلمها، أما إذا قال الصحابي: استأثر الله بعلمها، من أين له هذا؟ فهي إذًا للمعرفة بحال الصحابة، تنزل منزلة قوله: الله أعلم بمعناها؛ لأنه لا يعلم هو، هذا أحسن ما يحمل عليه ما روي عن أبي بكر ﷺ وابن عباس ﷺ وجماعة في مثل هذا المقام.

س ١٠: هل تفسيرها بالاجتهاد؟

الجواب: ما فيها نقل، إنما تفسيرها بالاجتهاد، واجتهادها صحيح، يعني: إذا سئلت عن آية، فقلت: الله أعلم، أفيكون معناه أنه لا أحد يعلم، أو الحكاية عن حالك أنت؟ عن حالك أنت فقط **[مجلس ٢٢/ ٥/ ١٤١٧هـ]**.

س ١١: ما معنى قوله ﷻ: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ فهل معناها أن النصارى إخوانٌ لنا؛ لأن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب؟

الجواب: ليس الأمر كذلك، بل المشركون واليهود والنصارى ممن لم يؤمن برسالة محمد ﷺ، عداوتهم ظاهرة لهذا الدين، ولنبينا محمد ﷺ، ولهذه الأمة، لكن الله ﷻ لما ذكر عداوة اليهود والمشركين قال: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ [المائدة: ٨٢]، وذلك لأن هذه الفئة منهم طائفة آمنت وقت الوحي؛ ولهذا قال ﷻ بعدها: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٢ - ٨٣]، فآمنوا بالله ﷻ، وبوحدانيته، وآمنوا بمحمد ﷺ فمن آمن من النصارى، فهو أخ لنا؛ لأن الإيمان عقد بين أهله: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبة: ١١]، وأما من لم يؤمن من النصارى، بل بقي على نصرانيته، فعداوته ظاهرة، لكن من جهة المفاضلة هو أقرب في الجملة من جهة العموم، أقرب من اليهود والمشركين وعداوته أخف من اليهود والمشركين، ولذلك كانت سيرة النصارى في تاريخ الإسلام ممن كانوا مع المسلمين، ولم يظاهروا عليهم بالعداوة، كانوا أخف من عداوة اليهود والوثنيين، لكن الآية لا يقال فيها: العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب؛ لأنها لم تثبت مطلق القرب - قرب النصارى - وإنما عللت، علل الله ﷻ ذلك بقوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ

قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، وبين أنهم آمنوا. [شرح مسائل الجاهلية].

س ١٢: ما تفسير الهم في هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤]؟

الجواب: الهم هنا: ما يقع في النفس من الخواطر، وقد يتبعه فعل، قد يتبع الهم النفسي الفعل، وامرأة العزيز همت نفسًا وفعلًا، امرأة العزيز همت بيوسف نفسًا وفعلًا، وأما يوسف عليه السلام، فلم يقع منه هم أصلًا، وهذا هو ما دلت عليه الآية في أصح التفاسير، وسبك الآية تقديره: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾، ولولا أن رأى برهان ربه، لهم بها، يعني أن الله عز وجل منّ عليه منذ البداية ألا يقع في نفسه شيء من الهم والرغبة فيها؛ لأنه رأى هذا البرهان، والبرهان أصح الأقوال فيه هو ما قام في قلبه من الإخلاص والتوحيد، والرغبة فيما عند الله، والإنابة إليه.

وهذا هو ما أخبر الله به في التعليل لذلك: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]، والمخلص هو المخلص الذي أُخلص لمن أخلص له، وهكذا كان يوسف عليه السلام، وهذا هو أصح الأقوال في تفسير الآية[1].

ومن أهل العلم من يقول: إنه هم بها نفسًا، ولم يهم بها فعلًا؛ لأنه رأى البرهان، وهذا ليس بقوي في التحقيق.

إذًا يكون معنى الآية، ولقد همت به نفسًا وفعلًا، ولولا أن رأى برهان

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٩/ ١٦٥- ١٦٧).

ربه، وهو توحيده، والإخلاص له، والخوف منه، ورجاؤه، لهمّ بها. إذًا هو رأى البرهان، ولذلك لرؤيته البرهان، وهو كمال إخلاصه وتوحيده، لم يقع منه ذلك الهم، وهذا هو الذي ينبغي أن يسار إليه في تفسير الآية، وهو ما رجحه عدد من المحققين من أهل العلم، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية، ومن المتأخرين العلامة محمد أمين الشنقيطي في تفسيره، وجماعة. **[شرح مسائل الجاهلية]**.

س ١٣: ما توجيه قوله ﷻ: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ٢]، حيث قال بعضهم: هي عشر ذي الحجة، مع أن عشر ذي الحجة الأفضل فيها الأيام، وليس الليالي؟

الجواب: (ليالٍ) التي أقسم بها هي جمع ليلة، وليلة مؤنث، وعشر مذكر، هنا لا ينعت المؤنث بالمذكر، ولهذا قالوا: وجب الإضمار، وجب التقدير، فالتقدير، وهو المحذوف الذي يناسب عشر، وهو المذكر، وهي الأيام، فيكون تقدير الكلام، والفجر، وأيام ليالٍ عشر، يقول: أيام عشر، أما الليالي تقول: وليالٍ عشرة: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦] وليالٍ عشرة، وأما الأيام، فإنها تختلف عن ذلك، هذا هو تقدير الكلام عند من قال: إنها قسم بالعشر الأوائل من ذي الحجة[١]. **[شرح مسائل الجاهلية]**.

س ١٤: قوله ﷻ: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨]، استدل بعض العلماء بهذه الآية على وجوب الإطعام، ولم يستدلوا على وجوب الأكل، مع أنه أتى بالأمر في الآية، أرجو منكم تبيين المسألة؟

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٣٩)، والطبري (١٢/ ٥٥٩).

الجواب: هذا صحيح، هو استشكال في محله؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦]، وقال ﷻ: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾، هنا هاتان الآيتان استدل بهما على أن السنة أن يقسمها أثلاثًا؛ لأن الإنسان له نصيب من الأكل من الأضحية، أو الهدي، والنصيب الثاني لمن؟ للقانع، وهو الفقير، البائس الفقير، الذي يلقي قناعًا على نفسه لأجل ألا يعرف من شدة الفقر والمسكنة، والثالث المعتر، وهو من يعتري الإنسان من الأضياف، أو من يُهدى إليه؛ لهذا قال الفقهاء - رحمهم الله -: يستحب أن يقسمها أثلاثًا - يعني الأضحية -، ويستدلون بهاتين الآيتين.

أما الوجوب، فأوجبوا الإطعام دون الأكل والهدية، وقالوا لو لم يطعمهم، لضمن ما يصح أن يكون طعامًا من اللحم، وهذا ظاهر؛ لأن الأضحية تقرب إلى الله ﷻ، وحق الفقير فيها قائم؛ لأجل أن القربة الخالصة لله ﷻ تعطى للفقراء، مثل: الآن الفدية حق الفقراء، ليس للإنسان أن يأكل منه: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ولما قال النبي ﷺ لكعب بن عجرة رضي الله عنه: «**أَيُؤْذِيكَ هَوَامُّ رَأْسِكَ؟**»، قال: نعم، قال «**احْلِقْ رَأْسَكَ وَصُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، أَوْ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ، أَوِ انْسُكْ بِشَاةٍ**»[1]، وهنا «**انْسُكْ بِشَاةٍ**»، يعني: لتطعم الفقراء والمساكين، فكل ما يذبح لأجل الوقوع في محظور أو عدم أداء واجب، فإنه يكون من حظ المساكين.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له (١٨١٤، ١٨١٥، ١٨١٦، ١٨١٧، ١٨١٨، ٤١٥٩، ٤١٩٠، ٤١٩١، ٤٥١٧، ٥٦٦٥، ٥٧٠٣)، ومسلم (١٢٠١) من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه.

إذًا فالأصل فيما أمر الله ﷻ به مما يراق من الدماء أن للمسكين الحظ فيه، فهذا هو الأصل؛ ولهذا أوجبوا ظاهر الآية على ذلك، أوجبوه لدلالة ظاهر الآية على ذلك، وكذلك السنة؛ النبي ﷺ وزع من الأضاحي، ووزع من الهدي لما نحر للناس: من شاء أن يقتطع فليقتطع، ومنهم الفقير، ومنهم كذا، وهذا يدل على اختصاصها بهم، يعني: اختصاص الوجوب بهم(١). [**شرح مسائل الجاهلية**].

س ١٥: يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨] هل معنى الآية أن مرتكب الذنوب الكبار من دون الشرك لو تاب توبة نصوحة بشروطها هل يغفر له، أم يكون تحت المشيئة حتى لو تاب؟

الجواب: هذه الآية تفهم مع قوله ﷻ في أواخر سورة (الزمر): ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣]، وهذه الآية أجمع أهل العلم على أنها نزلت في التائبين، فمن تاب من ذنبه، فإنه مشمول بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ حتى الشرك، حتى الكفر، حتى الذنوب الكبيرة كالقتل، من تاب، تاب الله عليه، لكن إذا مات على غير توبة، مات وهو مصر على كبيرة من الكبائر، أو على فواحش، أو على حقوق للعباد، أو نحو ذلك، فهذا يكون تحت المشيئة: إذا كان أتى بالتوحيد، إن شاء الله ﷻ غفر له، وإن شاء عذبه على ذنبه، هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ معناها لمن مات دون توبة، أما من تاب، فإن التوبة تجب ما قبلها، والإسلام يجب ما قبله. [**شرح مسائل الجاهلية**].

---

(١) انظر: ابن كثير (٣/ ٢٩١، ٣/ ٢٩٨)، والطبري (٩/ ١٣٤)، والقرطبي (١٢/ ٤٠).

س ١٦: هل في القرآن حرف زائد؟

الجواب: ليس فيه زيادة، هذا صحيح، معنى قوله: ليس فيه زيادة بمعنى لم يزد فيه على كلام الله شيء، فكله كلام الله، ليس فيه ولا حرف زيادة - يعني: من عند البشر -، بل كله من كلام الله ﷻ.

لكن القرآن نزل بلسان عربي، وعلى وفق لغة العرب وسننها في كلامها، وهذا يعني أنه تجري في القواعد العربية كونه يكون فيه لفظ زائد، ما نقول: زائدًا، نقول: صلة؛ تأدبًا مع القرآن، صلة، لكن هل الزيادة هنا بمعنى أنها ليس لها فائدة؟ لا، بل أعظم فائدة، وهي التأكيد من مثل قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] معناها: فبرحمة من الله لنت لهم، (فما) في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ليست نافية، المعنى المراد: فبرحمة من الله لنت لهم، فهنا أتت (ما) صلة، ما معنى كونها صلة؟ أنها في مقام تكرير الجملة، كأن الله ﷻ قال: فبرحمة من الله لنت لهم، فبرحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظًا غليظ القلب، لانفضوا من حولك، كذلك قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥]، يعني: فبنقضهم ميثاقهم، وهكذا، وهذا شيء معروف في لغة العرب. **[شرح لمعة الاعتقاد]**.

س ١٧: هل الكاف في قوله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ بمعنى مثل؟

الجواب: هنا في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] يورد إشكال على من جعل الكاف بمعنى: مثل، وهو إذا قلنا: إن المعنى إذا كانت الكاف بمعنى مثل، فتكون الآية: ليس مثل مثله شيء، يقول: يقتضي هذا إثبات المثل؛ لأنه يكون في الآية نفي لمثل المثل، ونفي مثل المثل لا يقتضي نفي المثل.

ونقول: هذا يصح، لكن في غير لسان العرب، أما العربي إذا أراد أن يبالغ في نفي المثل نفي وجود مثل المثل، فإذا نفى وجود مثل المثل، فنفي وجود المثيل عنده من باب أولى، فالعرب من لغتها أنها إذا أرادت المبالغة الشديدة في نفي المثل نفت مِثل مِثل، المثل لأنه كان المثل أصلًا لا تلتفت إليه، فهو ينفي وجود مثيل ذلك؛ لأن هذا الأول كأنه مفروغ من أنه لا يوجد، ولكن ذهب إلى الدرجة الثانية، وليس معنى هذا أنه إذا نفينا الأدنى، أننا نثبت الأعلى، لا، لكننا في العربية إذا أردنا المبالغة في النفي، ننفي شبه الشبيه، ننفي مثل المثيل، هذا أشد المبالغة.

لكن الوجه الذي يرجحه كثير من المحققين من أهل العلم أن الكاف صلة، وهذا ظاهر، ولا نحتاج معه إلى جواب عن هذا الإيراد. **[شرح لمعة الاعتقاد]**.

س ١٨: هل آية الرجم المعروفة تعتبر من كلام الله، غير أنها منسوخة ولا يجوز التعبد بتلاوتها؟

الجواب: نعم، كل آية نزلت على النبي ﷺ، فهي من كلام الله ﷻ، سواء كانت باقية، أو كانت منسوخة؛ كما قال ﷻ: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾ [البقرة: ١٠٦]، أو في القراءة الأخرى ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَنْسَأْهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ فالآية التي نسخت قرآن، ولكنه نسخت تلاوتها، والتعبد بها، وحكمها منسوخ، هذا إذا كانت منسوخة، وأما إذا لم تكن الآية منسوخة، فإنه قد تترك آية لغير النسخ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾ **[شرح الطحاوية]**.

س ١٩: هل يوجد في القرآن ألفاظ أعجمية؟ وما معنى حم، الر؟

الجواب: الكلمات الأعجمية في القرآن أعجمية الأصل، لكنها عربية الاستعمال، ومعلوم أن العرب لما استعملوا هذه الكلمات صارت عربية، مثل: سندس، استبرق، وأشباه ذلك؛ لأنها لم تأت على أوزان العرب، فأهل العلم في هذه المسألة لهم قولان:

الأول: منهم من ينفي وجود الكلمات الأعجمية أصلًا.

الثاني: ومنهم من يقول هي موجودة، لكنها بالاستعمال صارت عربية، وهذا هو الصحيح، أما الأحرف المقطعة في أوائل السور الم، الر، حم، فهي دالة على إعجاز القرآن، فالحجة فيها عظيمة (الر، الم. . .) فصيحة ألفاظها - يعني: هذه الأحرف من حيث الاستعمال -، ودالة على أعظم أنواع الإعجاز، أو على دليل عظيم من أدلة الإعجاز. كيف؟ (المر، حاء، ميم، كاف، ياء، عين، صاد) هذه الأحرف هي الأحرف التي بها يتكلم العرب، وينشئون بها الكلام الذي يفاخرون به، فأشعار العرب من هذه الأحرف، وكلمات العرب وخطب العرب من هذه الأحرف، وما تفارقوا فيه من البيان، والبلاغة، والفصاحة، إنما هو مكون من هذه الأحرف، فالله ﷻ في أول بعض السور افتتحها بالأحرف المقطعة لينبه أن هذا القرآن كلماته وآياته من هذه الأحرف، التي بها تنشئون كلامكم البليغ، الذي تتحدونه به، فهيا استعملوا هذه الأحرف في إنشاء كلام مثل هذا القرآن؛ لهذا تجد أن الأحرف المقطعة في افتتاح السور الغالبية العظمى منها يكون بعد ذكرها ذكر القرآن والكتاب، لا تجد سورة فيها ذكر الأحرف المقطعة إلا وفيها ذكر

القرآن، والأغلب أن تكون بعد الأحرف المقطعة مباشرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ﴾ [البقرة: من ١ - ٢]، ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾ ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [الزخرف: ١-٢]، ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ [يس: ١-٢]، ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فصلت: ١ - ٢]، ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١ - ٢]، ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١﴾ [يوسف: ١-٢]، كلما ذكرت الأحرف، ذكر بعدها الكتاب، وتارة تكون كسورة مريم ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ يأتي ذكر القرآن بعدها.

فإذًا إيراد هذه الأحرف المقطعة في أوائل السورة لتحدي العرب بتكوين كلام من هذه الأحرف، التي يكونون بها كلامهم، وينشئون بها خطبهم وأشعارهم، وأن يعارضوا القرآن بمثل هذه الكلام. **[شرح الطحاوية]**.

س ٢٠: ما معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما يقول في تفسير سورة الكهف: أنا من القليل الذي يعلم عدتهم[(١)]؟

الجواب: أنا من القليل الذي يعلم عدتهم، هنا ماذا تريد بـ"كم"، هل هناك من يعلم؟ يعلم ببرهانه، يعني: يتأمل الآية ويخرج عدتهم، لذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: أنا من القليل الذي يعلمهم: ﴿سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ﴾ **[شرح الطحاوية]**.

س ٢١: هل فَهِمَ هذا من الآية؟

---

(١) أخرجه عنه عبد الرزاق كما في الدر المنثور ومن طريقه الطبري (١٥/ ٢٢٧)، وأخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ١٧٥)، والفريابى وابن سعد وابن المنذر وابن أبى حاتم كما في الدر المنثور (٥/ ٣٧٥).

الجواب: من الآية طبعًا، ما قال وحي، فهم من الآية: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ [الكهف: ٢٢] كالرجم بين فرقتين ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ [الكهف ٢٢] يعني: الخوض في هذه المسائل: كم عددهم؟ ما له داعٍ. **[شرح الطحاوية]**

س ٢٢: ما المراد بالغل في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧]؟

الجواب: الغل هو: الحقد، والضغينة التي تتخلل النفس والفؤاد، وأصل هذه المادة في اللغة مادة: غل، لم يكن متخللًا لشيء، ولهذا قيل للغُل الذي تُغل به الرقبة ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ [يس: ٨] سمي غلًا، جمعه: أغلال؛ لأنه يتخلل الرقبة، ويحيط بها، وكذلك يقال للماء الذي يجري بين السواقي من هذه المادة، ويسمى الماء: الغليل، وأشباه ذلك، فالمقصود أن هذه المادة تدور على التخلل، وعلى التسلل، فلهذا الحقد والضغينة إذا كانت متسللة في النفس، محيطة بها، سميت غلًا؛ كما قال هنا: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾، ويدعو أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] فأهل الجنة ليس في قلوبهم غل، ولا حسد، ولا ضغينة، بل هم أحباب متآخون. **[شرح الطحاوية]**.

س ٢٣: في سورة التكوير: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]، إلى آخره، هل هذه الآيات بعد البعث، وقيام أهل القبور، أم قبله؟ وكيف الجمع مع قوله: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾﴾ [التكوير: ٤] والعشار هي: الإبل التي قرب حملها، فهل هي لم تمت، أم ماذا؟

الجواب: إن هذه التغيرات التي تحدث في ملكوت الله ﷻ في الأرض وفي السماء، وتسجر البحار، وانشقاق السماء، وما يحدث في القرآن، أو ذكر كثير من الآيات في هذا الباب، هذا على الصحيح أنه يحدث بين النفختين: بين النفخة الأولى، التي هي نفخة الصعق، والنفخة الثانية، التي هي نفخة البعث، فبين النفختين تحدث هذه الأشياء، والنبي ﷺ صح عنه أنه قال: «بين النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ. قالوا: يا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قال: أَبَيْتُ. قال: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قال: أَبَيْتُ. قال: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قال: أَبَيْتُ. وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ من الْإِنْسَانِ إلا عَجْبَ ذَنَبِهِ فيه يُرَكَّبُ الْخَلْقُ»[1] وذلك بأن السماء تمطر يوم القيامة في هذه الأربعين مطرًا كمني الرجال (مشبه بذلك)، تنبت منه الأجساد - أجساد الناس -، تنبت منه هذه الأجساد، فإذا نبتت الأجساد، انشقت الأرض، وأخرجت أثقالها - يعني: من المدفونين في هذه الفترة -، الأرض تغيرت، الجبال سيرت، والسماء تغيرت، وبدلت الأرض غير الأرض والسماوات، صار الأمر أمرًا جديدًا، ليس هو المألوف، لا الأرض هي الأرض، ولا السماء هي السماء، السماء الآن تستعد لنزول الله ﷻ لفصل القضاء، والأرض كذلك، فيستوي من دفن وراء الجبال، ومن دفن في ساحل البحر، كلهم يستوون، الأرض سيرت، وجبالها تغيرت، فيسيرون سيرًا واحدًا، ثم بعد ذلك ينفخ الله ﷻ في الصور نفخة البعث، فتتطاير الأرواح، فتهتز الأجساد بالأرواح حية، ثم ينظرون، يتلفتون؛ لأن الأرض مختلفة؛ كما قال ﷻ: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، يعني: ينظرون ما حولهم، ويكرم الله ﷻ أهل الإيمان

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٥، ٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بأن يأتي الله ﷻ لهم بجوار قبورهم - بجوار أمكنتهم - بنجائب من نور من الجنة، فيحشرهم إليه وفدًا، لا يتعبون في السير إلى أرض الحشر، وهذه أول البشائر لهم، ويذل الله ﷻ أهل الكفر بأن يجعلهم يحشرون، ويساقون إلى جهنم، وهذا قول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] الوفد في اللغة هم الراكبون، يقدمون راكبين مكرمين: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٦]، والعياذ بالله، فهذا بعض ما يتعلق بهذه المسألة، وهذه لابد أن تعرفها يا طالب العلم، من المهم أن تعرف لإيمانك باليوم الآخر ماذا يحدث من حين الوفاة إلى دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، حتى ما بعد ذلك ماذا يحدث؟ لابد أن تعرف النفخ في الصور، نفخة الصعق ماذا يحدث؟ ثم نفخة البعث، ما الذي يحصل بعدها؟ سيقوا، ترتيب الأشياء في عرصات القيامة، ما الذي يحدث أولًا؟ الميزان أولًا أم الحوض أولًا، أم تطاير الصحف؟ كل هذه الأشياء التي هي من جملة الإيمان باليوم الآخر لابد أن يتعلمها طالب العلم، وتكون عنده مرتبة: من إحياء الله ﷻ الموتى، إلى دخول أهل الجنة الجنة، ودخول أهل النار النار، وهي مرتبة في كتب أهل العلم، وإذا كانت غير مرتبة، فرتبها، وإذا فهمتها فهمًا جيدًا، فإذًا يكون بعد ذلك فهم القرآن، ومعرفة تفسيره، ومعرفة دلالات الآيات واضحة في ذهنك مرتبة، إذا جاء مثلًا تطاير الصحف متى يكون؟ واضح زمنه عندك، إذا جاء عدم الكلام: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [يس: ٦٥] متى يكون ذلك؟ واضح عندك أيضًا، وهكذا. . .، فيتعلم المرء في ذلك العقيدة، وعلم الجزاء، وهذا من العلوم الثلاثة المهمة؛ لأن العلوم النافعة الثلاثة: العلوم الشرعية، وهي: التوحيد، الفقه، وعلم الجزاء: اليوم الآخر، وهذا

هو الذي ذكره ابن القيم في النونية[1]؛ حيث يقول:

وَالعِلمُ أقسَامُ ثَلاثٌ مَا لَهَا ... مِن رَابِعٍ وَالحَقُّ ذُو تِبيَانِ

عِلمٌ بِأوصَافِ الإلَهِ وَفِعلِهِ ... وَكَذلِكَ الأسمَاءُ لِلرَّحمَنِ

وَالأمرُ وَالنَّهيُ الذِي هُوَ دِينُهُ ... وَجَزَاؤهُ يَومَ المَعَادِ الثَّانِي

وَالكُلُّ فِي القُرآنِ وَالسُّنَنِ الَّتِي ... جَاءَت عَنِ المَبعُوثِ بِالفُرقَان

يعني: علم الجزاء، علم الحساب. . . ، إلى آخر كلامه **[شرح الطحاوية]**

س ٢٤: ورد في تفسير قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥] أي: أمالها عن الهدى؛ كما قدره في الأزل، فما الصواب في ذلك؟

الجواب: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ يزيغ القلب الذي بذل أسباب الزيغ، والذي فعل أسباب الزيغ، الله ﷻ حكم عدل لا يظلم الناس شيئًا، فإذا كان العبد اختار الزيغ، وبدأ فيه بعد ظهور البينات والهدى له، فإن الله ﷻ يزيغ قلبه؛ لأنه هو الذي اختار ذلك، وجزاء فعله واختياره ذلك، فالله ﷻ له الحكمة البالغة؛ كما قال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ﴾ [التوبة: ١١٥]، فإذًا تفسير الزيغ بأن أمالها عن الهدى لا بأس به، أو صرفهم عن الهدى، وجزاهم من جنس فعلهم: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾.

س ٢٥: في قوله ﷻ: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ﴾ [لقمان: ٣٤]

---

(١) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٣٨٣).

البعض يقول: إن الله ﷻ قال: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ ولم يقل: وما تدري نفس ماذا تعمل غدًا؛ لأن الإنسان قد يعلم ماذا يعمل غدًا؟ فعلى هذا يقولون: إن الكسب لا يعني: العمل. فما القول الصحيح في تفسير هذه الآية؟

الجواب: هذه الآية كنظائرها: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ يعني: ماذا تعمل في الغد، فإن الكسب بمعنى العمل، لكن عمل يتحصل منه على شيء، وهو أجره، سمي العمل الصالح في النص كسبًا؛ لأنه كأنه شيء يكتسبه مثل التاجر، قالوا: كسب كذا، يعني: عمل، وخرج له شيء من عمله، فلما كان العمل الصالح يؤجر عليه العبد، سُمي في النص كسبًا، لا بمعنى الكسب عند المبتدعة، فإن ذاك - كما أوضحت لك في الدروس - له معنى آخر. **[شرح الطحاوية]**.

س ٣٦: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [فصلت: ٣٨] فهل هذه عندية الذات، أم عندية القهر؟

الجواب: العندية عندية الذات، العندية لا تنقسم، العندية عندية ذات. يعني: عند الله ﷻ فوق سماواته، هذا معناه، قوله ﷻ يقول في سورة الأنبياء: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنبياء: ١٩] ليست بالفاء، ليست والذين عند ربك، أو فالذين عند ربك: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾، والآية الأخرى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]. **[شرح الطحاوية]**

س ٢٧: ما ضابط المحسن الذي يدخل في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ﴾؟

الجواب: الإحسان، أو المحسن، أو قبل ذلك المحسنون، هو جمع المحسن، والمحسن هو فاعل الإحسان، يعني: من قام به الإحسان فعلًا له، أحسن يحسن إحسانًا، فهو محسن، والإحسان ضد الإساءة، وأصل الإحسان هو فعل المرء ما عليه من العمل على وجه الكمال، أوأن يتفضل بزيادة عما عليه؛ فلهذا يدخل من فعل الواجبات في اسم المحسن، باعتبار أنه أدى ما وجب عليه، ويدخل من أتى بالنوافل في اسم المحسن؛ لأنه زاد على ذلك؛ ولهذا سمى الله عَجَّلَ عبادته كأن العبد يرى ربه بالإحسان، وجعل الابتلاء بالإحسان: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾ [هود: ٧]، وجعل معيته الخاصة لأهل الإحسان، وقال الله عَجَّلَ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقال الله عَجَّلَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، ونحو ذلك، فإذًا المحسن هو من فعل الإحسان، وهو قد فعل ما يجب عليه فعله، أو ما له فعله شرعًا، ولم يسئ، ولم يتعد، وقد يزيد على ذلك بأن يفعل ما فيه المصلحة؛ لهذا أدخل العلماء في الآية: ﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ﴾ [التوبة: ٩١] أدخلوا فيها المعذور؛ كما هو ظاهر الآية، المعذور عن الجهاد بمرض، أو عرج، أو نحو ذلك، فهذا محسن، ما أساء، ولا تعدى، وكذلك أدخل فيه طائفة من علماء العصر، وأهل الإفتاء والقضاء أدخلوا فيها مسألة مهمة، وهي مسائل قتل الخطأ، إذا صار الإنسان يقود سيارة، وانقلبت مثلًا، أو حصل لمن معه جروح، أو كسور، أو نحو ذلك، فهنا هل يخاطب بأنه متسببٌ في القتل، أم ليس بمتسبب؟ فهنا يُنظر

هل فعل ما يجب عليه فعله: من أخذ الحيطة، من عدم السرعة، ومن تفقد السيارة، ونحو ذلك؟ فإذا فعل ما يجب عليه فعله من أخذ الحيطة، وسلامة الأرواح وعدم السرعة، فإنه محسن؛ لأنه فعل ما يجب عليه، وإذا تعدى ذلك، وأساء، إما في زيادة سرعة، أو في قيادة، وهو يريد النوم، أو ما تفقد أدوات السيارة، وأدوات السلامة من الإطارات مثلًا، والفرامل، ونحو ذلك، فهذا لا يدخلونه في اسم المحسن؛ لأنه قصَّر في أداء ما وجب عليه، إذًا كلمة المحسن في الشرع يضبطها هذا الضابط الذي ذكرت لك، ومن نقص، فقد أساء من نقص عما يجب عليه، أو فرّط، أو تعدى، فقد أساء، ومن أساء في هذا، فقد ظلم، ولا يدخل في اسم المحسن، فإذًا ظاهر الآية: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ﴾ أن الله ﷻ بتمام رحمته، ومعرفته، ولطفه، ورأفته بعباده، فإنه لا يؤاخذ المحسن، ولو كان قد تخلف عن بعض ما ذهب إليه غيره مثل: الجهاد، أو المسجد، أو النصرة، إذا كان ليس عنده قدرة، أو فعل ما يجب عليه، واتقى الله ما استطاع، فإنه محسن، وما على المحسنين من سبيل، هذا بعض ما يدخل في هذه الجملة، في هذه الجملة من الآية، مع أن كلمة الإحسان والمحسن فيها تفصيل كثير من حيث مراتب الإحسان في الشرع، من المحسن؟ وجزاء المحسنين مما يراجع في كتب التفسير. **[شرح الطحاوية]**.

س ٢٨: ألا يقال في تفسير قول الله ﷻ: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن: ٣٣] بقوله ﷻ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾ [الصافات: ٦] أي: أن الفضاء الذي وصل له البشر إنما هو في السماء الدنيا؟

الجواب: الآية: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣﴾ الآيات هذه الراجح من أقوال المفسرين أنها يوم القيامة، وليست في الدنيا، وأن هذا تعجيز للجن والإنس أن يستطيعوا النفاذ من أمر الله ﷻ في الساعة، يوم تنزل الملائكة وتصف صفوفًا، أو تحيط بأهل الموقف، فلا أحد يستطيع أن يفلت من الحساب؛ كقوله ﷻ: ﴿يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ١٠﴾ [القيامة: ١٠]، وهذا أولى من جعلها في الدنيا، وبعض أهل العلم رأى أنه هذا يمكن أن تكون في الدنيا؛ لقوله: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾، وإذا وجد السلطان، فإنه يمكن أن ينفذ، لكن هذا ليس بجيد؛ لأننا نعلم أن الجن بنصوص الأحاديث والآيات أنها تنفذ إلى السماء، وتبعد، وتسترق السمع، يركب بعضهم بعضًا، حتى يبلغوا السماء بحيث يسمعون الوحي، فتارة يسمعون، ويلقيها إلى من تحته قبل الشهاب، وتارة يأخذه الشهاب قبل ذلك وفق حكمة الله ﷻ، والشهب ما تأخذ الجن في السماء - يعني: في الغلاف الجوي في الأرض -، إنما تأخذهم في أعلى السماء - يعني: السماء الدنيا عاليًا - أو ما هو أعلى، الله أعلم بحقيقة ذلك.

فإذًا ظاهر قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ﴾ لما كان الخطاب دخل فيه الجن، ونعلم من النصوص أن الجن يركب بعضهم بعضًا، ويبعدون في السماء، حتى ملئت السماء حرسًا شديدًا وشهبًا لما نزل الوحي على النبي ﷺ، فيكون الراجح فيها هو تفسير جمهور أهل العلم بأن المراد يوم القيامة، وسياق الآيات يدل عليها، قال ﷻ: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن: ٢٩]،

ثم قال: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ﴾، ثم قال ﷻ: ﴿يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ٣٥﴾ [الرحمن: ٣٥]، ثم قال ﷻ: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ٣٧﴾ [الرحمن: ٣٧]، إلى أن ذكر مصير أهل النار، ومصير أهل الجنة. وترجعون لتفسير الآية في تفسير ابن كثير أو غيره. **[شرح الطحاوية]**.

س ٢٩: هل صحت قصة أسئلة نافع بن الأزرق لابن عباس رضي الله عنهما؟

الجواب: أسئلة نافع بن الأزرق لابن عباس رضي الله عنهما لا توجد مجموعة في كتاب من كتب الحديث، وإنما هي متفرقة، وهي أسئلة كثيرة في الاستدلال على صحة التفسير بشعر العرب، هذه روى منها الطبراني في الكبير جملة كبيرة[1]، وروى منها أيضًا ابن الأنباري في الوقف والابتداء في أوله جملة كبيرة، وروى منها عدد من أهل العلم؛ كابن جرير وغيره متفرق في كتابه جمل كثيرة، فجمعها السيوطي في الإتقان جمعًا حسنًا، وأفردت أيضًا في مؤلف معروف، ومنها ما هو صحيح، ومنها ما هو دونه من حيث الإسناد، لكنها قصةٌ مشهورة عند أهل العلم، وعند أهل التفسير، ولا يوجد سؤال من الأسئلة ولا جوابه والاستدلال عليه بالشعر إلا وتجد في كتب التفسير عناية منهم بذلك. **[شرح الطحاوية]**.

س ٣٠: هل القراءات السبع هي أحد الأحرف السبعة؟

الجواب: القراءات السبع ليست أحد الأحرف السبعة، ولكن مجموع القراءات السبع بعض الأحرف السبعة، القراءات السبع والأحرف السبعة

---

(١) أخرجها الطبراني (١٠/ ٢٤٨).

لا اتصال ولا علاقة بين تسمية القراءات السبع، وتسمية الأحرف السبعة.

الأحرف السبعة سميت أحرفًا سبعةً لقوله ﷺ في الحديث المتواتر: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»[(١)] وأما القراءات السبع، فهذا انتخاب انتخبه المقرئ الحافظ ابن مجاهد في كتابه السبعة، وهو كتاب مطبوع، فجوّد كتابه، وانتقى من قراء الأمصار سبعة من القراء، وانتقى لكل قارئ راويًا بين، ثم لكل راوٍ مجموعة أيضًا، وذكرها في كتابه، فانتشر لحسن كتابه، ولإمامة ابن مجاهد، انتشر كتابه بهذه القراءات السبع، دون غيرها، وإلا فثم أيضًا قراءات عشر، يعني: يوجد ثلاث زيادة، ليست من السبعة، وبعضهم أوصلها إلى أربع عشرة ونحو ذلك، والقراءات السبع متواترة، ومجموع القراءات السبع هي بعض الأحرف السبعة، يعني الأحرف السبعة التي أنزلها الله؛ توسعة على هذه الأمة، وجمعًا للعرب على حرف قريش، وعلى اتباع محمدٍ ﷺ، شرعت للتخفيف، ولجمع الكلمة، ولعدم الاستكبار، ونحو ذلك، هذه الأحرف السبعة لما جمعت في مصحف عثمان، لما جمع عثمان رضي الله عنه المصاحف، وألغى غير هذا المصحف، الأحرف السبعة انتهت، ولم يجز بعد أمر عثمان رضي الله عنه لأحد من الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم أن يقرأ بغير ما يجده في مصحف عثمان رضي الله عنه، فذهب بعض الأحرف، ليس بعض الأحرف يعني: أن حرفًا كاملًا ذهب، لا، ذهب بعض من الحروف، يعني: بعض الحرف الأول ذهب، وبعض الحرف الثاني ذهب، وبعض الحرف الثالث ذهب، وبعض الحرف الرابع ذهب، وبعض

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤١٩)، ومسلم (٨١٨)، من حديث عبد الرحمن بن عبد القارئ والمسور بن مخرمة رضي الله عنه.

الخامس ذهب، وبعض السادس ذهب، وبعض السابع ذهب، وبقي بعض كل حرف في مصحف عثمان؛ لاحتمال القراءة؛ لأن مصحف عثمان رضي الله عنه كتب بلا نقط، ولا شكل، لم ينقط، ولم يشكل؛ لأن النقط والتشكيل و إلى آخره، هذا إنما جاء في زمن متأخر في زمن الحجاج بن يوسف ومن بعده تيسيرًا، فلما كانت الأحرف غير منقوطة، والكلمات غير مشكولة، فلا شك أن كل صحابي سيقرأ بما يعلمه من الحرف الذي أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يقرأ بحرف آخر يقرأ بالحرف، فإذا كان الحرف الذي يقرأ به يحتمله الرسم، فإنه يقرأ، فإذا ذهب بعض ما عنده، فالتزم بحرف قريش الذي كتب به المصحف، وترك بعضًا، وقرأ ببعض ما عنده، لهذا العلماء قسموا الأحرف السبعة، وقسموا القراءات السبع، والقراءات العشر - يعني: من حيث الأداء - قسموا الاختلاف فيها إلى قسمين: اختلاف في الأصول، واختلاف في الفرش، الفرش في الكلمات في نطق الكلمات، يعني: من جهة التشكيل، والاختلاف مثلًا: بشرًا، نشرًا، سَدًّا، سُدًّا، ونحو ذلك، واختلاف في الأصول، الذي هو في المد، وفي الميم، وفي الإدغام، يعني: وأشباه ذلك ممّا يلتزمه القارئ في كل قراءته، وهذا بحث طويل في اتصال الأحرف السبعة بالقراءات السبع، لكن المهم الذي ينبغي التأكيد عليه في هذا الموطن أن تسمية بعض القراء بالقراء السبعة أنه اجتهاد من العلامة المقرئ الحافظ ابن مجاهد في كتابه السبعة، وهو كتاب مطبوع، والعلماء أخذوا اختياره بالقبول، لكن ينتبه طالب العلم إلى أنه لا صلة بين القراءات السبع والأحرف السبعة، فهذا اتفاق في العدد، دون اتفاق في الحقيقة. **[شرح الطحاوية]**.

س ٣١: قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤] ما المقصود بالمعصية؟ هل هي الصغائر، أم الكبائر، أم الشرك؟

الجواب: المعصية هذه التي توعد الله عز وجل عليها بدخول النار، والخلود فيها، والعذاب المهين، هي: الكفر بالله عز وجل، والشرك الأكبر، والردة عن الإسلام - والعياذ بالله -، هذا هو الذي يترتب عليه ذلك، والكبائر والصغائر داخلة في عموم المعصية: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ تدخل فيها الكبائر والصغائر، لكن قوله: ويتعدى حدوده، هذا يدل على أن هذه المعصية هي المعاصي التي لا يدخلها التكفير، وهي الكبائر إن مات مصرًا عليها، ولم يتب، ولم يشأ الله أن يغفر له، والكفر والشرك كما ذكرت لك.

إذًا فالآية فيها الكبائر التي لم يتب منها، مثل: القتل، مثل: شرب الخمر، ونحو ذلك، هذه إذا مات المسلم، وهو يفعلها، ولم يتب منها، فهو تحت المشيئة: إن شاء الله عفا عنه، وإن شاء عذبه، وهذا يدخل في العذاب خالدًا فيها، والخلود في القرآن نوعان: خلود أبدي، وخلود أمدي، الخلود في اللغة واستعمال القرآن على ذلك أن الخلود معناه: المكث الطويل، إذا مكث طويلًا، قيل له: خالد؛ لذلك العرب تسمي أولادها خالدًا، تفاؤلًا بطول المكث بطول العمر سموه خالدًا، يعني: أنه سيعمر عمرًا طويلًا، وليس معنى الخلود أنه خلود ليس معه انقطاع، وإنما هذا يميز بالأبدية، لهذا في الآيات ثَمَّ آيات فيها أبدًا، وثَمَّ آيات ليس فيها الأبدية، فلما جاء في القتل قال: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣] أجمع أهل السنة على أن الخلود في هذه الآية ليس أبديًا؛ لأن

مرتكب الكبيرة يخرج من النار بتوحيده، والآيات التي فيها الخلود الأبدي واضحة؛ كقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]، الآيات متعددة، ما استحضرتها الآن، فإذًا الخلود نوعان في القرآن، شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله له بحث في هذا، لكن لا يُسلم له. [**شرح الطحاوية**].

س ٣٢: ما القول الراجح في الاستثناء في قوله تبارك وتعالى: ﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ١٠٨﴾ [هود: ١٠٨]، وكذلك في أهل النار؟

الجواب: في الجنة أوضح الاستثناء هذه الآية، التي في آخر سورة هود، السلف والعلماء في التفسير وفي غيره لهم فيها أقوال كثيرة: قال ﷻ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ١٠٨﴾ هنا قوله ﷻ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ الاختلاف راجع إلى المراد بـ(ما) هنا: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ هو إلى أن (ما) هنا بمعنى الذي، إلا الذين شاء ربك يكونون الملائكة، أو يكونون الشهداء، أو نحو ذلك، أو المراد هنا: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ أنك راجع إلى الزمان، والصحيح وغيره غير معقول ولا مقبول أيضًا من جهة النظر أن الاستثناء هنا راجع إلى الزمان؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ يعني: من مدة دوامها؛ لأن الله ﷻ حكم على الذين سعدوا ومنَّ عليهم بأنهم في الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض، يعني: أن من يدخل الجنة من أهل السعادة يخلد في الجنة ما دامت السماوات، يعني: مدة

السماوات والأرض، هل كل من يدخل الجنة يكون خالدًا فيها مدة دوام السماوات والأرض، يعني: من أول ما خلق السماوات والأرض، فهذا الذي سعد يكون في الجنة من أول ما خلق السماوات والأرض إلى أن يفني الله السماوات، طول هذه المدة، إنما كل أحد إذا مات دخل الجنة، فهو إذًا يخلد في الجنة مدةً من مدة دوام السماوات والأرض، مثلًا لنفرض مدة دوام السماوات والأرض، لنفرض مثلًا عشرة آلاف سنة، دخل هذا ممن كتب الله له السعادة، مات يومًا ما، كان قبل ذلك اليوم في خمسة آلاف سنة لدوام السماوات والأرض، وبعد ذلك اليوم يوجد خمسة آلاف سنة، فهنا لما سُعد ومات، أدخله الله الجنة، فيخلد فيها ما دامت السماوات والأرض، يعني: يخلد فيها عشرة آلاف سنة، هذا ظاهر الآية ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ قال: ففي الجنة: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ يعني: هم في الجنة: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ يعني: عشرة آلاف سنة؟ لا! إنما يخلدون فيها المدة التي بعد وفاتهم، يعني: خمسة آلاف سنة، طيب المدة الماضية التي لم يكونوا فيها في الجنة؛ لأنهم لم يكونوا من الأحياء، ولم يموتوا إلى آخره.

هذه المدة هي المستثناة في قوله: ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ يعني: من الزمن الذي لم يكن هؤلاء فيه من الأموات الذين يدخلون الجنة، فكل واحد من الصحابة ﷺ مدة دوامهم تختلف عن مدة دوام من دخل الجنة بعدهم، أمس توفي من توفي من المسلمين، وكتب الله ﷻ له الجنة، فهو سُعد وفي الجنة خالدًا فيها ما دامت السماوات والأرض، إلا ما شاء ربك، هل هنا في مدته هي مدة الصحابي؟ تختلف ذاك له مدة أطول في

الدوام، ومدة أقصر في عمر السماوات والأرض، واليوم الذي مات أمس مدته في الدوام أقل - يعني: إلى قيام الساعة -، ومدته فيما مضى أقل، فهذا القول هو الظاهر والراجح، وهو الذي رجحه المحققون، أما الأقوال الأخر، ففيها بُعد. **[شرح الطحاوية]**.

س ٣٣: ما المراد بالقرب في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [قٓ: ١٦]؟

الجواب: التحقيق أن المراد هنا بالقرب قرب الملائكة، وذلك كما حققه ابن تيمية(١) وابن القيم(٢) - رحمهما الله -، أن القرب هنا قرب عام، وهذا القرب إنما هو قرب الملائكة. **[شرح الطحاوية]**.

س ٣٤: في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩﴾ [الأعلى: ٩] هل إذا غلب على الظن عدم الانتفاع يجوز السكوت عن المنكر؟

الجواب: هذه المسألة اختلف فيها العلماء، قد ذكرت لكم الخلاف - أظن - في شرح الواسطية، أو في بعض المواضع، والآية استدل بها جماعة من العلماء، منهم شيخ الإسلام الشيخ تقي الدين بن تيمية(٣)، ومنهم العز بن عبد السلام في القواعد، وجماعة، وذكر هذا أيضًا ابن رجب عن بعض أهل العلم في شرحه على الأربعين، والآية فيها دليل على أن الذكرى مأمور بها إذا كانت ستنفع؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩﴾

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٥٣)، (٥/ ١٢٩).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٢٩٠).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٠٦)، وزاد المسير (٩/ ٩٠).

أمر بالتذكير إذا كانت الذكرى ستنفع، هل يدخل هذا في النهي عن المنكر، أم أن هذا في التذكير بما ينفع الناس؟ ظاهر كلمة الذكرى أنها تشمل الأمر بالمعروف، وتشمل النهي عن المنكر؛ لأن التذكير يشمل هذا وهذا في القرآن والسنة؛ لهذا قال طائفة من العلماء - ممن سمينا ومن غيرهم -: إنه للمرء أن يترك الإنكار إذا غلب على الظن عدم الانتفاع، كذلك يجوز له أن لا يُذكِّر إذا غلب على الظن عدم الانتفاع، وأما إذا غلب على الظن الانتفاع بالإنكار، أو الانتفاع بالذكرى، فهنا يجب عليه أن ينكر، ويجب عليه أن يأمر بالمعروف بحسب الحال. هذه مسألة، أو هذا قول، والجمهور على خلاف ذلك، وهو أن الأحاديث دلت على أن المنكر إذا رئي، وجب تغييره؛ لهذا قالوا: سواء غلب على الظن، أو لم يغلب على الظن، فلابد منه؛ حفاظًا على ما أوجب الله ﷻ؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى لما ذكر حال أهل القرية: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤]، فدل هذا على أن المعذرة مطلوبة، وألا يسكت عن منكر، لكن هذا لا يدل على الوجوب، وحال الصحابة رضي الله عنهم في كثير من أحوالهم، وخاصة لما دخلوا على الولاة ولاة بني أمية، والأمراء فيما سكتوا عنه، وفيما لم ينكروه.

قال ابن عبد السلام - ويلمح إليه كلام ابن تيمية أيضًا -: إنهم أخذوا بأنه غلب على ظنهم أنهم لا ينتفعون بذلك، لعلم المخاطب، لعلم الواقع في المنكر، ولأجل أنه يعلم أنه لو أنكر عليه، فإنه لن يستجيب.

المقصود من ذلك أن العلماء لهم في هذا ثلاثة أقوال:

القول الأول: يجب الإنكار مطلقًا؛ كما أمر النبي ﷺ.

القول الثاني: أنه يجب مع غلبة الظن، وإذا لم يغلب على الظن، فإنه يجوز له أن ينكر.

القول الثالث - وهو المتوسط بينهما -: أنه لا يجب، ولكن يستحب إذا غلب على الظن عدم الانتفاع، وهذا معناه أن الإنسان لا يُؤَّثم نفسه فيما غلب على الظن عدم الانتفاع، وهذا يحصل في المسائل التي يغلب فيها الظن عدم الانتفاع، مثل: المنكرات المنتشرة، مثل: حلق اللحى، ومثل: الإسبال، ومثل: كشف المرأة لوجهها، ونحو ذلك، ومثل: رؤية الصور في المجلات، صورة النساء المحرمة في المجلات، ونحو ذلك، مثل هذه يغلب على الظن من الناس عدم الانتفاع مطلقًا، أو عدم الانتفاع في وقتها، يعني: بحسب الحال، لكن إذا غلب على الظن - والله - أنه إذا وعظه، وأمره، ونهاه أنه ينتهي، ولو في الوقت نفسه، فهذا يتعين عليه، يعني: دخلت المسألة مثل غيرها مع القدرة، لكن إذا كان يظن أنه إذا قال له: (لا تحلق لحيتك)، أو (هذا حرام) أنه لن ينتفع، فهو لا يُوجب عليه حينئذ، ويسلم من الإثم، المقصود السلامة من الإثم في مثل هذه الحال - والله المستعان -، كلٌ في هذا الباب مقصر، نسأل الله أن يعفو عنا وعنكم. [شرح الطحاوية].

ما رأيكم في القول بأن قوله: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَاۚ﴾ [محمد: ١٨] على نحو قوله ﷻ: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُۚ﴾ [النحل: ١]؟

الجواب: إذا كان المراد بقوله: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَاۚ﴾ الأشراط الكبرى، فهو على نحو قوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُۚ﴾ يعني: قرب المجيء، ودنا،

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ يعني: بقيام الساعة ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ يعني: قرب جدًا، ﴿فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ﴾ إذا كان المقصود الأشراط الكبرى، يعني: فسرت الأشراط بالأشراط الكبرى، فيكون جاء بمعنى قرب ودنا مجيؤها، مثل: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ هذا صحيح، لكن التخصيص بأن الأشراط هنا هي الأشراط الكبرى دون الصغرى يحتاج إلى دليل، والنبي ﷺ في حديث جبريل ﵇ جاء ذكر أشراط الساعة، وفسرها بالأشراط الصغرى: «قال مَتَى السَّاعَةُ قال ما المسؤول عنها بِأَعْلَمَ من السَّائِلِ وَسَأُخْبِرُكَ عن أَشْرَاطِهَا إذا وَلَدَتْ الْأَمَةُ رَبَّهَا»(١)، إلى آخره، كما ذكرت لك آنفًا هذه من الأشراط الصغرى.

إذًا حمل آية سورة محمد ﷺ على الأشراط الصغرى دون الكبرى يحتاج إلى دليل، وشمول الآية للأمرين أولى. [**شرح الطحاوية**].

س ٣٥: اختلف العلماء والمفسرون في القول عن حقيقة تأويل كذبات إبراهيم ﵇، فما الأقوال المرجحة في ذلك؟

الجواب: ما أدري ما معنى تأويل، كذبات إبراهيم ﵇؟ يعني: اختلف المفسرون في تأويل الكذبات في الحديث، ماذا يعني بها؟ على كل حال الكذبات التي ذكرت في الحديث هي معروفة: «لم يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النبي ﵇ قَطُّ إلا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ ثِنْتَيْنِ في ذَاتِ اللَّهِ قَوْلُهُ: (إني سَقِيمٌ) وَقَوْلُهُ (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا)، وَوَاحِدَةٌ في شَأْنِ سَارَةَ»(٢) وكان متأولًا في ذلك، وصادقًا،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، من حديث أبي هريرة ﵁.

(٢) أخرجه البخاري (٨٤، ٦٩٥٠، ٢٦٣٥، ٢٢١٧، ٣٣٥٨، ٥٠، ٣٣٥٧)، ومسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة ﵁.

وفيها مصلحة، فهو خشي أن تجعل من الكذب باعتبار الظاهر، لا باعتبار الباطن. [**شرح الطحاوية**].

س ٣٦: قال ﷻ: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ﴾ [البقرة: ١٣٥]؟

الجواب: معلوم أن موسى عليه السلام جاء بحنيفية مثل دين إبراهيم جاء بالإسلام، وعيسى عليه السلام جاء بحنيفية عبادة الله وحده دونما سواه، لكن اليهودية المحرفة والنصرانية المحرفة هذه إبراهيم عليه السلام بريء منها، ولهذا قال ﷻ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٦٧﴾ [آل عمران: ٦٧]؛ لأن كل طائفة ادعته على ضلالها، فاليهود حرفوا دينهم، وأرادوا أن ينسبوا التحريف إلى إبراهيم، وأنهم يدعون إلى الإبراهيمية، وكذلك النصارى، وكذلك المشركون ينسبون أنفسهم إلى إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو بريء من هؤلاء وهؤلاء. [**شرح الطحاوية**].

س ٣٧: الأحكام التي وردت في آية الدين، وهي: الكتابة، والإشهاد هل هي على الوجوب لظاهر الآية، أم لا؟

الجواب: الصحيح أنها على الاستحباب، والظاهرية ذهبوا إلى الوجوب والآية الأمر فيها للاستحباب، ويتأكد الاستحباب إذا صار الدين أو القرض مما يؤبه له، أو مما يخشى معه الاختلاف. [**شرح الطحاوية**].

س ٣٨: يقول ﷻ: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣]، قال: هل هي هنا باعتبار الإضافة، أم هي غير ما يراد فيما نحن بصدده؟

الجواب: يعني: يقصد بحث العصمة التي مرت معنا، هذه عصمة مقيدة، يعني: العصمة من الغرق هي ظاهرة: لا عاصم من الغرق هذا اليوم إلا من رحمه الله ﷻ، هي غير داخلة في العصمة العامة، أهل المذاهب الرديئة كالمعتزلة، والأشاعرة، والجبرية، والقدرية، أين يوجدون في هذا الزمن؟ في كل مكان يوجدون: المعتزلة، والأشاعرة، والجبرية يوجدون في كل مكان، وأيضًا كتبهم في كل مكان، ربما يدسُّون، يعني: ربما واحد ما يفهم يقرأ كتابًا أو تعليقًا، ويجد أنهم أدخلوا فيه بعض هذه الكلمات. [**شرح الطحاوية**].

س ٣٩: ذكر الطبري في تفسير الرحمة قال: (هي الرقة)[١] فهل يجوز تفسير الرحمة بالرقة؟

الجواب: هذا من التفسير بالتضمن، التفسير بالتضمن صحيح عند السلف، يعني: يذكر بعض أفراد المعنى، هذا صحيح، وليس تأويلًا؛ لأن الرحمة منها الرقة، ومعلوم أن ما لم يُرَ عينه، فتفسيره صعب، ولهذا تجد أن تفسير المعاني أصعب من تفسير الأعيان، فالأعيان قد تحدها، تقول: هذا مسجد. تحده بهذه الحدود، تصفه، فالحد بمعنى الوصف تعرفه، هذا كتاب. تعرفه، تقول مثلًا: جبل أبيض. تعرفه، فيقوم في ذهنك؛ لأنه عين، أما المعاني، فيصعب تعريفها بما يدل عليها كذلك، ما لم يُر من المخلوقات التي تحسها، مثل: الهواء، الهواء تحسه، ترى حركته وآثاره، ولكن صعب أنك تحده، صعب أنك تعرفه تعريفًا جامعًا مانعًا له، مع أنك تحسه، وتتنفسه

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ٧٨).

وترى آثاره، فالصفات النفسية في الإنسان صعب تعريفها، فتقول: الرحمة ما هي بالضبط؟ تقرب الرقة ما هي؟ تقرب الرأفة ما هي؟ تقرب فالرأفة من الرحمة، والرقة من الرحمة، لكن الإنعام شيء آخر؛ لأن لإنعام إعطاء، والرحمة صفة في الإنسان نفسية، الرقة نفسية، الرأفة نفسية، وهكذا، أما الإنعام، لا، الإنعام إعطاء، وهذا شيء آخر، فلو جاء مفسر فسر الرحمة بالرقة، ولو كان مؤولا، نقول: صحيح، هذا تفسير بالتضمن لكن مثلًا في قول الله ﷻ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الفتح: ١٠] تجد أن ابن كثير يقول: هذا تشديد في أمر نكث البيعة، بإلزامهم بكذا وكذا إلى آخره، وما ذكر إثبات صفة اليد، في قوله تبارك وتعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ①﴾ [الملك: ١] قال: بيده يعني: تحت قهره وتصرفه، فهنا إذا كان في موضع إثبات اليد: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥]، وأشباه ذلك أول، فنعلم هنا أنه مؤول، لكن إذا أثبت هناك، نقول هنا فسرها باللازم؛ لأنه يلزم من كون الملك بيده سبحانه أن يكون تحت قهره وتحت تصرفه، فهذا التفسير باللازم، التفسير بالتضمن وباللازم قد يقبل، وقد لا يقبل، وهذه مسألة كبيرة في التفسير في مسائل الصفات؛ لأن التفسير ثلاثة أنواع: تفسير بالمطابق، وهذا الذي ينحو إليه السلف، وتفسير بالتضمن، وقد ينحون إليه، وتفسير باللازم، وهو قليل أيضًا. **[شرح أصول الإيمان]**.

س ٤٠: استدل البعض بقوله: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ①﴾ [التكاثر: ١] **على من يهتم من الطلاب بالإجازات وغيرها من العلوم، ويترك مهمات العلم، فهل هذا صحيح؟**

الجواب: طبعًا مثل: العناية بالروايات والأسانيد التي ما لها حاجة، هذا علم الحديث الذي لا يحتاج إليه، يروح يبحث عن الأسانيد، ويروي بالإجازات، ويروح شمالا ويمينا، ويسافر، وهو ما ختم كتاب التوحيد، ولا عرف، يمكن ما حفظ القرآن جيدًا، كيف تهتم بالأسانيد، وشيخك فلان في سوريا، وشيخك فلان في المغرب، والثاني في الهند، والثالث هنا، والذي في اليمن، والذي في المملكة، والذي في أي مكان، هذه إذا كانت تشغل عن العلم النافع، فهي تترك، إنما إذا جاءت تبعًا، فهذا مما اعتنى به العلماء والسلف، لكن إذا كانت تشغل عن العلم النافع؛ لأن هذه المقصود منها البركة وبقاء الإسناد، هذا من علم الحديث الذي لا ينتفع به الآن؛ لهذا ابن كثير رحمه الله ما كان عنده عناية بالإجازات، الحافظ غمزه - الله يغفر له ويرحمه ويغفر لهم جميعًا - الحافظ ابن حجر في الدرر غمزه يقول: لم يكن عنده عناية بصنعة الحديث، يعني: بالروايات والأسانيد إلى آخره؛ لأنه حافظ، هو يحفظ المسند - الحافظ ابن كثير -، ويحفظ كتبا كثيرة، وألف المسند الجامع، يعني: اشتغل بما ينفع، أما الأسانيد إلى آخره، فهذه ما اهتم لها.

كذلك مثل: تخريج الموافقات، والمُدَبَّج، ونحو ذلك، هذه ما لنا حاجة فيها. الحديث الذي توافق فيه، مثلًا: حديث ترويه، توافق فيه ابن حجر بعلو ما الفائدة منه؟ أو مثلًا: نقرأ صحيح البخاري، نذكر لك الإسناد إلى البخاري، ما الفائدة منها؟ مثل هذه أشياء فيها تكثُّر، كونها توجد عند طالب العلم، عند العالم، طيب إذا احتاج إليها، لكنه يتكثر، ويسعى لها، تشغله عن العلم النافع وعن التعليم النافع، هذه من الأشياء التي تركها أولى،

فالتكاثر: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ يدخل في هذا، ما فيه شك، ومنها التكاثر بكتب لا يحتاجها، ومنها التكاثر بالأولاد، ومنها التكاثر بأشياء كثيرة. [شرح أصول الإيمان].

س ٤١: هذا يقول من فسر كلمة التوحيد بقوله: لا حاكمية إلا لله متعلقًا بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾ [الأنعام: ٥٧]، وهل هذا التفسير مستقيم، أم هو غير ذلك؟ نرجو التوضيح.

الجواب: من فسر كلمة التوحيد بقوله: لا حاكمية إلا لله، فيقول: هذا هو معناها، نقول: هذا من جنس قول الخوارج؛ لأنهم هم فسروا التوحيد بتوحيد الحكم بقول الله جل وعلا: ﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢]، ولقوله جل وعلا: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾، والحكم يجب إفراد الله جل وعلا به، وهو من مفردات توحيد الإلهية؛ لأن الحكم بالشرع، الحكم بالقرآن هذا تحكيم لله، وهو قصد لله جل وعلا طلبًا للحكم، فهو من هذه الجهة فيه القصد، قصد القلب والعمل؛ لطلب حكمه فيها، فمن قال: معنى لا إله إلا الله، لا معبود حق إلا الله - كما هو تفسير أهل العلم -، فإنه يدخل فيه هذا المفرد من المفردات، وهو إفراد الله جل وعلا بأنه هو المستحق للتحاكم إليه؛ لهذا إمام هذه الدعوة جعل من أبواب كتاب التوحيد أبوابًا تخص هذه المسألة، أي: مسألة التحاكم: تحليل الحلال، وتحريم الحرام، وعدم طاعة أحد في تحليل الحرام وتحريم الحلال في أبواب معروفة.

فالمقصود أن تفسير لا إله إلا الله بلا حاكمية إلا لله، هذا من جنس تفاسير المبتدعة؛ لأن لا حاكمية مساوية للا إله، فيعني: أن الإله هو الحاكم، وهذا غلط؛ لأن الإله لا في اللغة، ولا في العرف، ولا فيما جاء

به القرآن أن الإله هو الحاكم، وإنما الإله هو الذي يستحق العبادة، ومن العبادة القصد لأحد لتحكيمه بغير شرع الله، أو بشرع الله، إذا قصد أحدًا لتحكيمه راضيًا بذلك مختارًا، فإنه قد عبده؛ ولهذا هناك فرق بين مسألة الحكم والتحكيم؛ قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠][(١)]، من أهل العلم قال طائفة: قوله هنا: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا﴾ فيه اعتبار الإرادة، وذلك أن يتحاكما عن رغبة ورضا بحكم الطاغوت، بخلاف ما لو أكره عليه، أو أجبره، أو اضطر إلى ذلك غير راغب ولا مريد في أشباه هذه الحالات، المقصود من هذا أنه يكون عابدًا لغير الله، إذا تحاكم راغبًا في ذلك، معظمًا له؛ كحال العابد المحكم لله ﷻ في ذلك، فالحكم لله سبحانه وتعالى، تحكيم القرآن تحكيم لله، تحكيم السنة تحكيم لله ﷻ؛ ولهذا لا يطلق الحاكم إلا على من حكم بشرع الله جل جلاله. **[شرح كشف الشبهات]**.

س ٤٢: قال ذكرت بأن المشرك لا يشهد على نفسه بأنه مشرك، فما معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]؟

الجواب: الشهادة في هذه الآية شهادة بلسان الحال، لا بلسان المقال؛ كما قال ابن كثير وغيره من المفسرين، فالشهادة هنا كالشهادة في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ

---

(١) انظر: كتاب التوحيد مع شرحه فتح المجيد (ص٥٦٥) باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾... الآية.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فهذه الشهادة بلسان الحال لا بلسان المقال **[شرح كشف الشبهات]**.

س ٤٣: يقول كل ما أمر الله به عباده، وقد قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ [النور: ٢٢] هل هذه عبادة؟

الجواب: نعم إذا عفا متقربًا بالعفو إلي الله ﷻ، فقد تعبد، وإذا صفح متقربًا بالصفح إلي الله ﷻ، فقد تعبد؛ لأن المأمور به عبادة، إذا تقرب به، أما إذا فعله هكذا من غير قربة، فليس بعبادة. **[شرح كشف الشبهات]**.

س ٤٤: يقول: قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾﴾ [محمد: ٤ - ٥]، قرأت في أحد مختصرات التفسير أن معنى سيهديهم إلى العمل فكيف يكون العمل بعد الموت؟

الجواب: هذا أحد الأقوال في الآية، وهو أن قوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ يعني: في الدنيا، وأن مجيء السين فيها مع إفادتها التعقيب هذا باعتبار القدر، يعني: والذين قتلوا في سبيل الله قدرًا - يعني: بما مضي في علم الله -، فلن يضل أعمالهم، سيهديهم في الدنيا، ويبين لهم الطريق، يعني: هداية الدلالة والإرشاد، وهداية التوفيق.

والقول الثاني - وهو الصحيح -: أن الهداية هنا هداية في الآخرة لطريق الجنة، فهنا ليس اعتبار القتل هنا اعتبارًا قدريًّا سابقًا، بل هو اعتبار بالواقع، فقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، فحصل لهم القتل: ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ يعني: أن الله ﷻ يبارك عملهم القليل، وينمي لهم عملهم إلى يوم القيامة؛ كما ثبت في الحديث أن الشهيد ينمى له عمله إلى يوم القيامة،

قال ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ﴾ يعني: في الآخرة ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ الهداية إلى طريق الجنة، يعني: سيهديهم على الصراط؛ لأن هذا هو النوع الرابع من أنواع الهداية عند أهل السنة، وهو هداية أهل الجنة لطريق الجنة، وهداية أهل النار للنار، ففي أهل الجنة في الشهداء قال هنا: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾ يعني: بعد أن يهدوا لطريق الجنة، وفي الهداية للنار قال ﷻ في سورة الصافات: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣] الآيات. **[شرح كشف الشبهات]**.

س ٤٥: يقول: ذكرتم في الدرس السابق في تفسير قوله ﷻ: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ۝٨١﴾ [الزخرف: ٨١] الآية في آخر سورة الزخرف بأن العبادة ستكون للولد إرضاء لله ﷻ، فبهذا التفسير يكون حجة للنصارى؟

الجواب: هذا ظاهر الآية، يحتجون أو لا يحتجون هذا ظاهر الآية: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ۝٨١﴾ يعني: لو كان للرحمن ولد، فأنا سأعبده إرضاء له ﷻ؛ لأنه الذي أمرنا بعبادته، وهذا هو تفسير الجمهور.

والتفسير الثاني للآية: أن معنى العابدين: الرافضين، يعني: إن كان للرحمن ولد، فأنا أول من يرفض هذه العبادة، وهذا التفسير ساقه ابن جرير وابن كثير عن طائفة من المفسرين، لكن قالوا: هذا الوجه ضعيف؛ لأن هذه اللغة لا يحمل عليها الكلام، وإن كانت موجودة في لغة العرب، لكن لا يحمل؛ لمخالفتها لتفسير جمهور الصحابة ومن بعدهم[١].

بالعكس قد يكون في هذا حجة على النصارى، إن كان للرحمن ولد، فأنا

---

(١) انظر: تفسيرابن كثير (٤/ ١٧٣)، والطبري (١١/ ٢١٥).

أول العابدين، هل له ولد؟ لا، القرآن كله فيه نفي أن يكون لله ﷻ ولد: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وفي سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الأنعام: ٤٠]، ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [الرعد: ١٦].
[شرح كشف الشبهات].

فائدة

قوله ﷻ: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الزخرف: ٨١] فُسرت بتفسيرين عند السلف:

الأول: أن العبادة هنا على ظاهرها، على ما هو معروف، و ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ يعني: أول المتجهين لهذا الولد بالعبادة، إن كان له ولد؛ لأنه يكون ﷻ رضي بأن يُعبد هذا الولد، فنعبده رضاءً وامتثالًا لأمر الله.

والثاني: أن العابدين هنا بمعنى الرافضين، يقال فلان عابد لهذا الشيء، بمعنى رافض له، وهذا مستعمل في بعض لغات العرب، وبه فُسرت الآية، وهذا فيه تنزيه أن يكون الله ﷻ له ولد، وأنه إن ادعيتم أيها المشركون أن للرحمن ولد، فأنا رافض هذا؛ لأن الله الذي أعبده له الكمال المطلق، والغنى التام، والقدرة الشاملة، فلا يحتاج إلى أن يكون له ولد لتمام غناه ﷻ

والتفسيران مقبولان، ويكون الأول، وهو قوله: ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ على سبيل بناء المحال على المحال، أو بناء ما لا يكون على ما لا يكون، كقوله ﷻ: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، ومعلوم أن الجمل لا يمكن أن يلج في سم الخياط، وبالتالي فلا يمكن أن يدخلوا

الجنة، بتعليق المحال على المحال، ورفض للشيء من أساسه.

من عجيب اختلاف القراءات وعظم دلالة القراءات على المعاني، القراءة الأخرى في قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، قوله: ﴿وَخَرَّقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فيه الزيادة في وصفهم بأنهم فعلوا هذا، ونسبوا إلى الله ﷻ ما نسبوا تخريقًا منهم، وإيغالًا وكثرة في خرق ما يدل عليه العقل الصريح الصحيح في مثل ذلك. [**شرح التوضيح المبين**].

س ٤٦: ما معنى قول بعض السلف: إن الصمد هو الذي لا جوف له؟ ما معنى ذلك؟ كيف نوفق بينه وبين المعاني الأخرى؟

الجواب: الصمد فسرت[1] بتفسيرات: - مثل: ما ذكرنا لكم آنفًا، أو

---

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٦٧): «وفي الصمد أربعة أقوال:
أحدها: أنه السيد الذي يُصمد إليه في الحوائج، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ، وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الصمد السيد الذي قد كمل في سؤدده، قال أبو عبيدة: هو السيد الذي ليس فوقه أحد، وقال الزجاج: هو الذي ينتهي إليه السؤدد، فقد صمد له كل شيء قصده، وتأويل صمود كل شيء له: أن في كل شيء أثر صنعه، وقال ابن الأنباري: لا خلاف بين أهل اللغة أن الصمد السيد الذي ليس فوقه أحد يصمد إليه الناس في أمورهم وحوائجهم.
والثاني: أنه لا جوف له، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وابن جبير، وعكرمة، والضحاك، وقتادة، والسدي، وقال ابن قتيبة: فكأن الدال من هذا التفسير مبدلة من تاء والمصمت من هذا.
والثالث: أنه الدائم، والرابع: الباقي بعد فناء الخلق، حكاهما الخطابي، وقال: أصح الوجوه الأول؛ لأن الاشتقاق يشهد له، فإن أصل الصمد القصد، يُقال: اصمد صمد =

فيما سبق - الصمد الذي يصمد إليه عند الحوائج، وهذا هو أكثر التفاسير على هذا تفاسير السلف.

والصمد أيضًا في اللغة: يُقال: فلان صمد، إذا كملت خصال سؤدده وصفات فضله كمال الصفات والخصال المحمودة، ويقال: فلان صمد، يقال لسيد القبيلة الذي كملت صفاته: هذا صمد، يعني: بلغ في الصفات البشرية عندهم الغاية: في الكرم كذا، وفي النجدة كذا، وفي التواضع كذا، وفي الحنكة كذا، وفي الحكمة كذا، وفي الرأي كذا، . . . إلى آخره.

وفسرت أيضًا الصمد بأن الصمد هو الذي لا جوف له، يعني: الإنسان والمخلوق الذي تراه، المخلوقات هذه لها جوف، ولها أحشاء، ولها أشياء في داخلها، فالصمد هو الذي لا جوف له، فهذا يخرج مشابهة المخلوقات فلا يُظن أن اتصاف الله ﷻ باليد أن ذلك عن طريق تجويف، أو اتصاف الله ﷻ بالقدم أن ذلك عن طريق تجويف، أو اتصاف الله ﷻ بالعينين ذلك عن طريق تجويف، . . . إلى آخره، فهو سبحانه وتعالى صمد، قد كمل سبحانه وتعالى في أسمائه وصفاته. **[شرح كشف الشبهات]**.

س ٤٧: ما رأيكم في قول البغوي أن الصمد الذي لا جوف له؟

= فلان، أي: اقصد قصده، فالصمد السيد الذي يُصمد إليه في الأمور ويُقصد في الحوائج» ا.هـ.

انظر: تفسير الطبري (٣٠/ ٣٤٤ - ٣٤٧)، وتفسير عبد الرزاق (٣/ ٤٠٧)، وتفسير ابن عطية (٥/ ٥٣٦)، والسنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٩٩)، ومجموع الفتاوى (١٧/ ٢١٤ - ٢٣٨)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٥٧١)، وفتح الباري (١/ ١٤٥)، وفتح القدير (٥/ ٥١٦) وأضواء البيان (١/ ٤٧٤).

الجواب: هذا التفسير فسره ابن عباس وغيره، الصمد فسر بعدة تفسيرات منها أن الصمد هو الذي لا جوف له، هذا من التفاسير الصحيحة. **[فتح المجيد شرح كتاب التوحيد]**.

س ٤٨: يقول تكلمتم عن ضوابط في فهم السيرة، فهلا تكلمتم عن أخرى في فهم التفسير؟

الجواب: أما ضوابط في فهم السيرة، فإنها لم تكمل، في حاجة إلى زيادة في ملاحظة كثير من الكتابات في سيرة المصطفى ﷺ، وما ذكر إنما هو فتح باب لهذا الموضوع المهم، وأما التفسير، فالتفسير أجل العلوم؛ لاحتوائه على العلم بالله ﷻ، وأسمائه، وصفاته، وكل علوم الشريعة في التفسير، ومعرفة الضوابط في فهم التفسير، أو في إدراك كلام العلماء على التفسير مبني على فهم مناهجهم في تفاسيرهم، وهذا يرتبط بفهم مواقع الإجماع في التفسير، ومواقع الخلاف، وقواعد الترجيح بين الأقوال المختلفة في التفسير، وهذا الأخير - وهو قواعد الترجيح - يشترك فيها جملة من العلوم، منها علم اللغة، ومنها علم الإسناد، ومنها علم الأصول، فكُتبت كتابات في قواعد الترجيح بين أقوال المفسرين، سواء كانت تفاسير السلف، أو تفاسير الخلف، وهذا - كما ذكرت - يبنى على معرفة اللغة، فكثير من الأقوال في التفسير يرجح قولًا على قول باعتبار اللغة؛ لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، ومنها ما يرجح باعتبار قواعد الترجيح عند علماء الأصول، فإن الأصوليين في الترجيح بحثوا ذلك بحثًا طويلًا، وأيضًا في أثناء كلامهم على دلالات الألفاظ، أو على الدلالة بشكل عام، يمكن أن يرجح بها كثيرًا من المسائل، وابن جرير رحمه الله رجَّح بالأصول في كثير من المواضع المشكلة.

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أيضًا رجح بالأصول في كثير من المواضع المشكلة في التفسير.

والثالث: الإسناد، والإسناد المراد به معرفة أسانيد المفسرين، وأسانيد المفسرين - كما ذكرته في غير هذا المجلس - ليست مبنية على أسانيد المحدثين بشكل مطابق لها، يعني: أن أسانيد المفسرين إذا نُظر إليها في بعضها من جهة الرجال الذين تناقلوا هذا الإسناد، وروي في الكلام عليهم من جهة الجرح والتعديل، ربما ظن الظان، أو وصل الناظر إلى أن هذا الإسناد غير مقبول أو ضعيف، بينما هو حجة عند المفسرين من السلف بالإجماع، وهذا له أمثلة كثيرة، وله قواعد معلومة، وخاصة في النسخ التي روي بها التفسير، فمثلًا: تجد أن الكلام على صحيفة علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قد قدح فيها بعض أهل الحديث بأنها وجادة، ومنقطعة؛ لأن عليًا لم يدرك ابن عباس رضي الله عنهما، وهي عند علماء التفسير الغاية في الحجة عن ابن عباس، وحررها بعض علماء الحديث كالحافظ بن حجر، وقال: إن الواسطة عُلمت، وهي أن عليًا أخذ هذه الصحيفة من مجاهد، ومجاهد أعلم الناس بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما، مثلًا: تفسير أسباط بن نصر عن السُدِّي، والسُدِّي وأسباط بن نصر فيهما كلام، لكن أسباط بن نصر روى كتاب السدي، فهي رواية كتاب محفوظ، تناقلها العلماء، إلى آخر ذلك...، يعني: هذه لها أسئلة كثيرة، فلا ينظر في أسانيد المفسرين إلى قواعد أهل الحديث بإطلاق، بل معها ينظر إلى صنيع المفسرين؛ لهذا لو نظرت في تفسير ابن أبي حاتم - وهو من أصح التفاسير السلفية المنقولة بالأسانيد -، لوجدته أنه شرط في أوله أن يكون ما رواه بالأسانيد من أصح ما وجد، وإذا

نظرنا في كثير منها من جهة رواية الحديث لانتُقد ذلك، ولَعُدَّ ضعيفًا، أو ضعيفًا جدًا، بحسب الرواية، منها ما هو ضعيف، نعم، لكن منها ما هو متعاهد، أو مقبول باضطراد عند علماء التفسير، وهذه تحتاج إلى تفصيلات وأمثلة، المقصود أن فهم ضوابط التفسير لا شك أنه من العلم المهم، وخاصة - كما ذكرت لك - مواقع الإجماع والترجيح، يعني: ما أجمعوا عليه، وما رجَّحه طائفة، أو الخلاف، وكيف ترجَّح؟ فمثلًا: في القضية المشهورة، أو في المسألة المشهورة عند قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠] التفسير المشهور فيها أن المراد باللذين آتاهما صالحا، وجعلا له شركاء إنما هما آدم وحواء، هذا هو التفسير المشهور، بل هو تفسير السلف - يعني: الصحابة -، وهناك من ردَّ هذا التفسير، وقال: كيف يكون من آدم وحواء أنهما أشركا؟! ولم يفقه حقيقة المسألة، لكن المقصود من التمثيل أن السلف - أعني: الصحابة ﷺ - ليس بينهم خلاف في ذلك، وإنما بدأ الخلاف من الحسن البصري في هذه المسألة؛ ولهذا لما ساق ابن جرير رحمه الله كلام الحسن بأن المراد بالمثنى هنا اليهود والنصارى، أو المشركين الوثنيين، والمشركين من أهل الكتاب، قال ابن جرير في آخر ذلك: (والقول في ذلك عندنا أن المراد: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ آدم وحواء؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك)[1] وهذا الإجماع منعقد قبل الخلاف، وهذا من المسائل المهمة، فإن بعض المفسرين قد يأخذ قولًا، مع أن الصحابة ﷺ لا يُعرف فيهم هذا

(١) انظر: تفسير الطبري (٩/ ١٤٨).

القول، قالوا بخلافه. ومعلوم أنه لا يجوز أن يُعتقد، أو يظن أن الصحابة ﷺ ينقرضون، ولا يكون فيهم من يقول القول الصواب في الآية؛ لأن العلم لابد أن يكون محفوظًا فيهم، ومن بعدهم لا يدركون صوابًا خفي على الصحابة ﷺ؛ ولهذا نقول: إذا أجمع الصحابة ﷺ على قول، فهو الحجة بل إذا اختلف الصحابة ﷺ في الآية على قولين، لم يجز إحداث قول ثالث، إلا إذا ظُنَّ أن بعض الصحابة ﷺ المشهورين بالتفسير لم يُنقل له كلام في هذه الآية، وكان هناك دليل يساعده، أما إذا كانت المسألة اجتهادية، يعني: راجعة إلى العلم الاجتهادي في التفسير، وليس فيها أثر، ولا عموم، ... إلى آخر ذلك، فلا يجوز إحداث قول خفي، أو لم يقل به صحابة رسول الله ﷺ، وهذه قواعد فهم التفسير، وهي متنوعة، كُتب فيها كتابات: أصول التفسير، أو قواعد في فهم التفسير، لكن بحاجة إلى تحقيق وتدقيق وكتابات مركزة، ولا شك أن طالب العلم يحتاج إلى هذا كبير الحاجة. **[شرح كشف الشبهات]**.

س ٤٩: ما معنى قوله ﷻ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩]؟

الجواب: أصح الأقوال في تفسير الآية ما رواه، أو ما فسرها به ابن عباس ﷺ من أن قوله في آخر سورة الرعد: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩] يعني: بما في أيدي الملائكة من الصحف ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: اللوح المحفوظ، فما في أيدي الملائكة من الصحف يقبل التغيير، ويكون تغيره من القدر الذي في اللوح المحفوظ، وأما ما في اللوح المحفوظ، فإنه لا يتغير، فمثلا: من جهة الأعمار في

اللوح المحفوظ، الأجل وما في أيدي الملائكة عمر، فإن وافق ما في أيدي الملائكة - يعني: في التقدير السنوي - ما في اللوح المحفوظ، صار العمر أجلًا، وإن لم يوافق، صار قابلًا للتغيير بالقدر في بالدعاء، أو البر، أو بصلة الرحم، صار يتغير هنا ما في صحف الملائكة بالأسباب؛ كما في قوله ﷻ: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [فاطر: ١١]، وكذلك كما في قوله ﷺ: «من سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ له في رِزْقِهِ - والرزق مقدر - وَأَنْ يُنْسَأَ له في أَثَرِهِ - يعني: يمد له في عمره - فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[1] فصلة الرحم سبب، فيكون ما في صحف الملائكة من العمر إذا لم يصل، فإن وصل، زيد فيه، فيكون الأول، وهو أصل العمر، والزيادة موجودة في الصحف، والنتيجة النهائية هي الموافقة لما في اللوح المحفوظ، وهذا هو أولى الأقوال في تفسير الآية، بل به يستقيم القول في القدر على وفق منهج وعقيدة أهل السنة والجماعة. [شرح كشف الشبهات].

س ٥٠: ما معنى قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]

الجواب: هذه آية في سورة البقرة، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٤] فإذا أراد المرء أن يفعل إصلاحا، أو أمرا فيه تقوى له، أو بر، فلا يقل: أنا حلفت ما أفعل البر، ما أصلح، ما أفعل التقوى، ما أصلح بين الناس، أو ما أفعل البر، فلا يجعل اليمين حاجزًا له عن فعل الخير، بل سنة النبي ﷺ أنه إذا حلف على شيء، فرأى خيرًا منه، أتى الذي هو خير، وكفر عن يمينه،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٦، ٢٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

هذا أصح التفاسير في الآية، يعني: لا تجعل حلفك بالله مانعًا لك من إتيان التقوى، وإتيان الخير والبر، والإصلاح بين الناس.

س ٥١: هل تحمل آية سورة طه على الاستحباب أم الوجوب ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾؟

الجواب: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠] يعني عندك: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ هذه صلاة الفجر، ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ هذه صلاة العصر: ﴿وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ هذه أيضا صلاة العشاء، وقيام الليل الذي هو واجب عليه ﷺ: ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ هذا إما أن يحمل على التأكيد، يعني: صلاة الظهر والعصر، أو أنه على الأعمال المستحبة من الذكر المعتاد؛ لأن الأصل في الذكر أنه الذكر الذي هو غير الصلاة الاستحباب، هذا الأصل فيه، الأذكار طرفي النهار، أذكار الدخول والخروج من المسجد ... إلى آخره، هذا الأصل فيه أنه للاستحباب، جميعها للاستحباب، ليست للوجوب بل للأفضلية، من فعلها، فقد أحسن، ونال القربى، ومن ترك، فلا حرج عليه.

فإذًا ممكن الذي يقول: إن التسبيح هنا هو التسبيح المعروف ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أليس هو الصلاة؟ يقول: إن هذا أمر استحباب؛ لأنه يسير على قاعدة الذكر، وأما الخصوصية، فلا يصار إليها إلا بدليل، الأصل اشتمال الأوامر له ﷺ ولغيره، الجميع مخاطب.

س ٥٢: ما معنى الكاف في قوله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؟

الجواب: هنا في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ يورد إشكال على من جعل الكاف بمعنى مثل، وهو يقول: إذا قلنا إن المعنى الكاف بمعنى مثل، فتكون الآية: ليس مثل مثله شيء. يقول: يقتضي هذا إثبات المثل؛ لأنه يكون في الآية نفي لمثل المثل، ونفي مثل المثل لا يقتضي نفي المثيل.

ونقول: هذا يصح لكن في غير لسان العرب، أما العربي إذا أراد أن يبالغ في نفي المثل، نفى وجود مثل المثل، فإذا نفى وجود مثل المثل، فنفي وجود المثيل عنده من باب أولى.

فالعرب من لغتها أنها إذا أرادت المبالغة الشديدة في نفي المثل نفت مِثل مَثل المثل، لماذا؟ لأنه كأن المثل أصلًا لا يُلتفت إليه، فهو ينفي وجود مثيل ذلك؛ لأن هذا الأول كأنه مفروغ من أنه لا يوجد، ولكن ذهب إلى الدرجة الثانية، وليس معنى هذا أنه إذا نفينا الأدنى أننا نثبت الأعلى، لا، لكنها في العربية أنه إذا أراد المبالغة في النفي نفى شبه الشبيه، نفى مثل المثيل، هذا أشد المبالغة.

لكن الوجه الذي يرجحه كثير من المحققين من أهل العلم أن الكاف صلة، وهذا ظاهر، ولا نحتاج معه إلى جواب عن هذا الإيراد. [**شرح لمعة الاعتقاد**].

س ٥٣: ما الضابط في التفسير الإشاري، وهل يصح عند أهل السنة؟

مثل: ﴿لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فيه كَلْبٌ ولا صُورَةٌ﴾[١] قالوا: هذا إشارة تدل على كذا، ما الضابط في هذا؟

الجواب: ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب (التبيان في أقسام القرآن) ذكر أن التفسير الإشاري يصح بثلاثة شروط[٢]:

الأول: أن يكون المعنى يتحمله اللفظ في اللغة.

والثاني: أن يكون التأويل في نفسه صحيحًا.

والثالث: ألا يترتب عليه معنى خاطئ.

هذه ثلاثة شروط لصحة التفسير الإشاري؛ لأن الإشارة معناها: دلالة الآية على شيء خلاف الظاهر، ويكون الظاهر مقصودًا، ولكن فيه دلالة أخرى، هذه الدلالة الزائدة إذا انطبقت عليها هذه الشروط الثلاثة التي ذكرها ابن القيم في (التبيان) فيه مستقيمة:

الأول: أن يكون اللفظ يحتمل هذا المعنى في اللغة.

والثاني: أن يكون التفسير صحيحًا في نفسه.

والثالث: ألا يترتب عليه معنى باطل.

س ٥٤: يعني: يا شيخ، الدلالة اللفظية تؤخذ من اللفظ نفسه؟

الجواب: يعني: يكون مثل ما تقول: فيه إطلاق اللفظ، أن تجعل هذه الصورة المقيدة التي تحولها إلى إشارة، تكون داخلة فيه، مثل: «لَا تَدْخُلُ

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٨، ٣٢٢٦)، ومسلم (٢١٠٦) من حديث أبي طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) انظر: التبيان في أقسام القرآن لابن القيم (١/ ١٤٣).

الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فيه كَلْبٌ ولا صُورَةٌ»[١] هنا جاء شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، قالوا: فكيف يدخل النور قلبًا قد ملئ بكلاب الشبهات وصور الشهوات؟![٢] هنا التفسير هذا صحيح، لماذا؟ لأن الملائكة دلالتها على النور صحيحة، البيت القلب صحيح، القلب بيت، الصورة صور الشهوات كلب الشبهات؛ لأن فيها كلبًا، وفيها لهثًا، التفسيرات اللفظية صحيحة، ولا يترتب على هذا معنى باطل، فالشروط الثلاثة التي وضعها صحيحة في نفسها، ولذلك يستقيم التفسير، يعني: بمعنى لا يكون التفسير خطأ، يعني: ممكن اللغة تدل عليه، لكن هو غلط، لكن التأويل يحتمله، ولكنه غلط في هذا المقام، ليس صحيحًا؛ إما أن السياق لا يساعد نصوصه، يعني: من الأمثلة في قوله ﷻ في سورة الأنعام: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١] هذه أصحاب التفسير الإشاري جميعًا يستدلون بها على الذكر المفرد؛ لأن ﴿قُلِ﴾ هذا أمر ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ ما قال: قل لهم كذا، ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ قالوا: إن هذا فيه إشارة - يعني: هي جواب لما قبله - فيه إشارة على أن المرء إذا قال: الله بذكر مفرد أنه يصح، ويكون مركبًا لها على شيء محذوف، إما في نفسه، يقول: الله، تقول له: ما قصدك؟ يقول: أنا أقول: لا إله إلا الله، ما قصدك، الله أكبر، ونحو ذلك؛ لأنه في الآية ما كرر، يقول فيه إشارة إلى جواز الذكر المفرد، أو استحباب ذلك. فهذا المعنى غير صحيح، يعني: في نفسه هذا المعنى غير صحيح.

---

(١) سبق عزوه (ص ٥٨).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٤١٨)، والمستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١٧٠).

س ٥٥: يرد هذا السياق المعنى، ويقال: غير صحيح أو دلالة النصوص؟

الجواب: لا، الإشارة أن الواحد له أن يقول كلمة، ثم هو يؤولها على ما هو في ذهنه، هذا شيء غير صحيح؛ لأن معناه أن اللغة كل واحد يقول كلمة لا أول لها ولا آخر، ويقول: أنا أعني بها كذا. [**مجلس ٢١/ ٧/ ١٤٢٣هـ**].

س ٥٦: أحسن الله إليك التفسير الإشاري الذي ذكرت مَنْ أحسن من يتكلم عنه وفيه من حيث الاستنباط من الكتاب والسنة؟

الجواب: يعني من حيث ما يعتمده أهل السنة التفسير الإشاري ما يعتمد، ولكن أحيانًا قد يقولها من باب لطائف الآية، أو شيء، ولكن كاعتماد، الذي يعتمدها الصوفية، وأول من زاد فيه - يعني: من بالغ فيه - السلمي، ثم ابن عربي في تفسيره المعروف، ثم مشى الخازن بعده ومجموعات إلى أن وصل زيادته عند الألوسي في (روح المعاني)، وأبلغ منه وأعظم المظهري في كتابه (تفسير المظهري)، المظهري كله إشاريات.

س ٥٧: هل يجوز أن يطبق الإنسان هذه الشروط الثلاثة؟

الجواب: لا، التفسير الإشاري ليس المقصود، الكلام متى يجوز؟ يعني: لو واحد لاحت له إشارة، فهل يجوز أن يأخذ بها أو يردها؟ نقول: لا بأس بالثلاث شروط، ولكن أن ينهجه، نقول: إن هذا خلاف الأصل، المهم الحقيقة: تفسير المقاصد، مقاصد السور، يعني: التفسير المقاصدي للقرآن هذا من أهم المهمات، خاصة في هذا العصر؛ لأنه من أعظم الوسائل لتقريب القرآن للناس، موضوع السورة، الآيات، تخدم هذا الموضوع

س ٥٨: مثل سورة العنكبوت؟

الجواب: نعم، في عدد من السور أنا تأملت كثيرًا الآن، واستقامت كثيرا جدًا، ولكن تحتاج إلى تتبع.

س ٥٩: في القصار؟

الجواب: لا تأملت في الطوال، سورة (البقرة) استقامت، سورة (آل عمران) استقامت، سورة (النساء) استقامت، سورة (المائدة) استقامت كل هذه.

س ٦٠: وسورة (هود).

الجواب: ما تأملتها.

س ٦١: يا ليت يا شيخ نتأمل سور جزء عم؛ لأن الناس في حاجة ماسة إليها، والمعاني التي فيها كل في حاجة إليها لترسيخ الإيمان في القلوب.

الجواب: والله إن التفسير أهم شيء في الحقيقة؛ لأن الحجة على العباد بالقرآن، فبقدر أن تستطيع كطالب علم أن تعظم استدلالتك بالكتاب، وتقرب الناس إلى الكتاب - كتاب الله ﷻ -، ثم سنة رسوله ﷺ هذه أعظم ما يكون العبد فعلًا يحقق به طلبه للعلم. [**مجلس ٢١/ ٧/ ١٤٢٣هـ**].

س ٦٢: يا شيخ الله ينفعنا بعلومكم، هل يدخل في التفسير الإشاري قول مجاهد رحمه الله: إن الله أنزل من الكتب أربعة عشر كتابًا، وعادت علومها إلى التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، ثم عادت علوم أربعة إلى القرآن، ثم عادت علوم القرآن إلى المفصل منه، ثم عادت علوم المفصل منه إلى الفاتحة

منه، ثم عادت علوم الفاتحة إلى البسملة منه، ثم عادت علوم البسملة إلى الباء فيها.

الشيخ: هذا لا يدخل في التفسير الإشاري، لأن الإشارة - كما ذكرنا - فيها أربعة شروط لصحتها، وهي غير موجودة هنا، الإشارة أن يكون هناك لفظ يُقال: إنه إشارة إلى كذا، إشارة إلى معنى، هذا يصح بشروطه مثل: (الماء) تقول: الماء إشارة إلى الوحي في بعض الآيات، الماء وإحياء الأرض الميتة إنه إشارة إلى الوحي: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحديد: ١٧] الإحياء هنا إشارة إلى إحياء القلوب، هذا نقول: صحيح، من قال هنا: هذا إحياء القلوب، نقول: صحيح، لماذا؟ لأنه اجتمعت الشروط:

أولًا: لا يشتمل على عقيدة باطلة.

ثانيًا: اللفظ المنقول منه ثابت، يعني: الأرض الميتة ثابت المعنى، وفيها إشارة مزيدة على ذلك إلى القلب، والقلب أرض، والإحياء صحيح، فهذا الربط صحيح، مثل ما فسر أيضًا فُسر الحديث: «**لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فيه كَلْبٌ ولا صُورَةٌ**»[١] قال ابن تيمية في تفسيرها: (وكذلك لا تدخل قلبًا) البيت جعله قلبًا، وهو صحيح، القلب بيت قال: (**لا يدخل قلبًا قد ملئ بكلاب الشبهات وصور الشهوات**)[٢] وهذا صحيح، النقل - يعني: الربط - هذا صحيح، أما الأثر الذي ذكرته، فأنا في ظني - إن كان حفظي صحيحًا - أنه لا يصح، وأنه مما نقله بعض المتصوفة، ولاسيما وأن الباء ليس فيها

---

(١) سبق عزوه (ص ٥٨).

(٢) سبق عزوه (ص ٥٩).

سر، وقد يُحمل فيه تكلف، يعني: إذا قلنا إن المقصود بالباء هنا يرجع إلى معنى واحد، وهو الاستعانة، وهذه الاستعانة لا ترجع لها علوم كتب الله ﷻ، الاستعانة بالربوبية، وهي مفتاح كل خير، ولكن لا ترجع إليها علوم القرآن جميعًا وعلوم الفاتحة جميعًا.

س ٦٣: أمثال هذا الحديث يرد إلى أي مدرسة من مدارس التفسير؟

الشيخ: هذا تفسير بالاجتهاد، أي نعم، يعني: بالرأي، إذا استوفى الشروط، فهو مقبول، أو يكون مذمومًا.

س ٦٤: قلت يا شيخ إن التفسير بالإشارة له أربعة شروط، وفي الدرس الماضي ذكرنا ثلاثة شروط فقط.

الشيخ: الشروط الأربعة هي:

الأول: أن لا يشتمل على عقيدة باطلة، يعني: نعلم أنها باطلة.

الثاني: أن يكون المعنى الأصلي ثابت.

الثالث: أن يكون المعنى المنقول إليه أيضًا صحيحًا في نفسه أو في اللغة وفي نفسه.

والرابع: ألا يكون هناك دليل يبطل هذه الإشارة.

على العموم أنا أذكر من كتاب ابن القيم (التبيان) هي موجودة فيه، التبيان طبعًا كتاب مهم، مهم جدًا، التبيان قل من يطالعه، ويمر عليه، ولكن فيه علوم كثيرة، خاصة ما يتعلق بالقرآن، وتفسيره فيه فوائد كبيرة جدًا.

س ٦٥: هل يُشترط في التفسير صحة الإسناد، وما معنى قول الإمام أحمد: ثلاثة ليس لها أصول؟

الشيخ: ثلاثة ليس لها أصول: السير، والمغازي، والتفسير، يعني: ما يوجد لها أصول أسانيد، أكثرها تنقل بدون أسانيد.

س ٦٦: إذًا لا تصح إذا لم يكن لها سند؟

الشيخ: لا تكون صحيحة من حيث التفسير، أو من حيث النقل؟ لا، بالتفسير ما لها علاقة، فقد يكون الإسناد ضعيفًا، والتفسير صحيحًا، بمعنى: الإسناد هو: نقل الكلام إلى قائله، إذًا نقول: هذا النقل إلى القائل الإسناد ضعيف، ولا يعني: كون الإسناد ضعيفًا أنه يكون ضعيفًا في نفس الأمر؛ لأن الضعيف قد يحفظ، ولكن من باب الاحتياط قلنا: إنه ضعيف، ولذلك في الحلال والحرام نتشدد في مسألة الأسانيد، ولكن في أسانيد التفسير لا ينبغي التشدد أولًا.

ثانيًا: ليس كل راوٍ يُحكم عليه في باب الحلال والحرام بأنه ضعيف أن يكون ضعيفًا في التفسير، هناك رواة كثير ضعاف في حفظ أحاديث الأحكام ولكن هم أصحاب قرآن، كيف أضعفهم فيما هو صنعتهم؟! يجيء مثلًا نقول: نلقاه في التقريب يقول: ضعيف. نراجعه، نجد أنه ضعيف في الروايات، ولكنه صاحب قرآن، إذا كان صاحب قرآن نضعفه في التفسير؟! ففيه نظر إذا كان الإسناد ضعيفًا، ولكن التفسير في نفسه عن ابن عباس رضي الله عنهما مستقيم، يعني: لا يُستغرب أن يقول عن ابن عباس؛ لأنه يوافق تفسير الآي مثلًا فسر الأب بكذا، نقول: إسناد ضعيف؟ نقول: ما يصح عن ابن عباس رضي الله عنهما؟ ما فيه ما يُستغرب، فلذلك مسألة اللجوء إلى أن الإسناد في التفسير

نقول: ضعيف. ليس هو الأصل، الأصل أن نقبل ما جاء في التفسير، إلا إذا كان هناك غرابة في التفسير، أنه تفسيره تفسير آية، ويكون لها مستندها، لهذا التفسير مستنده، بخلاف ما إذا كان الإسناد منكرًا، أو الإسناد موضوعًا، أو نحو ذلك، هذا يجب صده، مثل: إسناد الكلبي المشهور الذي يروى به تفسير ابن عباس رضي الله عنهما الطويل المسمى (تنوير المقباس)، هذا في إسناده الكلبي، والسدي الصغير محمد بن مروان.

س ٦٧: هل هناك كتاب ذكر أجود الأسانيد في التفسير؟

الشيخ: ما أحفظ كتابًا ذكره، ولكن ممكن تلقاها، يعني: تطالع جزءًا من تفسير ابن جرير، تطلع لك كلها؛ لأنها فيه كلها تكرر.

س ٦٨: المقولة المشهورة عن الإمام أحمد: ثلاثة علوم لا أصول لها، هذه تكلم في إسنادها؟

الشيخ: لا، ثلاثة ليس لها أصول: السير، والمغازي، والتفسير.

س ٦٩: ولكن بعض الباحثين الذين لهم دراسة في ما يتعلق بالتفسير والمفسرين يقول ما ثبتت؟

الشيخ: يقولون: ما ثبتت، ولكني أظنها في أحد المسائل، مسائل الإمام أحمد لطلابه، مر علي، ولكن في أي وحدة ما أدري.

طالب: هذه ما تفرد بها الإمام أحمد.

السائل: هل الترجيح هو الاجتهاد في التفسير؟

الشيخ: لا، مسألة الترجيح هذه صنعة أخرى، الترجيح غير الاجتهاد في

التفسير، الترجيح يحتاج آلة، آلة غير مجرد الاجتهاد، يعني: ليس كل من يجوز له الاجتهاد يجوز له الترجيح، الترجيح هذا صنعة الأئمة والمحققين، قد يجتهد هو في التفسير، ولا يكون فيه مخالفة في تفسير، طالع تفسير ابن كثير، ما معنى اجتهد؟ يعني: مثلًا: طالع تفسير ابن كثير، وفهم من كلام السلف، وتفسير ابن كثير أن معنى الآية هو كذا، وراح فسرها، فسرها، وطول في الآية، قعد - ما شاء الله - عشر دقائق يفسرها، لكن فحوى كلامه يرجع إلى كلامهم، ولكنه يفسر، ويعظ معها، ويدخل كذا، يدخل تفصيلات، يربطها بأحاديث أخرى، يزيد مسألة، ولكن كلها ماشية، هذا داخل في الاجتهاد، يكون فيه نقطة ما تعرض لها في تفسير ابن كثير، مثلًا: هو يعرفها زادها، تستقيم معه، ولكن هذا لا يعني أنه هو أهل لأن يرجح عند الاختلاف، الترجيح هذا يحتاج آلة قوية للمحققين من أهل العلم، ليس الترجيح سهلًا. [**مجلس١٢/ ١/ ١٤٢٤هـ**].

س ٧٠: أحسن الله إليك، بالنسبة للموضوعات التي تكون في السور الطوال، هناك أحد المفسرين أفتى بموضوع حفظ آيات يستدل بها لموضوع معين؛ لأن تفسير آية آية قد - أحيانًا - لا يفيد طالب العلم، أو من أراد أن يفسر القرآن، يبتر بعض الموضوعات المرتبط بعضها ببعض؟

الجواب: التفاسير كما قال الشيخ الزركشي، الزركشي في أول (البرهان في علوم القرآن) وكان بعض مشايخنا يقول: العلوم ثلاثة:

١- علم نضج واحترق، وهو الفقه.

٢- وعلم نضج ولم يحترق، وهو العربية.

٣- وعلم لم ينضج ولم يحترق، وهو التفسير. هذا صحيح.

س ٧١: أدخل الحديث في الثاني؟

الجواب: أدخل الحديث في الثاني، جزاك الله خيرًا، يعني: العربية والحديث. [**مجلس ٢١/ ٧/ ١٤٢٣هـ**].

س ٧٢: ما رأيكم في كلام الشيخ السعدي: أنني كلما جئت على ما تقدم، وأعيد تفسيرها؟

الجواب: وهذه من العلوم الغزيرة، علوم القرآن ما تنتهي، يعني: على حسب ما عندهم من العلم وتجدد العلم، القرآن تقرأ السورة الآن، وتقرؤها مرة أخرى، تظهر لك أشياء كثيرة من المعاني ومن التأثيرات، القرآن أهم شيء، هو الأساس، ولذلك وصيتي لنفسي ولجميع الإخوان هي العناية بهذا الكتاب العظيم، والواحد قد ينسى أشياء، ولكن إذا بقي معه القرآن والاستدلال به، وفي فهمه، فهو على خير إن شاء الله. [**مجلس ٢١/ ٧/ ١٤٢٣هـ**].

س ٧٣: ما مقاصد سورة (البقرة)؟

الجواب: هي الكليات الخمس: الحفاظ على الدين، والنفس، والعقل والمال، والنسل، كلها من أولها إلى آخرها وجدتها أنا تدور على هذا، أولًا: المحافظة على الدين، فيها التوحيد، وفيها أركان الإسلام الخمسة كلها، فيها الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج.

المحافظة على النفس: فيها أحكام القصاص، والقتل، والردة، أحكام الردة فيها؛ لأن قصة آدم عليه السلام موجودة في كذا سورة، هنا فيها مزيد في سورة

(البقرة)، فيها زيادة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠]، الفساد وسفك الدم هذا راجع إلى الكليات الخمس، قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لاحظ كلها فيه ذكر الدين، والنفس، والمال، قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَءْتُمْ فِيهَا وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢]، ثم بعد ذلك، بعد النصف الأول في الحزب الثاني قال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤] كلها تمشي على القصص التي فيها ذكر قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في الدين، ما الإسلام؟ تأملها، تجد هذا، أنا مشيت معها - والحمد لله - أرجو أن تكون فتحًا من الله عَزَّوَجَلَّ، تأتي بالكليات الخمس من أولها، والكليات الخمس هي التي جاءت بها الشريعة، وليس أن تكون أول سورة فيها هذه الكليات التي اجتمعت عليها الشرائع، وهي في شريعة الإسلام أيضًا، الربا هذا غريب تجد في آيات كثيرة متابينة فيها ذكر المال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]، ثم في آخرها: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [البقرة: ٢٧٥] تحريم الربا هذا في المحافظة على المال، آيات الخمر، وذكر الميسر فيها، آيات الخمر ذكرت فيها كتحريم أول الخمر، الأسرة وعلاقتها للمحافظة على النسل، يعني: كلها من أولها إلى آخرها مستقيمة. **[مجلس ٢١/ ٧/ ١٤٢٣هـ]**.

مداخلة: يعني: التفسير واحد في التفسير، بالنسبة للتفسير، في (ال) مع أسماء الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن، الرحمن، الرحيم، وهكذا، هذه الـ(ال) ما هي؟

الشيخ: (ال) بعضهم يقول: (ال) التعريف، وبعضهم يقول لام

التعريف؛ لأنه لا يمكن البدء بساكن أتوا بالألف قبلها، مثل ما قال ابن مالك في أول الألفية قال:

ال حرف تعريف أو اللام فقط   فنمطًا عرفت قل فيه النمط

هنا إذا اتصلت باسم فاعل أو اسم مفعول، تكون هنا ليست للتعريف، عندك مثلًا: قائم، تقول: القائم، ما عرفته، ولذلك تتجه هنا أن تكون اسمًا موصولًا بمعنى (الذي)، إذا كانت اسمًا موصولًا، عمت ما حواه اسم الفاعل من الحدث، أو من المصدر، يعني: عمت القيام، تقول: القائم بأمر الله، عمت أنواع القيام بأمر الله، فاسم الله ﷻ الرحيم، الرحيم فعيل، وهي صيغة مبالغة عن فاعل، يعني: أصلها فاعل، عُدل عنها إلى فعيل للمبالغة في تحقق هذه الصفة، فإذا دخلت عليها اللام، دلت على استيعاب، أو على شمول أنواع الرحمة، ولهذا فهم ابن عباس رضي الله عنهما لما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]، قال: رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما. هذا نوع من العموم الذي فهمه من اسم الفاعل.

مداخلة: من الرحمن والرحيم.

الشيخ: نعم، كلها؛ لأنه كيف فهم العموم هنا؟ ابن عباس عبَّر برحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، يعني: رحمته في الدنيا والآخرة، من أين فهمه؟ من اللام، ولذلك كثير من تفاسير السلف تقول، وما دليله عليه؟ اللغة، اللغة التي هي ملكة أصلية عندهم.

مداخلة: بمعنى الذي يا شيخ، كذا تفسيرها: اسم موصول بمعنى الذي؟

الشيخ: أي نعم، مثلًا: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] يعني: إن الذين أسلموا، واللاتي أسلمن، إذا أردت أن تحولها.

مداخلة: يعني: يقول: بسم الله الذي هو الرحمن، كذا؟

الشيخ: لا، تقول هنا: بسم الله الذي شملت رحمته كل شيء، إذا أردت أن تفسرها، طبعًا هذا تفسير.

مداخلة: أريد تقريرًا لقضية أنها موصولة فقط.

الشيخ: والعموم على الحدث الذي هو الرحمة.

مداخلة: جميع الأسماء؟

الشيخ: لا، هذه الأسماء التي فيها اسم فاعل واسم مفعول، مثل أسأل المحمود، المعز، هذا اسم فاعل، النافع اسم فاعل، الضار اسم فاعل، السميع اسم فاعل، البصير اسم فاعل، أو اسم المفعول في الأسماء مثل المودود، المؤمن، لا.. مؤمن اسم فاعل، المحمود، المودود.

مداخلة: المؤمن تأتي على الوجهين اسم فاعل واسم مفعول؟

الشيخ: لا.. مؤمن اسم فاعل.

مداخلة: ما تأتي اسم مفعول الذي أومن؟

الشيخ: كيف؟ لا.. تصير مُؤمَن.

مداخلة: من جهة الصياغة.

الشيخ: من جهة الصياغة، مؤمن مُفعل، هذا اسم فاعل. [**مجلس ٨/ ١١/ ١٤٢٣هـ**].

س ٧٤: أحيانًا يرد بعض المواضع يجمع الله ﷻ فيها بين المفرد والجمع في موضع واحد، ويغاير بين الكلمات، مثل: الظلمات والنور، ومثل: السمع والأبصار، اليمين والشمائل، فهل لهذه مقصد ينظر فيه طالب العلم، ويتمعن لمَ غير الله ﷻ، أما أنه يتركها، ويقول: كما تركها الأولون؟

الشيخ: كل واحدة لها غرض، فتارة يكون اللفظ مفردًا، وهو لا يجمع، ولا يراد به الجمع، يعني: لا يُراد به الجنس، هو مفرد، مثل: النور، النور واحد، تارة يرد اللفظ مفردًا، ويكون المراد به الجمع، ولكن عُبر بالمفرد لغرض لفائدة، مثل: اليمين والشمائل، وهي الأيمان والشمائل، هذا المقصود منه جنس اليمين: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ [النحل: ٤٨] عن اليمين يعني: الأيمان والشمائل، ولماذا هنا جعل اليمين واحدًا؟ لأن اللفظ يفيد الجنس، فيكون هناك فائدة بلاغية إضافية، يعني: هنا المفرد، ولكن المراد به الجنس، ولكن يأتي مفردًا، ويراد به المفرد، مثل: الظلمات والنور، مثل: المشرق والمغرب، المشرق والمغرب هنا المراد بها اتباع المفرد، وفي اللفظ الثاني المشرقين والمغربين للمثنى، المشارق والمغارب الجمع، فهي إذا كان المفرد أريد به المفرد جاء مع الجمع لفائدة، وإذا كان المفرد أريد به الجنس، وجاء معه جمع أيضًا لفائدة.

س ٧٥: يعني: تطلبه ليس من التكلف؟

الشيخ: هو ليس من التكلف، العلماء نصوا عليه.

س ٧٦: ذكره من تأخروا، لكن بعض الإخوة من طلبة العلم يقول: هذا ليس موجودًا في كلام السلف كثيرًا.

الشيخ: كل البلاغة.

س ٧٧: حسنًا يا شيخ، لو تمعنا في بعضه يا شيخ، حتى يسهل.

الشيخ: لماذا لم ينص السلف؟

س ٧٨: ظاهرة لهم.

الشيخ: لأنها ظاهرة لهم، جزء من اللغة التي يتكلمون بها، مثل: الآن نحن نتكلم الآن، ونتحدث، نقول: والله فلان طالب علم، في دلالتها اللفظية: طالب، وإضافة إلى علم، ولكن فيه دلالة عرفية استعمالية معروفة تدل على أن هذا متمكن... إلى آخره، فكثير من كلام السلف ليس فيه تفسير للنكات البلاغية، ولا لمعاني التقديم والتأخير في النحو، ولا لعلم المعاني لأنه مدرك عندهم بموجب اللغة.

س ٧٩: بالملكة؟

الشيخ: باللغة؛ لأن هذه لغتهم، فلا تحتاج إلى تكلف، ولكن لما صار الناس لا يعرفون المعاني البلاغية، احتيج إلى التنصيص عليها، مثل: ما صار في التابعين الإدراك للمعاني اللفظية أقل من إدراك الصحابة، صار سؤالهم عن معاني الآيات أكثر من سؤال الصحابة؛ لذلك النبي ﷺ كم فسر للصحابة رضي الله عنهم؟ قليل؛ لأنهم كانوا يدركون المعاني، الصحابة فسروا لصغار الصحابة أكثر، يعني: التفسير المنقول عن الصحابة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

أكثر بالمأثور، أكثر من التفسير المنقول عن النبي ﷺ، وهكذا التفسير المنقول عن تلامذة الصحابة، تلامذة ابن مسعود رضي الله عنه مثل: عبيدة السلماني ومثل: الربيع بن خثيم وأشباههم، المنقول عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، المنقول عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن عمر رضي الله عنهما أكثر، وهكذا في الزمن الذي بعده أكثر، كلما امتد الزمن، صار التفسير يحتاج إلى بسط، كذلك المعاني البلاغية، المعاني البلاغية كانت مدركة، ولكن صار هناك احتياج إلى إدراكها، وأقصد بالمعاني البلاغية المتعلقة بعلم المعاني، أما البيان والبديع فهذا هو نوع من الصنعة التي فيها تكلف بعض الشيء.

س ٨٠: المعاني البلاغية في الكلمة تحمل على الزمان الذي قيلت فيه، أو تجرى على جميع الأزمنة؟

الشيخ: في نصوص الشرع - يعني: القرآن - فلا شك أنه على كلام العرب.

س ٨١: على التنزيل؟

الشيخ: نعم على كلام العرب، يعني: مثلًا يقول لك: اللام ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝١٣ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ۝١٤ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ [يس: ١٣ - ١٥]، إلى أن قال: ﴿وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [يس: ١٧]. . . إلى آخره، فهنا مجيء اللام هذه مدركة في وقت التنزيل ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ [العصر: ١ - ٢] هذا مدرك القسم وجواب القسم.

س ٨٢: يعني تتفاوت المعاني حسب الزمن؟

الشيخ: لا ، هي بمعنى المعاني البلاغية المتعلقة بعلم المعاني ، هذه من اللغة ، واللغة مرجعها لغة العرب وقت العرب ، وقت كلام العرب ، قبل أن يفشو اللحن في العرب ، هذا هو الأصل الذي ترجع إليه .

س ٨٣: يا شيخ بالإمكان أن تعطي أمثلة تضبط طالب العلم في هذا الباب؟

الشيخ: أمثلة على أي شيء؟

السائل: مثلًا لم فرق الله ﷻ في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ [المؤمنون: ٧٨] لم أفرد السمع والأبصار؟ بعض أهل التفسير ممن تأخروا ممن يهتم بهذا الجانب ذكروا أمورًا ، فما الذي يصح منها ، وما الذي لا يصح؟ وما سبيل طالب العلم في التفريق؟

الشيخ: لابد أن تستعمل ، مثل : النور ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ [الأنعام: ١] النور واحد، والظلمات متعددة، سواءً كان النور الحسي ، أو كان النور المعنوي ﴿وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [المائدة: ١٦] هذا في النور المعنوي، وهو نور الهداية ، النور الحسي ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] هنا النور وحده؛ لأنه واحد، ليس المراد الجنس؛ لأن النور واحد، هذه يدخلها فوائد، يعني : هذا حسب استيعاب المفسر للشريعة ، أو للدين ، أو للنصوص، مثلًا : النور واحد الذي هو ﴿وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ لأن النور هو نور الله ﷻ، وهو هدايته لعباده، وهذه الهداية طريقها واحد، وأساسها واحد ونور واحد، أما

الظلمات، فهي ظلمات الجهل، والهوى، والشهوة، والشبهات. . . إلى آخره، هذه ظلمات كثيرة متنوعة، هنا ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ وهي الظلمات المخلوقة، والنور المخلوق، النور أساسه هنا، نقول: ممكن أن يُقال شيء آخر، ولكن يمكن أن يُقال: النور الذي هو في هذه الأكوان أساسه أنه من أثر اسم الله النور، والنور واحد، فأثره من حيث الجنس واحد، مع أن الأنوار من حيث تعددها مخلوقة متعددة، ولكن الظلمات ليست ناشئة عن أثر من آثار اسم الله ﷻ، ولكن النور أثر من آثار اسم الله؛ فلذلك وحده هنا، وهناك ما يُقبل من كلام العلماء في ذلك أنك تعرضه على أصول العقيدة، وأصول الشريعة، وكلام السلف في الجملة، إذا كان أنه لا يعارضه، ويستقيم من باب اللطائف والفوائد، فما فيه شيء.

س ٨٤: أحسن الله إليك، هل يدخل لمعرفة هذه الأمور الإعجاز البلاغي؟

الجواب: هم يدخلونه، الإعجاز البلاغي يدخلونه، ولكن هناك نظر في تسميته؛ لأن الإعجاز البلاغي الإشكالية فيه أنه فصل الآية في إعجازها اللفظي، إعجاز المعنى لإعجاز البلاغة، الإعجاز الذي يسمونه الإعجاز في نظمه، نظم القرآن الكريم ما يسمى بالنظم، والنظم هو مجموع اللفظ والمعنى، والروابط، ثلاثة أشياء: اللفظ، والمعنى، والروابط، الروابط التي هي تربط الألفاظ بعضها ببعض، وهذه التي جاءت في علم المعاني، وفي البلاغة بشكل عام، وهي التي اعتمد عليها عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) والنظم ما هو؟ لفظ، ومعنى، وروابط، والروابط هذه تجعل هناك اختلافًا كبيرًا ما بين جملة وجملة، ما بين تركيب وتركيب،

الروابط هذه، فمثلًا في قصة نوح عليه السلام في سورة هود قال الله عز وجل في تلخيص صورة كبيرة جدًا متنوعة مختلفة، جمعها في آية واحدة، قال: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٤﴾ [هود: ٤٤].

هذه صورة ضخمة تتحدث عنها، فيها حديث طويل، هنا ما الذي جمع بينها؟ هذه بلاغة، التي هي النظم للفظ، والمعنى، وروابط، والألفاظ مثل هنا: ﴿يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ لاحظ كلمة: ﴿ٱبۡلَعِي﴾ هناك: ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾ ﴿وَقُضِيَ﴾ انظر: ﴿ٱبۡلَعِي﴾، ﴿وَغِيضَ﴾، ﴿وَقُضِيَ﴾ هذه كلها ألفاظ فيها معانٍ ضخمة، نفس الألفاظ فيها معانٍ ضخمة، جاء بينها الروابط بماذا؟ إما الروابط الإعرابية - يعني: فعل، وفاعل، ومفعول -، أو الروابط بالحروف الذي هو بالواو وبياء النداء، وما أشبه ذلك، وهذه كثيرة مثل: القسم الآن، وجواب القسم من هذا النوع، الأفعال يعني مثلًا: كان وأخواتها رابط، هي رابط بين المبتدأ والخبر التي هي تسمى نواسخ في النحو، هي أفعال ناسخة ونواسخ، هي روابط نوع من الروابط، ما الفرق بين كان وأخواتها، وبين إن وأخواتها؟ هناك فرق مهم: (إن) مع ما دخلت عليه تدل على الثبوت والدوام ... إلى آخرها، وكان تدل على معنى آخر مع أخواتها، كل واحدة لها معنى، هنا اختلف الرابط، يعني: عندك مبتدأ وخبر (الله سميع عليم) عندك مبتدأ وخبر، والخبر ثانٍ، طيب هنا دخلنا عليها كان ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ اختلف، يعني: دلالة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ في ذاك مرتبطة بسياق الآية، هذا جزء من إعجازية النظم مع ما قبلها من سياق الجملة، فهي راجعة إلى النحو وإلى علم المعاني، وهذا الذي أراده

عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز)، وهو كتاب مهم جدًا جدًا، لابد لطالب العلم أن يمر عليه، يعني: يستوعب فكرته؛ لأنه مهم جدًا، عبد القاهر الجرجاني هو رد فيه، في الكتاب رد فيه على عبد الجبار الهمذاني في (المغني)؛ لأن في كتاب (المغني) له في أبواب التوحيد والعدل، كتاب كبير في اثنين وعشرين مجلدًا، طبع في مصر، له في مجلد منها - أظنه السادس عشر - إعجاز القرآن، فهو نحا بالإعجاز منحى المعتزلة طبعًا؛ لأنه زعيمهم، وهو يؤسس له، رد عليه عبد القاهر في (دلائل الإعجاز)(١) رد عليه شيئًا عظيمًا جدًا، صار مرجعًا في هذا العلم وأساس؛ لأن الذين كتبوا في الإعجاز اختلفوا قبله، الإعجاز راجع إلى أي شيء؟ هل هو راجع للألفاظ، أو راجع للمعاني؟ يقول الجاحظ مثلًا: (والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج)(٢)، آخرون يقولون: لا، الألفاظ مدركة موجودة، ولكن الشأن تعبير بالألفاظ عن المعاني التي يُرادها، هذه كانت مدرستان كبيرتين، عبد القاهر الجرجاني رحمه الله أول من أتى بشيء اسمه النظم، النظم الذي هو: اللفظ، والمعنى، والرابط، هو الذي يعطيك الملكة في فهم الإعجاز في تركيب الكلام، يعني مثلًا: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ١ - ٢] إذا

(١) انظر: دلائل الإعجاز للجرجاني (ص٣٧٩)، فصل القول في المعنى واللفظ.

(٢) انظر: الحيوان للجاحظ (٣/ ١٣١)، ودلائل الإعجاز للجرجاني (ص١٩٨)، وانظر هذا البحث: (بحث مسألة إعجاز القرآن) لشيخنا صالح آل الشيخ -حفظه الله- في تفصيل ممتع في شرحه على الطحاوية: (١/ ٢٥٨-٢٧٢).

فهمت دلالتها، صارت بلاغة عالية، وفيها الإعجاز بأحد معانيه، جاء جمع من المتأخرين، وبدأوا يفصلون، قالوا: إعجاز نحوي، إعجاز لفظي، إعجاز بلاغي، إعجاز. . . . . أنواع كثيرة من الإعجاز، لا بأس، ولكن الإعجاز بأن نقول: بلاغي ولفظي ومعنوي، لا، الإعجاز ممكن نقول: إعجاز علمي، يعني: نذكر أشياء من الإعجاز، وهذا طيب، من الأشياء التي هي محدثة، ولكن المتعلقة بالنظم ما نفصلها، ما تعلق بنظم القرآن الذي هو النحو والبلاغة، الذي هو المعاني، ما يتعلق باللفظ والمعنى، هذا شيء واحد ما تفصله؛ لأنك لو فصلته، معناه فصلت النحو عن البلاغة، وهنا لا وجود للبلاغة - الذي هو علم المعاني - بدون النحو، إذا أردت النحو، تقول: والله إعجاز النحو لا يوجد، لا يوجد إعجاز نحوي بدون إعجاز بلاغي للمعنى، ولذلك كان من سبق مثل: سيبويه، سيبويه كان يعبر في المسائل النحوية بأشياء في علم المعاني في البلاغة إلى أن علم المعاني متعلق بفهم علم النحو، مثل مثلًا: التخصيص، والقصر، والحصر، مثل: الإطناب، الاختصار، لماذا؟ يعني: الإطناب، والاختصار، مثل: الاهتمام، الإهمال، مثل: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] ما هذا؟ إهمال، ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ هذا إهمال، يعني: بمعنى إنك مطرح، فقيل: هذا الكلام لأنه مهمل، هذا كيف يُدرك؟ لكن هناك فعل أمر، فعل الأمر لما جاؤوا يعرفونه، قالوا: هو طلب الفعل، يعني: (قم) طلب القيام، (تعال) طلب المجيء. . . . إلى آخره، (ذق) طلب الذوق، (كل) طلب الأكل، ولكن هنا يُطلب أنه يأكل؟ لا، صار هنا عندنا فعل الأمر حقيقة، ليس طلب الفعل، هنا إهمال المخاطب في

فعله، فهنا تأتيك علاقة ما بين التعريفات النحوية، لما فصلت العلوم، عزل النحو عن البلاغة، جاءت التعريفات النحوية المتأخرة معزولة عن علم المعاني، وهذا كان في الأول عند سيبويه، وعند جماعة كلها متصلة، ما تفصلها، تقرأ في سيبويه في الكتاب هذا في هذه معها، ما يمكن أن يدرك هذا، لا في التعريفات، ولا في. . . ، حتى في تعريفه للحرف مختلف عن تعريف المتأخرين. **[مجلس١٤/ ١١/ ١٤٢٣هـ]**.

س ٨٥: إذا اختلف اثنان من الصحابة في التفسير، وكان لابن عباس رضي الله عنهما، أو لابن مسعود رضي الله عنه ترجيح في هذه القضية، هل يُعمل بهذا الترجيح؟

الجواب: والله ما أقدر أعطيك جوابًا تقعيديًا، يعني: كجواب عام ما أقدر.

س ٨٦: إذا فسر ابن مسعود رضي الله عنه، وفسر أحد الصحابة رضي الله عنهم تفسيرًا آخر، فهل لنا أن نرجح كلام ابن مسعود رضي الله عنه؟

الجواب: يرجح بناءً عليها، نحن نرجح بناءً على كلام الفقهاء، يعني: هو تكلم على نفسه أنه لا يعلم أحد، ولكن لا يعني أن الأحد هذا غير موجود؛ لأن النفي لا يدل على ثبوت الضد.

س ٨٧: بناءً على القول بأن تفسير الصحابي له حكم الرفع، فما الحكم إذا اختلف الصحابيان؟

الجواب: تفاسير الصحابة ليس لها حكم الرفع أبدًا، الصحابة يجتهدون في التفسير، وقع الاجتهاد في زمن النبي ﷺ، ورد عليهم النبي ﷺ، وصوب المصيب، وخطأ المخطئ في التفسير، فالصحيح أنه لا يُحمل كلام

الصحابة أصلًا على الرفع البتة، إلا في مسألة واحدة وقع فيها الخلاف، وهي فيما إذا قال شيئًا هو من الأمور المغيبة، التي لا مجال فيها للاجتهاد، لا للاجتهاد اللغوي، ولا الاجتهاد في الفهم، أمور عقيدة، فهل هذه تُقبل أو لا؟ فهذه أيضًا فيها خلاف بين العلماء، هل كلام الصحابي فيما لا يدخله الاجتهاد هل يدخله حكم الرفع مطلقًا؟ والصواب أن فيها تفصيل، ما نقول مطلقًا له حكم الرفع، هل هذا الصحابي يأخذ عن أهل الكتاب؟ هل هو يجتهد؟ يعني: اجتهد في تفسير آيات بما وصل إليه بما قاله في تفسير الآية، أيضًا فيها بحث، ومن الصعب أنها لها حكم الرفع، هذا صعب أن يُقال: تفسير صحابي، أو قول صحابي له حكم الرفع صعب؛ لأنك تجعل قوله في الحجية ووجوب العمل، والاعتقاد، بمنزلة أقوال النبي ﷺ، فهذا فيه نظر.

س ٨٨: ما يكون تفسير الصحابي حجة عند عدم النصوص، فيكون له حكم الرفع؟

الجواب: له حكم الرفع؟! فنقول أحسن: أنه حجة، لماذا نضطر إلى أن نقول له حكم الرفع؟ لأن ما النتيجة في له حكم الرفع؟ يجعلون له حكم أقوال النبي ﷺ، أقوال النبي ﷺ حجة في التفسير بلا شك، وأقوال الصحابة حجة في التفسير، فلماذا نقول له حكم الرفع؟ بل حكم الرفع، إذا قلنا لها حكم الرفع، فيدخل فيها الاعتقاد، ويدخل فيها وجوب الامتثال، وكتقعيد عام أنا ما يظهر لي الحقيقة الدخول في هذا الصدد، فيه تجوز كبير جدًا، أقوال الصحابة لها حكم الرفع فيها تجوز، هم يجتهدون.

س ٨٩: ما يُقال إن هذا الكلام قيد بأنهم شاهدوا التنزيل، وعلموا أسباب النزول؟

الجواب: أسباب النزول، ولكن ينبغي عدم الإطلاق، أنتم تقرؤون خاصة من مؤلفات المعاصرين، ما أكثر ما يقول القائل: وهذا مما لا يدخل فيه الاجتهاد، فله حكم الرفع، كثير، وصارت مزلة أقدام، أصلًا هو لا يدرك معنى قوله: لا مجال فيه للاجتهاد، كيف يجتهد الصحابي؟ وكيف لا يجتهد؟ هو لا يدركه، لكن لا مجال فيه للاجتهاد عنده يعني: بحسب فهمه هو، فأنا عندي غلق الباب هذا أولى، وقصره على أشياء قليلة جدًا جدًا مثل: أمور عقدية عظيمة، مثل: قول ابن عباس ﵄: الكرسي موضع القدمين، مسائل محدودة جدًا، أما أكثرها داخل الاجتهاد.

س ٩٠: الخبر المنقطع ما القول الصواب فيه؟ هل يجري مجرى الموقوف سواءً عن التابعين أو من دونهم؟

الجواب: ماذا تقصد؟ يعني: عن التابعين، هم يعملونه أقرب ما يكون بإسقاط واسطة، يعني: أنهم يجعلون له حكم المرسل، يعني: إذا كان لا مجال للرأي فيه يجعلون له حكم الحديث المرسل، فعند من يحتج بالحديث المرسل يحتج به، وهذا فيه نظر أيضًا.

س ٩١: الكثير الآن حاصل في كتب التفسير المتأخرة، وهناك كلام لطلبة العلم ممن يتكلم في التفسير، يأتي فيقول: إنه هذا الذي أُثر عن ابن عباس ﵄، أو عن الضحاك، أو عن أئمة التابعين في التفسير، يقولون: هذا من الإسرائيليات، ويجزم بذلك ظنًا منه أنه ليس هناك في الآية ما يدل على ما ذكره هذا الإمام، فيقدح مباشرة بأنه من الإسرائيليات، فيرد بينما هو مأخوذ من دلالة الآية مثل ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾ [الصافات: ١٠٣].

الشيخ: وهذا كثير كثير، فأهل العصر الحقيقة في العلم مع الأسف جاوزوا حدهم.

س ٩٢: ولكن الإنسان إذا صار عنده نوع ورع وتأمل في كلام السلف، وكلام الأئمة، لصان نفسه عن مثل هذا.

الشيخ: والله تجاوزوا، وتجاوزوا حقهم، يعني: صار كأن العلماء السابقين ما يعرفون، يحكم، ويقول: هذا والله كذا، وينقد هذا، والعلم واسع، العوام يقولون: العلم بحر، وهو صحيح؛ لأن كيف تأتي، وتقول: أنا انقد هذا، وهذا لا يصلح، وينقد ابن حجر، وينقد ابن كثير؟ هم نقدوا ابن كثير، وما هم فاهمون ما طريقته أصلًا، ولا استوعبوا كتابه، نقدوا طريقة ابن حجر في كتاب التفسير في شرح البخاري، وعدد منهم نقده.

س ٩٣: كلام الأئمة الكبار التابعين أصبح ما له كبير وزن، يا شيخ لو أن هذه أُثيرت، وبُينت لطلبة العلم، يمكن مأخذ الأئمة الذين فسروا، لم فسروا بها، هذا يوضح لهم يا شيخ.

الشيخ: هذا طيب، ولكن لماذا يشغلونا عن العلم النافع؟ بأن نوضح، لماذا لا يسلمون للعلماء؟! لا يأتي بإشكال، ويردون، ويعلمون، وتأتي توضح، ابن حجر مثلًا: في بلوغ المرام عملوا له انتقادات على عزوه للأحاديث وتخريجاته: هذه غلط، وهذه لم يروها مسلم، وهذه لم يروها البخاري، وهذه ما رواها الدارقطني... وهكذا، تريد أن تدافع عن ابن حجر، لماذا مثل هذا؟ جاء النووي قالوا: والله كذا، العلماء في النقول، والشيخ سليمان في التيسير يقولون: والله هذا النقل غير صحيح، هذا حذف

من كذا، الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد، ليس العلم بهذا الشكل، العلماء تسلم لهم، عندك إضافة في العلم، ما أخطؤوا فيه خطأ واضحًا بينًا، ما هم غير معصومين، تبينه بدليل، ولكن صار التتبع للعلماء بشكل يفوت العلم - سبحان الله - مع الأسف.

السائل: تقدير العلماء ومكانتهم غير موجودة الآن؟

الشيخ: هم يتكلمون عمن؟ عن حفاظ العلم، هم درسوا العلوم، وحفظوا العلوم كلها، ومروا على كتب الحديث، وكتب التفسير بقراءة على أشياخهم، فلم الانتقاد وفلان كذا وكذا؟ صعب صعب.

السائل: يقول ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من استعجل النقد، حرم العلم.

الشيخ: والله نحن نلاحظ هذا. **[مجلس١٤/ ١١/ ١٤٢٣هـ]**.

فائدة: في تفسير قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾

الشيخ: قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦]، وفي الآية التي قبلها: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [الأنعام: ٢٥]، فأثبت سمعًا، ونفى سمعًا، ما المثبت؟ وما المنفي؟ هذا مر عليكم جميعًا، ولكن من باب الفائدة.

طالب: ذكرتم في الواسطية أن السمع الأول في الآية معناه: إدراك المسموع، أما في الثاني، فهو سمع إجابة، فالسمع نوعان: إدراك المسموع والثاني: إدراك فهم.

الشيخ: وفي قوله: ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١] أيضًا المنفي هو ماذا؟ فيه إضافة؟ مثل: البصر: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨] فأثبت النظر، ونفى البصر، ومثل إثباته عقلًا ونفيه عقلًا، ومثل إثباته قلبًا لهم ونفيه قلبًا لهم، وهذا كله يرجع إلى أصل، وهو أن هذه الآلات والنعم التي أنعم الله بها على ابن آدم إذا لم يستفد منها في الغاية لما خُلق له، فيصح نفيها عنه، يرى المعجزات، ولا يؤمن، يُقال: لا يُبصر، يسمع الآيات، ولا يؤمن، يُقال: لا يسمع، له عقل يُدرك به الأمور، ويفهم به المعاني، ثم لا يفهم، يُقال: لا يعقل، وهكذا؛ لأن ما تحقق الفائدة منها، والفائدة منها ليست هي الأمور الحيوانية، الفائدة منها تعظيم الرب ﷻ، وإذا كان له بصر، وهو لا يبصر الآيات والنذر، فكأنه ليس له بصر نافع، ليس له سمع نافع، ليس له عقل نافع له، فيصح نفيه عنه باعتبار نفي الانتفاع، مثل ما نفي الإنذار، وأثبت الإنذار أيضًا.

طالب: إذا أمر بها في القرآن، يكون المقصود بها الأمر الذي هو تحقيق الفائدة منه، مثل: قوله ﷻ: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾﴾ [عبس: ٢٤].

الشيخ: هذه نبه عليها ابن القيم في كتابين من كتبه، في (مفتاح دار السعادة)، وفي (طريق الهجرتين). **[مجلس١٢/ ١/ ١٤٢٤هـ]**.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب الاستقامة[1]: (ولهذا قال في هؤلاء المجادلين: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٣٥]، أي: كبر مقتهم، أو كبر هذا المقت، أو كبر هذا الجدال، أو هذا الفعل، مقتا

---

(١) انظر الاستقامة (١/ ١٨).

أي: ممقوتا، كما قال ﷻ: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الكهف: ٥]، وكما قال الله ﷻ: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

وقال فضيلة الشيخ تعليقًا على هذا الكلام: والثالث هو الأظهر من التفاسير، يعني: كبر جدالهم ممقوتًا، كبر جدالهم مقتًا ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني كبر جدالهم ممقوتًا عند الله، وعند الذين آمنوا. **[شرح الاستقامة]**.

س ٩٤: بعض المفسرين لما تكلم على قوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩] قال: العندية هنا للتشريف، هل يقصد بهذا نفي العلو أم ماذا؟

الجواب: نعم، عنديات، إذا ذكر المفسر العندية هنا للتشريف، أو للقرب، أو نحو ذلك، فإنه تنظر في مواطن العلو، فإذا كان يثبت العلو، فإنه يُحمل كلامه على أنها عندية تشريف وعلو، وإذا كان لا يثبت العلو، ينفي العلو، فإنه يريد بالعندية هنا العندية المعنوية، وهي عندية التشريف، والمكانة لا المكان. **[شرح التوضيح المبين]**.

فائدة

قول الله ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣] وكذلك قوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] هاتان الآيتان وما كان على معناهما هي في التوحيد، وبيان كونها من التوحيد أن التوحيد مشتمل على أشياء، مشتمل على:

أولًا: على عبادة الله ﷻ وحده.

وثانيًا: على أن عبادة غير الله باطلة.

وثالثًا: على أن التوحيد لا يحصل حتى لا يُشرك، أو نقول التوحيد لا يحصل إلا إذا لم يُشرك العبد بربه ﷻ.

والتوحيد من حيث هو إفراد الله ﷻ بالعبادة، والشرك هو دعوة غير الله معه، أو عبادة غير الله معه، فتحصل إذًا أن لب التوحيد الأعظم إفراد الله ﷻ بالعبادة، وأن حقيقة الشرك الأكبر دعوة غير الله معه، وغير الله ﷻ هو المراد بقوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ لأن ﴿شَيۡـٔٗا﴾ هنا جاءت نكرة في سياق النهي، فتعم، كذلك قولنا: دعوة غير الله معه، تعم كل ما هو غير الله ﷻ، والمشركون المتأخرون من هذه الأمة شابهوا الأولين في عبادة الأنبياء والأولياء، وإن تخلّص كثير منهم من عبادة الأشجار، والأحجار، والأصنام، لكنهم عبدوا الأوثان، حتى عبادة الأصنام، والأحجار، والأشجار كانت موجودة في نجد قبل دعوة الشيخ، وهي موجودة في الأمصار إلى يومنا هذا، نسأل الله العافية والسلامة.

فإذًا أعظم البلاء في هذه الأعصر المتأخرة هي تقديس الأولياء، وتقديس الأنبياء، بأن تُجعل لهم مكانة ومنزلة مضاهية، ومساوية لمنزلة الرب ﷻ، وهذا هو الذي كان عليه المشركون؛ حيث قال ﷻ في وصفهم إذا جاؤوا إلى النار، بل إذا دخلوا النار أنهم يخاطبون الأوثان، ويخاطبون الأصنام، ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٨﴾ [الشعراء: ٩٧ - ٩٨] وقالوا أيضًا: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٩٩﴾ [الشعراء: ٩٩] فدل ذلك على أن شركهم كان بسبب إضلال المجرمين، وهم علماء السوء، وأن الشرك حصل بتسوية غير الله ﷻ به، ومعلوم أن التسوية هذه هي أصل الشرك، والتسوية لم

تكن بأن المشرك ادعى أن هذه الآلهة تخلق كخلق الله، وترزق كرزق الله، وتُعطي كعطاء الله، وتُمطر، وتُغيث، ونحو ذلك، وإنما ادعوا أنها مساوية لله ﷻ في شيء، وهو أنها مساوية لله ﷻ في محبتها، وفي تعلق القلوب بها، وفي رجائها، وفي خوفها، وفي التوكل عليها، وفي اعتقاد أنها تنفع وتضر، ونحو ذلك.

المتأخرون من المشركين البلاء فيهم، ولهذا الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في هذا الكتاب كثيرًا ما يذكر البلاء الواقع من أهل زمنه، ولعلك تُركز فيما يذكر على هذه الأمور. معاني كتاب التوحيد ذكرناها، وهي معروفة في تأصيل معنى الشهادتين في معنى لا إله إلا الله، وقد ذكر لك المؤلف الشيخ عبد الرحمن رحمه الله، ذكر لك أن معنى لا إله إلا الله موجود في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾ ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ موجود بالمطابقة: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾ ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾ [هود: ١ - ٢].

هذه هي كلمة التوحيد لا إله إلا الله بالمطابقة، فمن أعظم الحجج على المشركين وعلى علمائهم أن تساوي بين هذه الكلمة وبين كلمة التوحيد، وأن تطلب منه أن يُفسر معنى الإله؛ لأن ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ يعني: إلا الله مساوية لـ(لا إله إلا الله)، فتكون إذًا كلمة (إله) لا بد أن تُفسر بالمعبود، المألوه هو المعبود، لا إله إلا الله معناها لا تعبدوا إلا إياه، وهذا من أعظم الحجج.

وهذا مع ظهوره كيف فات - كما ذكر الإمام - كيف فات على أذكياء العالم؟! كيف فات على أذكياء المتكلمين في العقائد؟ فتجد أنهم إذا ذكروا

الإله، فسروه بالربوبية، ولهذا تجد أن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتبه ورسائله يذكر أن قومه، وأن الناس في زمنه - يعني: العلماء - لا يعرفون من معنى الإله، إلا أن الإله هو القادر على الاختراع، وهذا من أعظم الانحراف في دين الله، الذي سبب تأثر المسلمين باليونان، وبالمنطق، والفلسفة، وقرره الأشاعرة في كتبهم، وفشا؛ حيث جعلوا الإله هو القادر على الاختراع، وأن الإله هو المستغني عن ما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه، ونحو ذلك من تعبيراتهم، وهذا تفسير للألوهية بالربوبية، ولهذا فسروا لا إله إلا الله بلا إله موجود؛ لتفسيرهم الألوهية بالربوبية.

فإذًا الخلط ما بين الربوبية والألوهية من أعظم الشبهات في هذا الباب - باب التوحيد -، ولهذا ذكر لك الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن كلمة التوحيد دالة على معنى لا تعبدوا إلا الله، هذا معنى كلمة التوحيد.

ثم العبادة هي بأنواعها، فمن عبد غير الله، من صلى لغير الله، من صام لغير الله، يعني: تقرب للميت، للولي بالصيام، تقرب للميت بالصلاة، تقرب للميت نبيًا كان، أو وليًا بالذبح، تقرب إليه بالنذر، تقرب إليه بالحج، تقرب إليه بالدعاء، تقرب إليه بالاستغاثة رجاء، تعلق قلبه به محبة، ورجاء، وخوفًا، توكل عليه، هذا كله عبادة لغير الله معه، فإذًا من فعل هذه، فهو مخالف لقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ مخالف لقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ مخالف لقوله: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ لأن هذا ما عبد الله وحده، وهو أشرك مع الله ﷻ غيره، أو أشرك مع الله ﷻ آلهة أخرى.

لهذا من حذق المشركين الأولين أنهم رفضوا لا إله إلا الله، وهذا من رجولتهم وفهمهم لهذه الكلمة أنهم ما رضوا أن يقولوها، ولا يطبقوا مدلولها، كحال المخنثين في الأعصر المتأخرة، الذين لم يفهموا اللغة، وقالوا كلامًا، وخالفوه، والرجال سواء أكانوا محقين، أو مبطلين إذا قالوا شيئًا، وقفوا عنده، فالأولون من مشركي العرب كأبي جهل، وأبي لهب، وعتبة، والوليد وأشباه هؤلاء لما رفضوا لا إله إلا الله؛ لأنهم لم يريدوا أن يقولوا، وألا يفعلوا، قالوا: لو قلنا لفعلنا. قال لهم: «**قولوا كلمة أحاج لكم بها عند الله وتدين لكم بها العرب والعجم**» قالوا: نقول لك عشر كلمات، نقول: وحق الرحم - كما قالوا - عشر كلمات، قال: «**قولوا لا إله إلا الله**»(١) فأبوا، مع أنها كلمة سهلة، وفيها من الفضل الدنيوي الذي وعدهم به النبي ﷺ، لكن ما قالوها؛ لأن فيها شيئين، لأن فيها:

أولًا: إبطال لعبادتهم.

والثاني: لأن فيها توحيد الله ﷻ، وهم لا يقرون بذلك، ولو أقروا به لأسلموا.

إذًا فحقيقة التوحيد مبنية على هذه الكلمة العظيمة، هي الفارقة بين المسلم والمشرك، لا إله إلا الله لمن فهم معناها.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٣٢) وحسنه، والنسائي في الكبرى (٥/ ٢٣٥)، (٦/ ٤٤٢)، وأحمد في المسند (١/ ٢٢٧، ٣٦٢)، وأبو يعلى في مسنده (٤/ ٤٥٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣٣٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٩) وصححه، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

ذكر لك الشيخ أن العلماء ذكروا أن من شرط قبول الصلاة، أو صحة الصلاة الإسلام، فالمشرك هل هو مسلم؟ ليس بمسلم، ولهذا لا يسوغ أن يلتفت أحد على جدال الجهلة من العلماء الذين لم يفقهوا إلى هذا، كيف تقول هو مشرك وهو يصلي؟! كيف تخرجه من الدين وهو يصلي؟! وهو يصوم؟! العلماء ذكروا أن من شرط صحة الصلاة الإسلام، وهل هذا أسلم الذي يدعو غير الله، ويستغيث به، ويُشرك، ويذبح لغير الله، ويتقرب إلى غير الله بأنواع العبادات لرهبه ولرغبه؟ كيف يكون مسلمًا، وهو ينسى الله ﷻ، ويُشرك معه؟!

لا شك أن عبادته أصلًا لم تقع صحيحة حتى نقول: إن صلاته تنفعه، وإن حجه ينفعه، وإن صيامه ينفعه؛ ولو بَانَ أثر السجود في وجهه، فإنه وقع على غير هدى، لهذا لا بد من تحقيق الإسلام، لا بد من تحقيق الشهادتين؛ كما أفاد الشارح رحمه الله.

فهذا أصل عظيم يجب على أهل العلم وعلى طلبة العلم أن يفهموه أولًا، وأن يعلموا دلائله من الكتاب، والسنة، ومن اللغة، ومن الأصول؛ حتى تقوم عندهم الحجة واضحة، فيحتجوا بها على المشركين الذين عبدوا الصالحين والأنبياء والأولياء، أعاذنا الله ﷻ من سبيلهم. **[تعليقات على قرة عيون الموحدين]**.

س ٩٥: لماذا يذكر قوم لوط في القرآن بفعلهم، ولم يذكروا بكفرهم؟ فهل هم مسلمون قبل دعوة النبي لوط أم ماذا؟

الجواب: سؤال معروف وجوابه: نرجع السائل إلى كتب التفسير؛ لأني

ما أريد أن يأخذ كلامي؛ لأن هذه شبهة أوردها طائفة من المعاصرين بأن نبيًا، وهو لوط عليه السلام إنما ذكر عنه النهي عن الفاحشة فقط، وأصاب القوم، ما أصابوا . إلى آخره، فهل أولئك لم يكونوا كفارًا؟ وإذا رجع السائل إلى كتب التفسير في أول المواضع التي ذكرت فيها قصة لوط وجد كلامهم فيه . [**محاضرة الفرق بين كتب الفقه وكتب الحديث**] .

س ٩٦: السؤالان الأولان يسألان عن تفسير (في ظلال القرآن) لسيد قطب، وهذا يقول: كما تلاحظ الحضور فيه المبتدئون في الطلب، ولو استخدمنا طريقة التفسير المطولة، فستكون شاقة عليهم - أخشى أن تكون شاقة على السائل أيضا - وسوف تطول مدة التفسير جدا، خصوصا وأن الدرس مدته قصيرة، ويوم واحد؟

الجواب: على كل حال إن أخذنا بالطريقة، فلنا فيها سلف، فقد فسر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله سورة نوح في سنة، فنحن لو فسرنا مثل سورة نوح في شهر، ما أظن تكون مطولة، أما الطريقة المختصرة، فالتفضيل بينها وبين الطريقة المطولة، أتركها لكم بعد إسماعكم - إن شاء الله تعالى - تفسير سورة الفاتحة . [**محاضرة خلاصة ومقدمة في التفسير**] .

س ٩٧: هذا سؤال مهم، يقول: ذكرت أن من مدارس تفسير أهل السنة تفسير الإمام البغوي، فما تعليلكم في اضطرابه في بعض آيات الصفات؟

الجواب: هو لم يضطرب ربما نقل تفسيرا ظاهره التأويل، لكن يُحمل على أنه تفسير باللازم، وهذا ربما وقع في تفسير ابن كثير، وفي تفاسير بعض أهل السنة، فإنهم يذكرون المعنى المراد الذي يلزم من المعنى الأصلي،

مثلا في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]، والاستواء بمعنى قصد، معلوم أن الاستواء في اللغة وفي تفاسير السلف لا يكون بمعنى القصد، ولكن هنا فسروا استوى بمعنى قَصَد لأنه عُدِّيّ بـ ﴿إِلَىٰ﴾، والتعدية بـ ﴿إِلَىٰ﴾ أفادت أن استوى مضمنة معنى فعل آخر يناسب التعدية بـ ﴿إِلَىٰ﴾، استوى إلى.

استوى معناها في اللغة وفي تفاسير السلف: علا، استوى إلى السماء يعني: علا على السماء، فلم فُسرت بالقصد هنا؟ فإن هذا التفسير لا يُعد تأويلًا؛ لأنه تفسير باللازم، لأن المعنى الأصلي معروف، وإنما هذا المعنى الثاني، يعني: لأن كلمة استوى مثلًا مضمنة مع المعنى الأصلي معنى قصد، فهم لم يذكروا المعنى الأصلي لظهوره، وإنما ذكروا المعنى الثاني؛ لأنه هو الذي يُحتاج إليه، لأن التعدية بحرف إلى، مثلًا في هذا الموضع يدل على أن المحتاج إليه لما عُديت بـ ﴿إِلَىٰ﴾، وهذا يسمى تفسيرًا باللازم، والتفسير هذا لا ينفي المعنى الأول، ولا يُعد تأويلًا، وإنما هو تفسير بلازم الإثبات.

فإذًا يكون تفسير ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ بقصد، هذا تفسير باللازم، والفرق بين التفسير باللازم، والتفسير بالمطابقة هذا سيأتي - إن شاء الله - مفصلًا في قاعدة شيخ الإسلام، أو في المقدمة، وهو أن اللفظ له دلالات: دلالة بالمطابقة، ودلالة بالتضمن، ودلالة التزام، هذا اللازم هو خارج عن اللفظ، عن مطابقته، وعما تضمنه، لكن قد يكون مضمنا إذا كان معدىً بحرف يناسب الفعل الذي ضُمِّن فيه، مثل: استوى إلى. استوى إذا كانت بمعنى علا، فإنها تكون معداة بـ ﴿عَلَىٰ﴾، على التي هي حرف جر، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] يعني: استوى على

العرش: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] الرحمن، فاستوى تعدى بـ ﴿عَلَىٰ﴾ ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨] هذا بمعنى العلو.

فإذا أريد أن يكون مع العلو معنى آخر، ضمن اللفظ الأول معنى فعل آخر دُل عليه بتعديته بحرف جر يناسب المعنى، الذي ليس في مطابقة اللفظ، مثل هنا: (استوى إلى) لما عديَ بحرف الجر (إلى) علمنا أنه ضُمن معنى (قصد) هذا التفسير فيه إثبات للمعنى الأول، فيكون المعنى (على السماء): (قاصدًا إلى السماء)، فليس فيه نفي للمعنى الأول، فيكون تأويلًا أو تحريفًا للكلم عن مواضعه، وإنما فيه إثبات للمعنى الأول، وإثبات معنى ثانٍ دل عليه المقام، وهذا له نظائر، التضمين له نظائر، مثلًا في قول الله ﷻ في سورة الحج: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]. قال: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ معلوم أن كلمة (أراد) تتعدى بنفسها، يُقال: أراد كذا، أراد الخير، أراد الشر ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٥] يعني: فمن يرد الله هدايته، هنا تتعدى بنفسها، هنا أعدى أراد بحرف جر الذي هو الباء؟ ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ لو كانت أراد بمعنى أراد المعروفة، لكان التعدية بدون الباء، ومن يرد فيه إلحادًا بظلم. لكن لما عداه بالباء دلنا أن (أراد) مع معناها الأصلي ضُمنت معنى فعل آخر يناسب هذا الحرف الذي عُدي به، والذي يناسب الباء هو (الهم)؛ لأنه يُقال: هم بكذا؛ ولهذا كثيرون من أهل التفسير يقولون: إن معنى قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ يعني: من هم فيه بإلحاد، وهذا من خصائص مكة؛ كما قرره ابن القيم مفصلًا في أول (زاد المعاد)[1]، وهذا له نظائر.

---

(١) انظر: زاد المعاد (١/ ٤٧).

فإذًا ليس كل ما يكون ظاهره - في تفسير البغوي، أو في غيره - ليس تفسيرًا للصفة بما هو معناه مطابقة أن يكون تأويلًا، أو مخالفة لمنهج السلف، لا . . أحيانًا يكون تفسيرًا باللازم، وهذا من العلم المهم أن يُعرف، ويأتي - إن شاء الله - التنبيه عليه في مواضعه. **[محاضرة خلاصة ومقدمة في التفسير]**.

س ٩٨: فضيلة الشيخ ما الأفضل للمبتدئ قراءته من الكتب التي تناولت التفسير، ثم يسأل يقول: قلتم في كلامكم أنه قد يستخرج المعنى بالاستقراء الجزئي للسورة. فكيف يستخرج المعنى للسورة مع عدم الإلمام بالسورة؟

الجواب: أنا ما قلت هذا، أنا لم أقل: إن المعنى أو المخرج يستخرج بالاستقراء الجزئي، وإنما قلت يستخرج بالاستقراء التام، أو الأغلبي. أما الاستقراء الجزئي، فليس بحجة، والاستقراء الجزئي هو الذي يقع فيه الناس اليوم، وليس جزئيًا، قد يكون استقراء لحالتين، ثم يحكم: واللهِ يقول كل الناس كذا كذا، كل الموضوع، كم نظرت في الكتاب؟ نظر صفحتين، كم درست من حالات الناس؟ رأى له حالة حالتين، وقال كل الناس وقعوا في كذا، الاستقراء حجة إذا كان كليًا، أو أغلبيًا، ولا يجوز للمسلم أيضًا أن يقفو ما ليس له به علم، وأن يعمل قضية كلية، وهو لا يعرف إلا حالة أو حالتين، وهذا خلاف المنهجية الصحيحة في التفكير، وإذا وجدت في المرء هذا الخلل في المنهجية، حتى في رؤية الأشياء يقع بذلك الخلل في منهجية في العلم، يكون تصوره للعلم غير صحيح؛ لأنه أصلًا يتصور العلوم، يتصور الأشياء باستقراء جزئي، ويسرع في الحكم ويسرع في تقييم الأشياء بما يسمع، أو بحالة حالتين، ويجعلها قضية كلية.

إذًا تعقيبا على السؤال، إنما ذكرنا أنه يدرك بالاستقراء الكلي، أو الأغلبي وعلماء الأصول بحثوا هذا، فقالوا: إن الاستقراء الكلي، أو الأغلبي حجة والاستقراء الكلي والأغلبي ممن ليس من كل مسلم، بل من عالم بالتفسير، والعالم بالتفسير هو الذي عنده العلوم التي ذكرنا، هذا في الغالب لا يخطئ ولهذا العلماء ذكروا أشياء من مقاصد السور، داروا فيها حول استقرائهم، وتدبرهم، وقراءتهم للسورة أكثر من مرة، مع علمهم بالتفسير، فاستخرجوا مقصدًا وموضوعًا، ثم فصلوا في ذلك. **[محاضرة مقاصد السور]**.

س ٩٩: يقول: لماذا لا نقول بترجيح قول من قال: بأن لكل سورة مقصداً، وأن بين كل آية وآية تناسبًا على الإطلاق؛ لأن ذلك يدل على كمال القرآن وإعجازه، ولكن نقيد هذا القول بنقطتين: الأولى: إنه ليس لكل أحد أن يلم بجميع المقاصد والمناسبات، فقد يعلم بعضًا، ويجهل بعضًا. والثانية: نقيده كذلك بعدم الجزم بالمقصد والمناسبة، بل يقال: بأنه اجتهاد وأنه محتمل. فما رأي فضيلتكم؟

الجواب: هذا وجيه، لكن السبب الثاني: لا نحب أن يدخل الناس فيه؛ لأنه «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ»[1]، وفي الحديث الآخر «مَنْ قَالَ في الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[2] وأبو بكر رضي الله عنه يقول: «أَيُّ

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٥٢)، والترمذي (٢٩٥٢)، والنسائي في الكبرى (٨٠٨٦) من حديث جندب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩٥١، ٢٩٥٠)، وقال هذا حديث حسن صحيح والنسائي في الكبرى (٥/ ٣١)، وفي فضائل القرآن (ص١٣٥)، وأحمد (١/ ٢٣٣، ٢٦٩)، والرافعي في أخبار قزوين (١/ ٢٠١)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

سَمَاءٍ تُظِلُّنِي وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللهِ مَا لاَ أَعْلَمُ؟!»[(١)] فإذًا الأصل في هذه - كما ذكرت لك - ألا يكون اجتهادًا مجردًا، وإنما يكون استقراءً كليًا أو أغلبيًا، أما مجرد الاجتهاد، ظهر له بادر الرأي، أو عاجل الرأي، وقال: إن هذه السورة موضوعها كذا، هذا فيه تجنٍ على القرآن؛ ولهذا قد يقال: إنه يقال من جهة تنزيل القرآن: إن القرآن محكم، كل سورة لها مقصد، علمه من علمه، وجهله من جهله، وأن الآية بينها وبين ما قبلها

---

(١) قال ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٢٧١): (عن إبراهيم النخعي قال: قرأ أبو بكر الصديق: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ٣١﴾، فقيل: ما الأب؟ فقيل: كذا وكذا، فقال أبو بكر: إن هذا لهو التكلف أي أرض تقلني أو أي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله بما لا أعلم. وهذا منقطع بين النخعي والصديق، وأخرج من طريق إبراهيم التيمي أن أبا بكر سُئل عن الأب ما هو؟ فقال: أي سماء تظلني. فذكر مثله، وهو منقطع لكن أحدهما يقوي الآخر).
وإسنادها أيضًا صحيح عن عمر رضي الله عنه: أخرجها ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١٣٦)، في فضائل القرآن، من كره أن يفسر القرآن، برقم (٣٠١٠٥)، وسعيد بن منصور في سننه (١/ ١٨١)، فضائل القرآن، برقم (٤٣) عن يزيد بن هارون، قال أخبرنا حميد عن أنس أن عمر قال على المنبر: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ٣١﴾ [عبس: ٣١] ثم قال: هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر.
وهذا إسناد متصل صحيح، وقد صح سماع حميد من أنس -وإن كان قد قيل في ترجمته: كان يدلس، وإنما سمع من أنس ثمانية عشر حديثًا - وقيل غير ذلك - والباقي دلسها عن ثابت، والجواب أنه وإن دلسها عن ثابت -إن ثبت ذلك- فإن الذي دلسه ثقة جبل من أثبت الناس في أنس وهو ثابت البناني رحمه الله. هذا مع أن ابن عدي قال في الكامل (٢/ ٢٦٨): (وأما ما ذكر عنه أنه لم يسمع من أنس إلا مقدار ما ذكر وسمع الباقي من ثابت عنه فإن تلك الأحاديث يميزها من كان يتهمه أنها عن ثابت عنه لأنه قد روى عن أنس وقد روى عن ثابت عن أنس أحاديث فأكثر ما في بابه أن الذي رواه عن أنس البعض مما يدلسه عن أنس وقد سمعه من ثابت، وقد دلس جماعة من الرواة عن مشايخ قد رأوهم).

وبعدها تناسق وتناسب، علم ذلك من علمه، وجهله من جهله، وأن في ذلك دلالة على إعجاز القرآن العظيم، هذا قد يقال من جهة العموم، لكن بالقيد الذي ذكرنا، أنه لا يقبل من كل أحد أن يقتحم هذا الباب. [**محاضرة مقاصد السور**].

س ١٠٠: يقول: هل هناك علاقة بين التفسير الموضوعي للقرآن وبين علم مقاصد السور؟

الجواب: التفسير عند المتأخرين - يعني: في القرن الأخير هذا - جعل منه التفسير الموضوعي، ومنه التفسير التحليلي، هذا تقسيم خاص تعليمي، ويراد بالتفسير التحليلي - كما تقرأ في تفسير ابن كثير وتفسير ابن جرير - يعني: الآية وتفسيرها، والكلمات وتحليلها لغة، ونحوًا... إلى آخره، وبيان سبب النزول، يعني: كل آية تؤخذ على حدة، وتفسير السورة تفسيرًا تحليليًا، أما التفسير الموضوعي، فيراد به موضوع في القرآن، يعني مثلًا: توحيد الربوبية في القرآن - القرآن فيه هذا الموضوع -، توحيد الربوبية، الفتنة في القرآن، الوسطية في القرآن، العدل في القرآن، الظلم في القرآن، قصص الأنبياء في القرآن، هذا يسمى تفسيرًا موضوعيًا، بمعنى أن يأتي إلى موضوع، فيجمع كل ما فيه من الآيات، ثم يقسم ذلك تقسيمًا منهجيًا، ويتحدث عنه، لا صلة لهذا بعلم المقاصد؛ لأن مقاصد السور راجع إلى السورة في نفسها، والتفسير الموضوعي يجمع أطراف الموضوع في جميع سور القرآن. [**محاضرة مقاصد السور**].

س ١٠١: هل القرآن نزل، وفسره الرسول ﷺ كاملًا، وبم نرد على النصارى في قولهم: إن الرسول لم يفسره كله، والجمع بينه وبين حديث

الرسول: «تَرَكْتُكُمْ على الْبَيْضَاءِ»[١].

الجواب: ينبغي أن القائل المتكلم أو الكاتب أو السائل، إذا كتب اسم الرسول ﷺ أن يصلي عليه ﷺ تسليمًا كثيرًا، حتى لو لم يكتب، فإنه يصلي عليه، والمرء ما يخسر كتابة ﷺ ولو ألف مرة، لهذا أهل الحديث مما زاد في مقدارهم أنهم يكتبون في الحديث الواحد ﷺ يقولونها كذا مرة، وقد ثبت أن النبي ﷺ قال «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»[٢] ما معنى ذلك؟ يعني: من أثنى علي، يعني: من قال: اللهم صلِّ على محمد، دعا لي أن يثني علي في الملأ الأعلى مرة واحدة، صلى الله عليه بها عشرًا، أثنى الله عليه بتلك الصلاة عشر مرات، اللهم صلِّ وسلِّم على محمد كلما صلى عليه المصلون، وكلما غفل عن الصلاة عليه الغافلون. **[محاضرة مقاصد السور]**.

س ١٠٢: هل نزل القرآن، وفسره الرسول ﷺ كاملًا؟

الجواب: النبي ﷺ، لم يفسر القرآن كله، وإنما فسر آي قليلة، لِمَ؟ لأن التفسير يتبع الحاجة، يفسر بمعنى يبين المعاني، لمن لا يفهم المعاني، والقرآن نزل بلسان عربي مبين، ففهته العرب، فهمت الآي، وفهمه الصحابة

---

(١) هذه إحدى روايات حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه المشهور، وهو حديث صحيح بطرقه. أخرجه ابن ماجه (٤٣)، وأحمد في المسند (٤/ ١٢٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٧)، والآجري في الشريعة ص ٥٥، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/ ٧٤)، والطبراني في الكبير (٦٤٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٧٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٠/ ١٨١). وانظر: جامع العلوم والحكم (ص ٤٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (٣٨٤) من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما.

إلا في بعض الآيات لم تفهم، ففسرها النبي ﷺ، فالمنقول من تفسيره ﷺ قليل، تفسير الصحابة أكثر من تفسير النبي ﷺ، لِمَ؟ لأن الصحابة نقلوا للتابعين، والتابعون أقل علمًا بالقرآن من الصحابة، لا من جهة اللغة، ولا من جهة معرفة أسباب النزول، ولا جهة معرفة علوم القرآن، والعلوم المختلفة التي دار عليها القرآن، لا من جهة السيرة والتاريخ، وأحوال العرب، والجاهلية. . . إلى آخره، والتابعون تفسيرهم لمن بعدهم أكثر من تفسير الصحابة؛ لشدة الحاجة، هكذا إلى زمن التأليف والتصنيف وكثرة التفاسير؛ رغبة في أن يفهم الناس القرآن، وأن يقبلوا عليه.

فإذًا عدم تفسير النبي ﷺ للقرآن؛ لوضوحه، وعدم الحاجة إلى تفسيره، ولأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعلمون التفسير، وربما لم يعلموا، ففسر بعضهم لبعض، أو فسر لهم النبي ﷺ، **[محاضرة مقاصد السور]**.

س ١٠٣: أرجو إلقاء الضوء على مسألة تفسير الآيات بالكشوفات الكونية الحديثة، وعلامة ذلك بمقصود الآيات وفهم خطابهم؟

الجواب: هذه لو لم ترجو كان أفضل، لو تكلمنا عنه في دقيقة أو دقيقتين، نظلم هذا الموضوع، وهو موضوع شائك، كما تعلمون الآن كثير من الناس يعرضون المسائل الكونية، ويربطونها مع الآيات القرآنية، ويجعلون القرآن كتاب فلك، كتاب زراعة، كتاب رياضيات، كتاب، وهذا ليس بصحيح، ولهذا كما رجا السائل جزاه الله خيرًا كثيرًا أنا أيضًا أرجوه أن يؤجل جواب هذا السؤال - حفظه الله - إلى موضوع محاضرة مستقل عن تفسير القرآن بالعلوم الكونية، أو بالطبيعيات، أو بالمكتشفات الحديثة؛ لأنه يحتاج إلى بسط وتفصيل. **[محاضرة مقاصد السور]**.

س ١٠٤: ما السبب في اختلاف مفسري القرآن الكريم، وبماذا تنصحنا في هذا المجال؟

الجواب: الاختلاف في التفسير موجود، لكنه ينقسم إلى قسمين:

١ - اختلاف تنوع. ٢ - اختلاف تضاد.

أما اختلاف التنوع، فإنه يكون الاختلاف راجعًا إلى شيء واحد، لكن نظر كل مفسر إلى جهة من جهات المعنى واللفظ، أو إلى فرد من أفراد اللفظ فيما يكون عامًا، أو إلى أحد معنيي المشترك فيما يكون مشتركًا، فيما هو معلوم في موضعه من علم أصول التفسير، مثلًا في قوله ﷻ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦] ما الصراط المستقيم؟ قال بعضهم: القرآن، قال بعضهم: الإسلام، قال بعضهم: السنة، قال بعضهم: الصراط المستقيم صحابة الرسول ﷺ، هذه كلها مؤداها واحد، صحيح الألفاظ مختلفة، لكن من هدي على الإسلام الصحيح، هدي إلى القرآن، ومن هدي إلى القرآن، فقد هدي إلى السنة، ومن هدي إلى السنة الصحيحة على فهم السلف الصالح، فقد هدي إلى الإسلام الصحيح وإلى القرآن، ومن هدي إلى صراط الصحابة، فقد هدي إلى صراط القرآن. . . إلى آخره.

كذلك في قوله ﷻ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣] كذلك في قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ [التكوير: ١٧] هذا نوع ثانٍ في المشترك ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧﴾ عسعس ما تعني؟ قال بعضهم: عسعس يعني: أقبل، قال بعضهم: عسعس يعني: أدبر، وهذا الاختلاف قد يظهر أنه متضاد: واحد في الإقبال، وواحد في الإدبار، لكنه في الحقيقة واحد من جهة أن

بيان قدرة الله ﷻ وعظيم صنعه يحصل في إقبال الليل، وفي إدباره: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧﴾ يعني: لك قدرة من آيات الله ﷻ، وكذلك إذا أدبر، مع أنه في بعض التفاسير المختلفة نوعًا في بعضها ما يرجح على بعض الأدلة.

النوع الثاني: تفسير التضاد، التفسير الذي فيه الخلاف خلاف تضاد، يعني: هذا شيء، وهذا شيء مختلف عنه تمامًا، والتفسير بالتنوع هو الذي اختلف فيه الصحابة رضي الله عنهم، فلا يصح أن يقال: إن في تفاسير الصحابة الصحيحة شيء من الاختلاف اختلاف التضاد؛ كما حققه ابن تيمية في رسالته في أصول التفسير رحمه الله[1]، أما تفسير التضاد، فهو موجود عند المتأخرين، وخاصة لما شاعت النحل، والمذاهب المختلفة العقدية، والانحرافات، والفرق، فإنه تظهر التفاسير التي فيها اختلاف.

واحد يثبت الميزان يوم القيامة، وآخر يقول: الميزان: العدل ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] يقول: الموازين هي جمع ميزان والميزان هو المعروف الذي جاء في السنة مما له كفتان، توزن فيه الأعمال، ويوزن فيه الصحف. . . إلى آخره، وآخر يقول: الميزان هو العدل، وآخر يقول: الصراط، وهو كذا الصراط، آخر يفسره بتفسير ينكر حقيقة الصراط. **[محاضرة مقاصد السور]**.

س ١٠٥: فضيلة الشيخ: يوجد في كثير من كتب علوم القرآن وأصول التفسير أن القرآن نزل على ثلاث مراحل: الأولى: من اللوح المحفوظ إلى

---

(١) انظر: رسالة مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية مع شرح العلامة ابن عثيمين -رحمهما الله- (ص٢٨).

بيت العزة، الثانية: من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، والثالثة: من السماء الدنيا إلى النبي ﷺ، فما صحة هذا القول، وهل يوافق قول الأشاعرة؟ أفيدونا جزاكم الله خيرًا.

الجواب: هذا موجود في كتب علوم القرآن، وأظن الذي يهم السائل هو أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وهذا القدر مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد قوي[1]، وذلك عند تفسير قول الله ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر: ١] وعند قوله ﷻ في أول سورة الدخان ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ١-٣] وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزل به جبريل إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم نزل مفرقًا بعد، أو قال: ثم نزل منجمًا بعد، وهذا القول صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما - كما ذكرنا -، ويحمل على توجيه واضح لا إشكال فيه، وذلك أن المتقرر عند أهل السنة والجماعة أن القرآن سمعه جبريل من الرب ﷻ، فبلغ ما سمع للنبي ﷺ، فالله ﷻ يتكلم بالوحي في السماء، فيسمعه جبريل، فينزل بالقرآن للنبي ﷺ، وهذا في مرتبة الكلام.

وأما المرتبة الثانية - وليست من جهة الدرجة، لكن المرتبة الأخرى، أو النوع الآخر -، هي الكتابة، القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ؛ كما قال ﷻ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾ [البروج: ٢١-٢٢]، ووجوده في اللوح المحفوظ مكتوب؛ لأن اللوح المحفوظ محل الكتابة فالله ﷻ

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٧٩٩١)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٢٤٢)، وعلق عليه الذهبي في التلخيص وقال: صحيح.

كتب القرآن في اللوح المحفوظ قبل أن يتكلم به حين بعث محمدًا نبيًا ورسولًا، وهذا الإكرام للقرآن بجعله في اللوح المحفوظ في هذا النوع، وهو النوع الكتابي، هو الذي أنزل إلى بيت العزة في السماء الدنيا؛ تشريفًا لسماء الدنيا التي تظل الأرض، وليس معنى إنزال القرآن إلى بيت العزة - على كلام ابن عباس رضي الله عنهما - أن جبريل عليه السلام يأخذ القرآن مكتوبًا من بيت العزة، يقرؤه فيه، ثم ينزل به إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

فإذًا القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ، وهذا المكتوب في اللوح المحفوظ أنزله الله عز وجل في ليلة القدر، أول الإنزال على النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت العزة في السماء الدنيا، هذا على قول ابن عباس رضي الله عنهما.

وهناك عدد من أهل العلم يقول: هذا مما تفرد به ابن عباس، وأنه لم يأت عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم، بل ولم يأت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن ثم بيتًا في السماء يقال له: بيت العزة، فيه القرآن، وإنما الذي في الكتاب والسنة أن القرآن في اللوح المحفوظ مكتوبًا تكريمًا له، فجبريل عليه السلام ينزل بالقرآن مسموعًا من الرب عز وجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فيسمعه القرآن، فالكلام كلام الرب عز وجل، وجبريل عليه السلام مبلغ، والنبي صلى الله عليه وسلم مبلغ: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨].

فإذًا هذا القول منهم مما كتب في كتب علوم القرآن يحتاج إلى هذا الإيضاح، ومن قال ممن صنف في علوم القرآن: إن جبريل يأخذه من بيت العزة، فينزل به على النبي صلى الله عليه وسلم، أو يأخذه من اللوح المحفوظ، فينزل به على النبي صلى الله عليه وسلم، فهذه أقوال الأشاعرة في المسألة.

فإذًا هذا القول مروي عن ابن عباس بإسناد قوي، قد صححه بعض أهل

العلم، وتوجيهه ما ذكرنا، وهو موافق لكلام السلف في القرآن، وفي كلام الله ﷻ وتقدست أسماؤه وصفاته. [**محاضرة مناهج المفسرين**].

س ١٠٦: بعض الآيات فسرها الصحابة والسلف بتفسير، ولكن في العصر الحديث قد يتضح بعد انتشار الآلات الحديثة تفسيرًا آخر لها، مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍۚ﴾ [النور: ٤٠] فقد اكتشف حديثًا وجود طبقات من هذه الظلمات في قاع البحر ونحو ذلك. السؤال: هل نتبع ما جاء عن الصحابة والسلف، أم التفسير الحديث المبني على الاكتشاف؟ أفيدونا في ذلك وجزاكم الله خيرًا.

الجواب: العلم بالقرآن وبتفسيره لا بد أن يكون محفوظًا عند الصحابة رضي الله عنهم، ولا يمكن أن يعتقد في الصحابة رضي الله عنهم أنهم يجتمعون على تفسير آية، ويكون التفسير غلطًا؛ لأن هذا القول معناه: أن العلم الصحيح يحجب عن خير هذه الأمة، ويعطى من سواهم، وهذا باطل قطعًا، ولا يعتقده أحد يعرف قدر الصحابة رضي الله عنهم، في مثل ما ذكر السائل لا يجمع الصحابة على تفسير، وإنما يختلفون فيه، فإذا اختلف الصحابة رضي الله عنهم في تفسير آية، فلا بد أن يكون الصواب مع بعضهم؛ لأن العلم الصحيح لا بد أن يكون عندهم، إما بالإجماع منهم، أو عند بعضهم؛ لأنهم قد يختلفون في التفسير؛ كما يختلفون في الفقه، كما يختلفون في غير ذلك من العلوم.

فإذا اختلف الصحابة رضي الله عنهم، فيؤخذ القول الأصح من ذلك، والمكتشفات الحديثة - كما ذكرنا - تنقسم إلى قسمين: قسم منها مظنون، نظريات مبنية على استقراء ناقص، أو على تجارب في بعض المكتشفات السابقة المعروفة وهذا لا يجوز؛ لأنها مظنونة، لا يجوز أن يحمل القرآن عليها، ولو كان عند

الناس اليوم ليس ثم إلا هي من العلم؛ لأنه إذا كان سبيلها الظن، والظن معروف، كيف يحكم على الشيء بالظن؟! أن يكون البحث ناقصًا، أو أن يكون عن استقراء ناقص، أو أن يكون عن تجارب غير كلية. . . إلى آخر ذلك، مثل: بعض التجارب الطبية الأولى التي كانت من نحو مئة سنة، والآن يظهر غيرها، مثل: بعض النظريات للمياه، والجبال، والذي كان فيه الظن قبل مائة سنة، والآن اختلف الوضع إلى أشباه من ذلك، فالنظريات تتجدد.

والقسم الثاني: ما كان من النظريات يقينيا قطعيًا، عيني يقيني قطعي، هو يتجاوز النظرية، ويصبح علمًا، مثاله: أن تظهر صورة، صورة واضحة، يصور الشيء، فيعرف به، أو أن تكون دراسة دقيقة، استقراء تام لا يقبل الجدل، برهان كامل لا نقص فيه، فهذا إذا كان قطعيًا وحقًا، فإن القرآن لا يناقضه البتة؛ لأنه كلام الله ﷻ، وهو الذي خلق الخلق: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك: ١٤].

فإذًا: القطعي لا يناقض قطعيًا، ولا يضاد قطعيًا، واليقيني لا يناقض يقينًا، ولا يضاد يقينيًا، وإنما إذا ظهر هنا عدم الاجتماع في ذهن البعض، فالحق هو في القرآن، وغيره هو عرضة لأن يكون صوابًا، أو أن يكون خطأً، فإن كان مظنونًا، فإننا لا نحمل آيات القرآن عليه؛ لأن القرآن حق قطعي، إذا كان قطعي الدلالة على المذكور، وتلك النظريات مظنونة، وإن كانت تلك النظريات يقينية، فلابد أن تكون الآية التي تشمل تلك النظرية أن تكون فيها ذلك المعنى دون مناقضة.

وهذا هو الذي غلط فيه البعض، فأدرج المسألة، وجعلها بابًا واحدًا، كل ما أتى من النظريات العلمية حمل القرآن عليه، وهذا غلط، فلا بد من تقسيم العلوم الحديثة إلى شيء قطعي، والقطعي لا يناقض قطعيًا؛ لأن القرآن حق من عند الله ﷻ مهما تغيرت الأزمنة والأمكنة، وإذا كان مظنونًا، فلا بد في التوقف في المظنون هذا، وإبقاء القرآن على ظاهر دلالته، حتى يظهر شيء يمكن أن يفهم القرآن عليه، خذ مثلًا في تفاسير الصحابة: أجمع العلماء على أن الأرض كرة، وأنها مسلوبة من الجانبين قليلًا، ليست كرة مستوية القطر من جميع الجهات، أجمع العلماء والمفسرون على ذلك، وحكى الإجماع هذا ابن المنادي من الشافعية، وابن حزم من الظاهرية، وجماعة من أهل العلم، وقرره شيخ الإسلام ابن تيمية، وجماعة أخذوا ذلك من قول الله ﷻ: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ﴾ [الزمر: ٥] في سورة الزمر، هذا التكوير تكوير الليل على النهار، وتكوير النهار على الليل لا يمكن أن يتصور إلا أن تكون الأرض كرة؛ لأن تكوير الليل معناه: أنه لا يأتي لحظة ينقضي منها ليل إلا وبعدها نهار، يعقب هذا الليل؛ فلهذا نص من نص من الصحابة ومن بعدهم على أن الأرض لها شكل البيضة، أو نحو ذلك.

مثلًا: في قول الله ﷻ: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣] لم تر الأفلاك في وقت الصحابة، وذهبوا إليها، وعرفوا كيف حركة هذه وهذه؟ وإنما فسروها من جهة الاجتهاد بمعرفتهم للقرآن وللغة، فقال ابن عباس وغيره عند هذه الآية: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ قال: في فلكة كفلكة المغزل، وأنت لو لاحظت المغزل يكون عمودًا، وهو ما ذكر في النظريات الحديثة

الصحيحة أنه المحور الذي تدور عليه الأفلاك، قال ﷻ: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ ففيها السباحة، وأن الفلكة تلك كفلكة المغزل[1]، والمغزل إذا نظرت إلى حركته، ليست حركة رتيبة متساوية القطر، بل يزيد ويرجع، وهذه حركة الأفلاك فعلًا . . . إلى آخره، المقصود: أنه إذا اجتمع العلم اليقيني بالعلوم الحديثة، فإن القرآن هو الحق، ويشرف العلم أن يكون تبعًا للقرآن؛ لأنه من عند الله ﷻ؛ لأنه يكون معنى ذلك أن البشر وصلوا إلى استنتاج صحيح.

وأما إذا كان ذلك مظنونًا، فإنه لا يجوز حمل القرآن على مظنون؛ لأن القرآن يقيني قطعي، كلام الملك الحق الذي يعلم من خلق، والبشر فيما يصلون إليه معرضون للصواب وللخطأ.

نكتفي بهذا القدر، أسأل الله ﷻ أن يجزيكم خيرًا عن الحضور، وعلى حسن استماعكم، وأن يجعلنا من المتقين في دينه، وأن نكون ممن لا يخوض في أي علمٍ من العلوم الشرعية إلا بعلم ورأي صوابٍ عن برهان ودليل. [**محاضرة مناهج المفسرين**].

س ١٠٧: أحيانًا في بعض الكتب حينما يذكرون مراجع تفسير الصحابة والتابعين، يذكرون تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم يقولون: تفسير القرآن بالاجتهاد والاستنباط، ويقصدون بذلك اللغة العربية، فهل هذا التعبير صحيح؟ لأن الإشكال هو أن الاجتهاد شامل لجميع مراحل التفسير السابقة، فالصحابي يجتهد في تفسير القرآن بالقرآن، ويجتهد في تفسير

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٤٣٨).

القرآن بالسنة. أفيدونا مأجورين.

الجواب: الحمد لله، هذه المسألة من حيث التنظير ربما تشكل، لكن من حيث التطبيق لا إشكال فيها، فالذي يعاني التفسير لا يجد فرقًا بين أن يقبل تفاسير الصحابة، وبين التفسير بالاجتهاد والاستنباط؛ لأننا نقول: ما جاء التفسير فيه تفسير القرآن بالقرآن، فإنه هو الحجة، ما جاء بتفسير القرآن بالسنة فهو الحجة، تفسير القرآن بأقوال الصحابة ﷺ، فهو الحجة، أحيانًا يكون تفسير القرآن بالقرآن تفسيرًا مجملًا ببعض البيان، تارة يكون تفسير الصحابي أيضًا يحتاج إلى اجتهاد؛ حتى يتضح.

فإذًا التفسير بالاجتهاد والاستنباط مقبول، لكن لا يعارض به تفاسير المتقدمين، إذا كان يعارض تفاسير الصحابة، فإنه لا يقبل؛ لأنه لا وجه له، وكما قلنا إن التفسير لا يمكن أن يحجب عن الصحابة ﷺ، ويدركه من بعدهم، فإذا أتى المجتهد واجتهد، فإن اجتهاده يكون محمولًا على أقوال الصحابة، يعني: لا يجعل الاجتهاد صوابًا، حتى يكون غير معارض للكتاب، والسنة، وتفاسير الصحابة، فإن كان معارضًا - يعني: مخالفًا -، فإنه لا يتقبل ذلك، طبعًا التفسير بالاجتهاد له شروط سبعة عند العلماء، وهي صعبة، ليس كل أحد يدرك ذلك. [**محاضرة مناهج المفسرين**].

س ١٠٨: هل الاستشهاد بالآية على حادثة، دون علم بتفسير الآية يعتبر تفسيرًا لها؟ وهل يأثم من قال ذلك؟

الجواب: الاستشهاد بالآية في حادثة له حالان:

الحال الأولى: أن يجعل الآية في معرض كلام، وهو يتكلم، فيجعل

القرآن مستشهدًا به، أو يضمنه كلامه، وهذا فيه مناسبة ظاهرة، مثلا: يأتي ويعطي أحدًا كتابًا، ويقول: «خذ الكتاب بقوة»، مثلًا: جاء أحد اسمه موسى، قال: «ثم جئت على قدر يا موسى»، مجموعة دخلوا، قال: «ادخلوا من أبواب متفرقة»، ونحو ذلك، فهذا مما نهى عنه العلماء؛ لأنه أنزل القرآن في غير ما أنزل له، إلا في حالة واحدة، يسمونها تضمين القرآن، أو الاستشهاد به في الكلام، أو يسمى الاقتباس، أو نحو ذلك.

الحال الثانية: إذا كان فيما أنزل فيه القرآن، فإنه لا بأس به أن يستشهد بالقرآن فيما معناه ظاهر، مثلًا: يوصي بالتقوى، فيستدل بقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١] يوصي، بالإيمان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦] يوصي بالصلاة ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] يعني: بما معناه ظاهر لا يحتاج إلى نظر، فإنه له أن يستشهد بذلك؛ لظهور معناه وعدم خفائه. **[محاضرة مناهج المفسرين]**.

س ١٠٩: ما الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يفسر كلام الله ﷻ إذا كان هو من أهل السنة والجماعة؟

الجواب: ذكر العلماء شروطًا لذلك:

الأول: أن يكون عالمًا بالقرآن، حافظًا له، حافظًا للقرآن؛ لأن القرآن يفسر بالقرآن، وإذا كان غير حافظ لكتاب الله ﷻ عن ظهر قلب، فإنه قد يفوته تفسير الآية بآية أخرى، وفي ضمن ذلك أن يكون يعلم (وهذا على جهة التفصيل، لا على الاشتراط) أن يكون يعلم القراءات، سواء كانت السبع، أو العشر، أو ما هو أكثر من ذلك مما صح من القراءات؛ لأن التفسير يحتاج

فيه المفسر إلى تفسير القراءة بالقراءة الأخرى، مثل: قوله ﷻ: ﴿وَلَا نَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢] في القراءة الأخرى قال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطَّهَّرْنَ﴾ صار معنى يَطَّهَّرْنَ يعني: يتطهرن يعني: الطهارة الكاملة، الطهارة من الحيض، وطهارة بالاغتسال، فتفسر القراءة بالقراءة، بعض الناس ما يكون عنده علم، أو يجترئ على القراءات، ويأتي بقراءة شاذة، أصلًا لا تصح، مثل: الذي يأتي - وسمعناها من بعض خطباء الجمعة، ومن بعض المحاضرين، هذا جهل في بعض أحواله - مثلًا يأتي بقوله: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦] يعني: جعلنا مترفيها أمراء - ما أدري له هوى أو كذا - المقصود أمَّرْنا مترفيها، يقول: كما القراءة الأخرى، وهذه ليست قراءة صحيحة، ولكن: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ﴾ يعني أمرنا مترفيها بالهدى والتقى، فلم يطيعوا الرسل، بل فسقوا فيها: ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

إذًا المفسر يشترط فيه أن يكون حافظًا لكتاب الله ﷻ، ويفضل فيه أن يكون عالمًا بالقراءات؛ لأن بعض القراءات يفسر بعضًا.

الشرط الثاني: أن يكون عالمًا بالسنة، ونعني بالسنة: السنة التي فيها تفسير القرآن الكريم، فيعلم تفسير القرآن بما جاء في السنة، يحصر ذلك ويعلم، ويعلم سنة النبي ﷺ، وكيف إثباتها؟ ومعرفة الصحيح منها من غيره لأن ذلك يؤهله لمعرفة ما صح من التفسير بالسنة مما لم يصح.

الشرط الثالث: أن يكون عنده علم بأصول الفقه، يعني: بأسباب النزول، بالناسخ والمنسوخ، بمعنى المطلق والمقيد، بمعنى العام والخاص، بمعنى المجمل والمبين، بدلالات الألفاظ إذا كان عنده علم

بأصول الفقه، أصول الفقه ما معناها؟ يعني: وجه الدلالة من الآية على المعنى، هذا من أصول الفقه، هي قوانين يستنبط بها العالم الحكم من الدليل، الاستنباط هذا يقوم على قاعدة، لا بد أن يكون عنده علم بهذه القواعد التي يحصل بها الاستنباط، مثل مثلًا: أن يقدم في الكلام الحقيقة الشرعية، ثم الحقيقة العرفية، ثم الحقيقة اللغوية، هذه تفيد المفسر في كثير من الآيات التي أشكلت، أو صار فيها خلاف بين المفسرين.

المقصود علمه بأصول الفقه، أصول الاستنباط يحتاجه في الاجتهاد في التفسير.

الشرط الرابع: أن يكون عالمًا بكلام السلف في التوحيد والعقيدة؛ حتى لا يفسر القرآن بتفاسير الخلف، التي فيها بدع ومحدثات، إذا جاءت الأمور الغيبية، يعلم أصول السلف في تفسير الغيبيات، في أمور التوحيد، وصفات الله ﷻ يفسرها بما فسره به السلف، ما يجتهد في شيء يخالف منهج السلف في ذلك.

الشرط الخامس: أن يكون عالمًا بلغة العرب؛ لأن اللغة هي ميدان، ولأن القرآن - كما ذكرنا - أنزل بلسان عربي، واللغة هي ميدان الفهم، هي الوسيلة، الألفاظ وعاء، والمعنى في هذا الوعاء، وكيف تفهم المعاني إلا إذا فهمت دلالة الألفاظ على المعاني؟ لذلك لا بد أن يكون عالمًا باللغة، علمه باللغة يشمل أن يكون عالمًا باللغة في نحوها، وفي مفرداتها، وفي تراكيبها، أما البلاغة، فلا تشترط لأنها أمر خارج عمّا يفهم به، إلا إذا قيل في علم المعاني من علوم البلاغة، فإن لاشتراطه وجهًا.

علم اللغة لا يعني أنه يعلم النحو في كل مسألة مثلًا، أو يعلم هذه مفردها بنفسه، قد يكون يعلمها بنفسه، أو بالقوة القريبة، يعني: يستطيع يراجع مثلًا المفردة، عنده كتب اللغة، عنده المعاجم، عنده كتب النحو، عنده ما يستعين به على ذلك، عنده ملكة، ويستطيع أن يستعين في ذلك بالقوة القريبة.

الشرط السادس والأخير في ذلك: أن يكون في تفسيره مراعيًا مواقع الإجماع والخلاف، ما يأتي هكذا ما يعرف ما الذي أجمع عليه مما اختلف فيه؛ لأنه قد يخالف الإجماع في مسائل. **[محاضرة مناهج المفسرين]**.

س ١١٠: كيف تكون دراسة الإسناد على طريقة أهل التفسير؟ وهل هناك فرق بينها وبين طريقة المحدثين؟

الجواب: هذه ملاحظة جيدة من السائل، وحسنًا أنه لاحظ هذا في كلامي، نعم، هناك فرق، ولكن بسطه لأهل الاختصاص، ولعل السائل إذا كان عنده اهتمام خاص بالرجال، وبطبقات الرواة، وبالاختصاص، والفرق بين كتب التفسير وكتب الحديث، عنده هذا الاهتمام أن يراجعني - إن شاء الله - نجد الإشكال سهلًا، ونبين له الفروق الكثيرة في ذلك. **[محاضرة مناهج المفسرين]**.

س ١١١: في قوله ﷻ: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨] نرجو من فضيلتكم توضيح البصيرة، وما الطريق إليها؟

الجواب: في قوله ﷻ في آخر سورة يوسف ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨] البصيرة هي: كل ما به يبصر الطريق الذي أمر

الله ﷻ به، ومعنى ذلك أن البصيرة التي يدعى إليها ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي: على نور من الله وعلم، قال: ﴿أَنَاْ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَاْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فالبصيرة هي: النور الذي يقذف في القلب بالعلم بالله ﷻ، وبما أنزل في كتابه، وبما جاء في سنة نبيه.

والنبي ﷺ بصيرته هي أن يكون مزدادًا من العلم، ومن العلم بما أنزل الله، والله ﷻ أمره بأن يقول: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤] فازدياد العلم هو ازدياد البصيرة؛ لأنه به يزداد بصرك، فكما أن بصرك يبصر المبصرات من الذوات والأعيان، كذلك القلب يبصر، يبصر الحق والباطل، يبصر السبيل النيرة من السبيل المظلمة، يبصر السبيل المجدية في الدعوة من السبيل التي لا تجدي، يبصر السبيل التي يرضى الله ﷻ أن تسلكها، ويبصر السبيل التي لا يرضى الله ﷻ أن تسلكها، فإذًا البصيرة هي عماد الأمر كله، بل هي أصل الدعوة، وأولها وآخرها. [**محاضرة آداب الأمر بالمعروف**].

س ١١٢: هل ذكر المفسرون سندًا صحيحًا عن ابن عباس رضي الله عنهما أو غيره عن صفة سفينة نوح عليه السلام علمًا أن بعضهم قالوا: عندما اكتشف في تركيا سفينة على رأس جبل، أنها سفينة نوح؛ لأن الوصف في الأثر مطابق لها؟

الجواب: هذا لا يثبت فيه شيء فيما أعلم في وصف السفينة بدقة، والجبل الذي استقرت عليه، واستوت عليه الذي هو الجودي: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤] الجودي هذا يقولون: إنه في جهة كردستان، جهة الأكراد، يعني: بين العراق وبين تركيا، هناك جبل قيل: إنها استقرت عليه، ويزعمون أن هناك أشياء من آثار السفينة، لكن ليست

صحيحة، الجبل معروف، اسمه الجودي إلى الآن في تلك المنطقة. [محاضرة الصبر على العلم].

س ١١٣: نود أن نقف وقفة مع الخير، ومع الشر من خلال قوله ﷻ: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥]، وجزاكم الله خيرًا

الجواب: الحمد لله، هذه الآية وهي قوله ﷻ: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ فيها أن الله ﷻ وعده حق، وهذا الوعد لا شك أنه سيكون، يعني: ما وعد الله ﷻ به حاصل لا محالة، وما قدره الله ﷻ على العباد إما من ابتلاء ومصائب، أو من تأخر موعود الله ﷻ، أو من بعض ما لا يؤنسهم في الدنيا، هذا ليس إلى العبد، إنما هو إلى الله ﷻ، والذي على العبد أن يسعى بما أمر به شرعًا، أولًا: ينظر إلى ما يجعله الله ﷻ قدرًا، فثم شرع شرعه الله ﷻ، وهو أمره الذي نحن مكلفون به امتثالًا له، واتباعًا، وطاعة، وأما ما يفعله الله ﷻ، ويخلقه، ويقضيه، ويقدره، فهذا ليس إلينا؛ قال ﷻ: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾ [الروم: ٦٠]، وقال ﷻ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥﴾ [الاحقاف: ٣٥] في هذه الآيات جميعًا تلحظ فيها أن الله ﷻ يصرف العباد عن رؤية المقدر الذي قدره إلى رؤية ما شرعه، يعني: امتثالًا، واتباعًا.

في آية سورة المؤمن هذه قال ﷻ: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥] قبلها قال ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر: ٥١] هذا وعد الله، هذا الوعد للذين آمنوا برسل الله ﷻ أنهم منصورون ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣] هذا وعد الله قال ﷻ: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [غافر: ٥٥]، وعد الله ﷻ في ذلك حق، وعليك الصبر، ما الذي تؤمر به؟ قال ﷻ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾ [غافر: ٥٥]، والاستغفار والتسبيح في هذا الموضع يعني: ملازمة الهدى وترك السيئات، والبعد عن جميع ما لا يحب الله وما لا يرضاه، فأمر بالاستغفار وملازمته، والاستغفار يحدث الطمأنينة ويحدث البصيرة، وينزل توفيق الله ﷻ على العبد، فبالاستغفار يتضح الأمر وبالاستغفار يقوى العقل؛ ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ربما استعصت علي المسألة من مسائل العلم، فأستغفر الله ألف مرة؛ حتى يفتح لي مغلقها، يستغفر لأجل الفتح، فبالاستغفار يتيسر الأمر، موعود الله ﷻ القدري لابد أن يكون، لكن على العباد أن يسعوا في وسيلته، ومن وسائله أن يكونوا مستغفرين لله ﷻ، فاستغفار العبد ربه فيه أن العبد محتاج إلى ربه، فيه أن العبد مستعظم لذنبه، وأن العبد محتاج إلى ربه، ففي الاستغفار عبوديات قلبية متنوعة، الاستغفار فيه ذل العبد لربه، وفيه انكسار العبد واستكانته بين يدي الله ﷻ، وفي التسبيح بعده ملازمة الهدى والطاعة، قال ﷻ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾ ملازمة الطاعة، فإذًا أنت مأمور بملازمة الشرع، وأما رؤية القدر، ومتى يكون قدر الله؟ متى يكون ما وعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به؟ فهذا ليس إليك، وإنما عليك وإليك الصبر لا غير، والله أعلم.

[محاضرة وقفة مع آيتين من سورة محمد].

س ١١٤: الله يحفظك يا شيخ آية آخر سورة القصص: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ المعنى الصحيح فيها ابن جرير ذكر فيها معنيين؟

الجواب: الصحيح كل شيء هالك يعني: من الأعمال إلا ما أريد به وجهه ﷻ.

س ١١٥: والمعنى الثاني هل هناك شيء يمنع منه؟

الجواب: ليس هناك ما يمنع منه، لكن السياق في نفي الشرك، السياق اقتضى هذا ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] أو تقول: إن الوجه هنا المقصود به وجه الله ﷻ، وبقاؤه دليل على بقاء ذاته سبحانه وتعالى، فكل شيء هالك إلا ذات الرب ﷻ، هذا القول الثاني مستقيم، يعني: ما فيه إشكال، والقولان للسلف، هذا وهذا كلها صحيحة. **[مجلس١٨/ ٧/ ١٤١٧هـ]**.

س ١١٦: لكن يا شيخ تفسير الآية ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ [النحل: ٢١] كيف هذا يكون؟

الجواب: يعني أموات غير أحياء: البشر الذين عُبِدوا.

س ١١٧: حتى الجمادات الأصنام؟

الجواب: لا، هي ليست في الأصنام، بل معبوداتهم الصالحين، الذين عبدوهم والأنبياء؛ قال في أول سورة النحل: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل: ١٩ - ٢١] قال تفسير السلف والمحققون: أنها فيمن عُبِد من البشر من الصالحين، ولهذا أكثر المفسرين هنا غلطوا، أكثر المفسرين المتأخرين غلِطوا في هذه، وجعلوها في الأصنام

وهذا غلطٌ بيّن؛ لأن الله ﷻ جعل لهم شعورًا في موتهم، قال: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ والذي له شعور هو الذي كان حيًا، والذي هو الآن ميت في حياةٍ خاصة، له شعور، والذي سيُبعث أيضًا ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ فله وقتُ سيُبعث فيه، فالتفسير الصحيح فيها أنها كآية الأحقاف، أنها في الأنبياء والرسل، والصالحين الذين عُبِدوا من دون الله ﷻ. [مجلس ١٨/ ٧/ ١٤١٧هـ].

س ١١٨: شيخ الإسلام في التدمرية لما راجع الباطنية، وذكر الآية قال: غير المتصفة بحياة، لما قالوا: إنها إن يكن الموصوف قابلًا للصفات، فاستدل شيخ الإسلام بقول الله ﷻ: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ إنها غير قابله للاتصاف بالصفات، يعني: قول النقيضين يا شيخ لا يجتمعان، ولا يرتفعان قال: قد تجتمع في الكائن، فيكون لا حي، ولا ميت.

الجواب: ليس بالنقيضين، الضدان: الموت ضد الحياة صحيح، فما يجتمع ارتفاع الموت وارتفاع الحياة معًا، استدلال شيخ الإسلام صحيح؛ لأن الضدين لا يجتمعان، ولا يرتفعان، يعني: لا يمكن الموت والحياة ترتفعان معًا، أو تُوجدان معًا، فلابد أحدهما يوجد، ويرتفع الآخر، إن وجدت الحياة، ارتفع الموت، وان وجد الموت، ذهبت الحياة، هذا استدلاله بقضية إن الضدين لا يجتمعان، ولا يرتفعان، وهذا متفق عليه بين العقلاء، متفق عليه، الضدان غير النقيضين، النقيضان لا يجتمعان، وقد يرتفعان. [مجلس١٨/ ٧/ ١٤١٧هـ].

س ١١٩: يا شيخ ما حكم الاستدلال بقوله ﷻ: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]؟

الجواب: أمرٌ ثم خبر، أمرٌ بتقوى الله ﷻ، وإلا فأنت تقف، ثم تقول: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

س ١٣٠: يعني ما يترتب هذا علي هذا؟

الجواب: كيف يترتب؟ ما يترتب، لا، في النحو ما يترتب هذا علي هذا، لو كان التعليم مرتبًا علي التقوى في هذه الآية، لحذفت الواو ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فيكون يعلمكم جواب الأمر، يعني اتقوا الله: ﴿وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغۡفِرۡ لَكُم﴾ [نوح: ٣ - ٤] يعني: إذا جاء الجزاء يكون بلا واسطة حرف، فهي جمل منفصلة، يعني ما يصح أن يقال: إن هذه الآيات فيها دليل علي أن التعليم نتيجة للتقوى، إن الله ﷻ علم من اتقاه، الآية ما فيها دليل علي هذا، واتقوا الله هذا أمر جاء بعد ذكر الشهادات، ثم يعلمكم الله الأحكام، والله بكل شيء عليم.

واتقوا الله، عطف جمل، بعض أهل العلم يرى - لكنه قليل - أن الواو في الجملة الفعلية يمكن أن تكون حالًا، وبناءً عليه قالوا: إن ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، فإن اتقيتم. .، والله نسيت ما تأويلهم عليه، وذكرها أبو حيان في البحر المحيط، ذكر وجه هذا لبعض النحاة، وضعفه، قال: هذا شاذ في العربية أصلًا.

وطبعا لاحظ أن من اتقى الله ﷻ علمه الله، من اتقى الله علمه الله، هذا بغيرها، لكن هل الآية هي الدليل؟ أقول: لا، الآية ليست هي الدليل؛ لعدم اتساقها نحوًا، راجعها في البحر المحيط، هو من أحسن من بحثها، وكذلك الألوسي في (روح المعاني)، وردوا علي القائلين بأنه يصلح أن تكون حالًا، أنت رددها، تجدها لا تستقيم أصلا، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، ترتيب الأولى علي الثانية أبدًا ما يتوافق. [مجلس١٠/ ٨/ ١٤١٧هـ].

س ١٣١: ما تكون يا شيخ: ويعلمكم الله التقوى، ويعلمكم ما تتقون به؟

الجواب: لا، هم قالوا: ويعلمكم الله إن اتقيتم، هذا التقدير عندهم، لكن ما يستقيم.

س ١٣٢: كيف يفهم الخلود في الآيات؟

الجواب: يعني في مسألة الخلود؟ يعني: أنه يطول مكثه فيها؛ لأن الخلود نوعان في القرآن: خلود أبدي، وخلود أمدي، يعني: إلي أمد، والخلود أصلا هو في اللغة المكث الطويل؛ لذلك تسمي العرب خالدًا تفاؤلًا بطول عمره، فإذا جاء (خالدًا فيها) في القرآن يعني: يطول مكثه فيها، فإذا جاء معها (أبدًا) تصير تمييزًا لها، آية هذه ما فيها المشكلة، آية الربا هي المشكلة؛ لأن فيها (خالدين فيها أبدًا). **[مجلس١٠/ ٨/ ١٤١٧هـ]**.

س ١٣٣: هل يُغفر للقاتل، أو لا؟ ما فيها خلاف قوي يا شيخ فيها، الذي يقتل القاتل؟ قول ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ لما قلنا إن الآية هذه آخر آية نزلت؟

الجواب: ابن عباس رضي الله عنهما رجع عنها، مسألة الخلود رجع عنها، ابن عباس رضي الله عنهما كان يقول به، ورجع عنها، يعني: ليس للقاتل توبة، لكن ما يقول: مخلد في النار، يقول: ليس له توبة، ما يقول: إنه من الكافرين، يعني: في النار خلوده خلود الكافرين، لا، يقول: ليس له توبة. **[مجلس ١٠/ ٨/ ١٤١٧هـ]**.

مداخلة: قول ابن عباس ﷺ: (وتفسير لا يعلمه إلا الله. . .) هل هذا يستقيم مع عدم وجود المتشابه المطلق؟

الشيخ: هذا من المشكلات، ما عندي جواب فيها، قديمًا كنت أجيب عليها جوابًا، لكن الجواب هذا ما ثبت عن ابن عباس، لكن يظهر إنه كان فيه قوة، لكن هو مشكل الآن يحتاج إلى بحث ونظر، ابن كثير ﷺ في المقدمة ذكر هذا مقرًا له(١)، وابن جرير(٢) أيضًا نقله، فيه قول ابن عباس: «وتفسير لا يعلمه أحد»، وفي لفظ قال: «وتفسير لا يعلمه إلا الله»، كيف يستقيم مع عدم وجود المتشابه المطلق؟ إلا أن يُحمل على الأمور الغيبية، سواء في صفات الله ﷻ وما غاب عنا.

س ١٢٤: قال: ما معنى قوله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٢ - ٥٣]؟

الجواب: قلنا لكم: إن التأويل يأتي في القرآن بمعنيين فقط، لا ثالث لهما، والثالث عند الأصوليين، أما في القرآن، فالتأويل بمعنى التفسير: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ [يوسف: ٤٥] يعني: بتفسيره.

الثاني: التأويل بمعنى ما تؤول إليه حقائق تلك الأخبار من كيفيتها، فهذا لا يعلمه إلا الله ﷻ.

إذا قلنا علم على كذا وكذا، هذا خبر، تأويل هذا الخبر، تأويله إذا رأيت

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٥ - ١٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/ ٧٥ - ٧٦).

ما تؤول إليه حقيقة هذا الخبر، إذا رأيت، وعاينت، علمت كيفية، علمت ما آلت إليه تلك الحقيقة، فيكون عندك علم به، لكنه من جهة العلم، لا من جهة معرفة حقيقته، معرفة كيفيته، كذلك ما جاء في الأخبار أن الخبر إذا كان عن الجنة فيها أنهار من ماء غير آسن، تأويلها إذا ظهرت حقيقية ذلك الخبر، إذا رأيتها هناك يعلم تأويله، ولهذا قال ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣] يعني: ما تؤول إليه حقائق أخباره، ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣].

القسم الثاني من القرآن: الأحكام، وهي الطلب؛ لأن الكلام قسمان: إنشاء، وطلب، وهنا الأحكام: الطلب: افعل، ولا تفعل، تأويلها بمعرفة ما تؤول إليه حقائقها، من اتبع وأعطاه، فدخل الجنة، هذا التأويل، تأويل الأحكام.

من عصى، وأعرض، فدخل النار، هذا تأويل الحكم، وهكذا. . .

فإذًا القرآن: الخبر والحكم، أخبار وأحكام، تأويل الأخبار على ما ذكرت، وتأويل الأحكام على ما ذكرت، فهذا معنى قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣].

س ١٢٥: قال بعض العلماء: إن المحكم هو الذي لا يحتمل إلا معنى واحد، وأما المتشابه فهو الذي يحتمل أكثر من معنى، بعضها يوافق المحكم وبعضها إذا عرض المتشابه عليه، فإنه يعارض المحكم؟

الجواب: هذا ليس بصحيح، هذا الكلام ليس بصحيح؛ لأن معنى ذلك أن من آيات الصفات ما يدخل في المتشابه من جهة تعدد المعنى، وهذا مرفوض إلا إذا قال هذا: نخرج الغيبيات، إذا قال: نخرج الغيبيات، فيكون

الخلاف سهلًا، أما إذا أطلق كهذا الإطلاق، فهذا ليس بصحيح؛ لأن المحكم هو الذي يعلم معناه.

مثل: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٩] هذه يسمعها أي عربي، وإن كان ليس من أهل اللغة، يعني: لا يفهم اللغة، يفهم المعنى، يفهم ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ لكن إذا قلنا بذلك، نضبطها بالضابط الآتي: وهو أن المحكم ما يعلم معناه، المحكم: ما يعلم معناه الناظر فيه، هذا هو المحكم المتشابه: ما يجهل معناه، ولذلك نقول: المتشابه هو المتشابه الإضافي.

أما ما تردد بين معنيين، فهذا له بحث آخر عند الأصوليين، مثلًا: لفظ له معنيان، مثل: لفظ القرب، يقولون: هل يحمل مشترك على معنيين، أم له معنى واحد؟ والصحيح - كما هو مشهور - يجوز حمل المشترك على معنيين.

هنا مثلا: القرء بمعنى الحيض، والقرء بمعنى الطهر، فهذا لأجل اللغة، اللغة فيها أن القرء له معنيان، أما التردد بين المعنيين، التردد بين المعنيين لاحتمالات، هذا ليس بوارد احتمالات، أما إذا كان ثبت أن هذا وهذا يعد مثلًا: إما من الأضداد، وإما مما يرد في أكثر من معنى، هذا فيه بحث آخر.

أما من جهة التقسيم - تقسيم المحكم والمتشابه -، فالمتشابه إنما هو إضافي، إذا كان عندك تردد: هل المعنى كذا، أو المعنى كذا؟ هذا معناه متشابه بالنسبة لك، فيكون من المتشابه الإضافي.

أما أن يكون اللفظ في نفسه لا يعلم معناه، متشابه في نفسه، بحيث يكون إما يعنى به كذا، أو يعنى به كذا، ولا يعلم أي الجهتين مطلقا، فهذا لا يقول

به أهل السنة، مثل: ما قال ابن العربي المالكي في عارضة الأحوذي حينما تكلم عن الاستواء، قال: الاستواء يرد في لغة العرب على خمسة عشر معنى، وساقها[(١)]، فلما ساق تلك المعاني، قال: ولا نعلم أي تلك المعاني المقصود؟ هذا لا يدخل بحال في المتشابه، إنما المتشابه ما اشتبه عليك، ما علمت، جهلت معناها، ما تدري هل المعنى كذا أو كذا؟ لأجل اشتباهه عليك، لا لأجل أن اللفظ من آيات الصفات أو أحاديث الصفات أنه يحتمل ذينك المعنين؛ فلذلك نقول: إن أسماء الله وصفاته ليس بمتشابه. **[في ضيافة مدارس بدر]**.

فائدة

إن التعليقات عبَّرت عن العلم بغير لغة أهله، أنت تشتغل في التفسير، وهذه الرسالة رسالة علمية تقدمت بها إلى قسم القرآن وعلومه من كلية أصول الدين، فالذي ينبغي أن تتكلم بلغة أهل التفسير في التعليقات، والذي يظهر للقارئ حينما يقرأ البحوث والتعليقات التي أوردتها أنك تكلمت قليلًا بلغة أهل التفسير، وتكلمت كثيرًا بلغة أهل الفقه. يعني: أنك تورد الخلاف على طريقة فقهية.

فمثلًا: أتيت مرة - يأتينا في الملاحظات التفصيلية - أتيت في استعمال (لو) أوردها أحد الأئمة في كلامه، وأتيت في الكلام على (لو) عند الفقهاء،

---

(١) انظر: عارضة الأحوذي (٢/ ٢٣٥) أبواب الصلاة - باب ما جاء في نزول الرب ﷻ إلى السماء الدنيا كل ليلة.

(لو) ينقسم في استعمالها أنها إذا كانت في المستقبل كذا، وإذا كانت في الماضي كذا، وهذا يجوز، وهذا لا يجوز، لكن ما أتيتنا باستعمالات (لو) في القرآن، وهذا هو المقصود من بحثك، أتيت مرة إلى خلاف على قوله ﷻ ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠﴾ [الأعراف: ١٩٠]. وهذه مسألة البحث فيها مشهور، والآن يكثر الكلام فيها والخلاف، وهل المقصود بذلك آدم وحواء أم لا؟ وخدمت الكلام بنقل من النقول عن بعض المشايخ والعلماء المعاصرين، الذي هو نظر فقهي، وليس نظرًا تفسيريًا؛ لأنك لو نظرت إلى كلام ابن جرير في التفسير، لوجدت أن كلامه كلام إمام في التفسير محقق، وهو الذي اعتمده أئمة الدعوة بأن المراد آدم وحواء - كما سيأتي -؛ لأن المسألة فيها إجماع، وأنت أتيت بالخلاف، ومعلوم عند طالب علم التفسير أنه إذا كان ثم إجماع عند الصحابة في تفسير الآية، فإنه لا يُنظر إلى خلاف من بعدهم؛ كما هو معلوم، فخدمت أنت الخلاف بطريقة فقهية، اختلفوا على كذا، واختلفوا على كذا، حتى عند الأصوليين، فإنه إذا اختلف الصحابة ﷺ في المسألة على قولين، جاز أن يختلف من بعدهم، لكن إذا لم يختلفوا، فلم يجز الاختلاف فيمن بعدهم.

إذًا البحث من الملاحظات العامة عليه أنك تكلمت في التعليقات، وحققت بلغة في الغالب ليست لغة مفسر، وليست لغة طالب علوم قرآن، وإنما وثقته كما يوثق أي محقق بحثه، انظر تفسير كذا، انظر تفسير ابن كثير، انظر تفسير الطبري، فيها عدة أقوال، انظر زاد المسير، ونحو ذلك مما يتعاطاه أي مفسر، يعني: أن علمك بالتفسير وعلمك بعلوم القرآن لم يظهر، حتى لما أتيت إلى مسألة في الخلاف في عد الآي رجعت إلى كتب فقهاء

ومحدثين، وما رجعت إلى كتب عد الآي وكتب القراء، وربما يكون عند فضيلة الشيخ إبراهيم الدوسري ملاحظة على هذا؛ لأنها فنه. **[مناقشة رسالة ماجستير]**.

فائدة

الباحث: سُئل الشيخ عبد الله البابطين رَحِمَهُ اللَّهُ عن قول من قال في قول الخضر لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما نقص علمي وعلمك من علم الله، إلا كما نقص هذا العصفور من البحر، وقال: إن المراد بعلم الله معلومه.

الشيخ: معلومه، نعم.

الباحث: هذا على طريق أهل التأويل في صفات الرب عَزَّ وَجَلَّ كما يقول البيضاوي: في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

الشيخ: ارجع، ماذا علَّقت لنا؟ أولًا: البيضاوي، ويقول: كما يقول البيضاوي من علمه أي: من معلومه، وهذا على طريقة أهل التأويل في الصفات، والبيضاوي حين ترجمت له قلت: وهو في الاعتقاد على مذهب الأشاعرة، فتحصل لنا من الكلام أن البيضاوي على منهج الأشاعرة، وأن من منهج الأشاعرة التأويل، ولذلك أوَّل البيضاوي صفة العلم إلى المعلوم، هذا هو الذي أنت أردته بالكلام، وهو الذي قاله الشيخ عبد الله، وهذا في الحقيقة ليس بصحيح، لا من الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، ولا أيضًا منك؛ لأن صفة العلم من الصفات السبع التي يثبتها الأشاعرة، فلا يتأوَّل الأشاعرة صفة العلم، ما يتأولونها، صفة العلم عندهم لله عَزَّ وَجَلَّ علم الله ثابت من الصفات السبع، وإنما الذي يتأول صفة العلم بالمعلوم المعتزلة، ولو نظرت في كتب

التفسير، وخدمت البحث، لوجدت أن الرازي في تفسيره قال: احتج بعض الأصحاب بهذه الآية في إثبات صفة العلم لله ﷻ، وهو ضعيف لوجوه: أحدها أن كلمة من للتبعيض، يعني: من علمه، وهي هاهنا داخلة على العلم، فإذا كان المراد من العلم نفس الصفة، لزم دخول التبعيض في صفات الله ﷻ، وهو محال[1]، يعني: على كلامه أن قول بما شاء لا يتأتى بالعلم.

المقصود من ذلك أن هذا الكلام لا يستقيم مع منهج من؟ الأشاعرة، وإنما يستقيم التأويل على طريقة المعتزلة، فهذا الموضع كله يحتاج إلى توجيه، والبيضاوي فسره؛ لأن البيضاوي اختصر الكشاف للزمخشري، البيضاوي - كما هو معلوم - اختصر الكشاف للزمخشري، والكشاف فسر ﴿يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ أي: من معلومه، فتبعه البيضاوي. فإذًا حين تبع البيضاوي، وأوَّل هذه الصفة، لا لكونه أشعريًا، ولكن لكونه تبع الزمخشري في كتابه الكشاف؛ لأنه اختصر كتابه.

الباحث: عفوًا فضيلة الشيخ، لي سؤال من باب الفائدة: هل في القول في مثل هذه الآية ﴿مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ أي: من معلومه، هل فيها تأويل؟

الشيخ: ما فيها تأويل، إذا أردت أن تعرف المفسر هل يؤوِّل أو لا؟ فتنظر إلى موارد الصفة؛ لأنه قد يقترن بسياق الآية ما يجعل المفسر يفسر الآية بلازمها، أو بما تضمنته الآية، فالتفسير - كما هو معلوم - بدلالات اللفظ الثلاثة: تفسير بالمطابقة، تفسير بالتضمن، تفسير بالالتزام، فقد يفسر في موضع بما يظهر لك أنه تأويل، لكن تبحث في الموضع الثاني، فتجده يثبت

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٧/ ١١).

الصفة، فإذًا يكون في الموضع الأول لأجل السياق، فسرها بهذا التفسير، لا لأجل نفي الصفة، وهذا مقرر في مواضعه من كتب أهل العلم. **[مناقشة رسالة ماجستير]**.

فائدة تفاسير السلف

الشيخ: أنا أعرف هذا الشيء، ما شاء الله أقول: أنت مُعظم لهم، ما هو المقصود مناقضة (لكن تعني) أن كلام الإمام، ويترك تفاسير السلف؛ لأنه الآن يرد الشيخ سليمان من فسرها بالذرية، من فسرها باليهود والنصارى، والمشركين إلى آخره، وينصر القول بأن المراد آدم وحواء، ورد على ذلك، قال: يقول الشيخ سليمان اقرأ: والعجب.....

الباحث: ممن يُكذب بهذه القصة، وينسى ما جرى أول مرة، ويكابر بالتفاسير المبتدعة، ويترك تفاسير السلف وأقوالهم.

الشيخ: ويترك تفاسير السلف وأقوالهم. الحاشية..

الباحث: لكن قد ورد عن بعض السلف خلاف ذلك؛ كما ورد عن الحسن رحمه الله.

الشيخ: أنت الآن هذا الذي ذكرت، كأنك بحثت بحثًا عصريًا، لم تعتمد فيه على أصول علم القرآن وأصول التفسير، وكيف يؤخذ التفسير الصحيح من غيره؟! ابن جرير رحمه الله لو رجعت إليه - وهو إمام المفسرين -، لوجدته ذكر الأقوال، فماذا قال؟ قال ابن جرير رحمه الله بعد السياق، ولا أطيل معك في البحث؛ لأن فيها أوجهًا كثيرة ترد قول من قال: إن المراد بها الذرية، أو نحو

ذلك، أو المشركين، وألا يكون المراد آدم وحواء، ابن جرير لما ساق الأقوال، قال ماذا؟ المعني بذلك - هذه عبارته - المعني بذلك آدم وحواء؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك. هل ثم في علوم القرآن، أو في التفسير أنه يصار إلى قول، ويُرجح مع نقل ابن جرير الإجماع على خلافه؟ هذه ما نعلمها، ولذلك أئمة الدعوة كونهم اختاروا هذا القول الذي هو آدم وحواء؛ لأجل أنه إجماع؛ لأن الآثار تعضده، وما يُعرف عن الصحابة من قال بخلافه، وما قال إلا الحسن فقط من التابعين، وإن كان قول الحسن حسنه ابن كثير، لكنه مردود بالإجماع قبل ذلك.

الباحث: لكن - أحسن الله إليك - يعني: نقل ابن جرير للإجماع قد يُتتبع، يعني: قد يخفى على ابن جرير.

الشيخ: أنت أصلًا ما جئت إلا بالحسن، في غير الحسن عندك؟

الباحث: يكفي النقل عن الحسن في هذه.

الشيخ: الحسن أليس مسبوقًا بإجماع من الصحابة؟

الباحث: هذا هو محل النزاع يا شيخ.

الشيخ: الآن إذا أجمع الصحابة على قول في التفسير، فهل للتابعين أن يُحدثوا قولًا آخر في التفسير؟! معنى ذلك: أن القول الصواب في التفسير، والذي ترجحه، وهو ما قاله الحسن خفي عن الصحابة، ولا يجوز أن يقال: إن قولًا حقًا في التفسير خفي عن الصحابة، وأدركه من بعدهم. **[مناقشة رسالة ماجستير]**.

فائدة

هذه الآية هي التي قال فيها عمر بن عبد العزيز وغيره من أهل العلم: (هذه الآية شملت الدين كله)، فما ثم مسألة في الدين إلا وهي في هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] ولذلك جعلها عمر رَحِمَهُ اللَّهُ في آخر خطبة الجمعة الثانية؛ لاشتمالها على الدين كله، ولاشتمالها على المقصد من الشريعة، ولاشتمالها على أصول الأوامر: العدل، والإحسان، وإيتاء ذي القربى، والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، فهي شاملة في الموعظة، شاملة في الأمر والنهي لخيري الدنيا والآخرة. **[شرح القواعد والأصول الجامعة]**.

تفسير قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]: يعني: في هذه الآية يقصد الأمانات، عرفها بهذا التعريف في هذه الآية، وإلا فالأمانة: أعم من أن تكون أمانة في الأموال، الأمانة منقسمة إلى: أمانة على مال، وأمانة على عرض، وأمانة على ذات، فالعارية أمانة، والوديعة أمانة، والولد عند أبيه أمانة، ونفس الإنسان عنده أمانة... وهكذا فالأمانات عامة، لفظ الأمانة يعني: ما يؤتمن عليه، هذا يشمل أشياء كثيرة من الأموال وغيرها، ولكن لما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ تؤدوا الأمانة إلى أهلها، فُهم منه أن الأمانات هنا هي: الأمانات المالية، فإذًا تفسيره هنا للأمانات بالمالية ليس حصرًا للأمانة في المال، وإنما في هذا السياق.

يعني: إذا كان أداء الأمانة واجبًا، مقصد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ يعني: إذا ائتمنك أحد على شيء، فالله أمرك بأن تؤدي هذه الأمانة على ما هي عليه إلى أهلها، يعني: حين تُطلب، أو في وقتها، هذا هو المقصد الشرعي، فوسيلته أن تحفظها في حرز مثلها، يعني: مال ما تضعه عندك في المجلس، تضعه في المكان الذي يوضع فيه المال، في مصرف، أو تضعه في. . .، أو نحو ذلك، إذا كان كتاب أُئتمنت عليه، فتضعه في المكتبة حيث تُحفظ الكتب، سيارة أُئتمنت عليها ما تضعها في مكان يكون معرض للبرد، معرض للشمس، يوقفها عندك شهرين ثلاثة، وإنما الأمر بأداء هذه الأمانات المالية يعني: أنه أمر بوسائل أدائها كما أخذتها، فيجب عليك أن تحفظ المال في حرز مثله، ويجب عليك أنك تحفظ السيارة في مكانها الذي تحفظ عليه عادة، يعني: بما جرى عليه العرف. . .، وهكذا في سائر الأنواع، فإذًا وسائل حفظ الأمانات واجبة؛ لأن أداء الأمانة - وهو المقصد - واجب.

يعني مثلًا قال: أنا أضع عندك عشرة خرفان، أجعلها عندك، والله أنا أذهب لمكة، وآتي، وأخاف أنها تضيع، وأجعلها عندك، وقبلت، معنى ذلك أنك تطعمها، تعتني بها، أنك تمنعها مما يضرها، وتعطيها ما ينفعها، هذا معنى كونك قبلت الأمانة، فيجب عليك أنك تؤديها إذا طلبها، وفيما بينهما تحافظ عليها، سيارة، قال: والله أنا مسافر، عندي سفر طويل سنتين والسيارة هذه اجعلها عندك، قلت: أنا مستعد. لابد أن السيارة هذه تعتني بها، تشغلها بين فترة وفترة، وتحفظها، وتحفظ إطاراتها من الآفة، وتحفظ بطاريتها وداخلها من الغبار، هذا واجب، ما لم تقم به تأثم، يأتي واحد،

ويقول: والله أعطيته هذه وخربها، هو يأثم، ليست مسألة مجاملات، من فقه الشرع يعرف أن من قبل الأمانة، فلم يرعها، فهو آثم، آثم بهذا التفريط كله. [**شرح القواعد والأصول الجامعة**].

فائدة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

اللهم إنا نسألك علمًا نافعا وعملًا صالحًا، وقلبًا خاشعًا، ودعاءً مسموعًا اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، إنك على كل شيء قدير.

هذا الكتاب (كتاب المفردات) - كما وصفت لك قبل - من الكتب المهمة في معرفة المعاني الحرفية والاشتقاقية، وكذلك المعاني المتعلقة بتفسير القرآن.

والألفاظ التي وردت في القرآن سماها المفردات (مفردات القرآن)؛ لأنه يريد أن يبين أن سهولة الكشف عن الآية وعن اللفظ ومعناها إنما تنبني على فهرسة لهذه الألفاظ، فجعل ألفاظ القرآن، التي أكثر القرآن يدور عليها، أو الألفاظ الغريبة، جعلها في هذا الكتاب، بل لم يقتصر على الغريب، بل أتى بكل كلمة اشتقاقية تعرض لها المفسرون.

لهذا من المهم لطالب العلم أن يعتني بالكلمات - كلمات القرآن - ومعرفة تفسيرها من جهة الاشتقاق؛ لأنه بذلك ينضبط له معنى هذا اللفظ في أي موقع أو أي آية وردت في القرآن، والمعاني الكلية التي تتفرع إلى المعاني

الاشتقاقية المختلفة ترسخ في الذهن، ويمكن لطالب العلم أن يعلم معنى الآية، أو معنى اللفظ، ولو وردت بغير الصيغة التي علمها أول مرة، فحقيقة العلم بالمفردات وبتفسيرها، وبالاشتقاق، وبما تدور عليه المادة من جهة اللغة بالمعنى، هذا حقيقته أنه ييسر لك معرفة المعاني الكثيرة للآيات، أو بمعرفة الألفاظ القليلة، بالإضافة إلى أنه يقوي ملكة طالب العلم في اللغة، التي هي الأساس في فهم الكتاب والسنة، هذه المادة مثلًا: قال: أبى، والإباء: شدة الامتناع، يعني: أن الإباء امتناع وزيادة، وهذا مهم في أنه قال، فليس كل امتناع إباءً، وكل إباء امتناع؛ لأنه امتناع وزيادة، الإباء شدة الامتناع.

هذا يهمك في شيء في التفسير، وهو أن اللغة العربية، أو أن تفسير القرآن تفسير باللغة، ليس فيه تفسير بمترادفات بحتة، يعني: أنه لا يقال هذه الكلمة معناها كذا، يعني: أنها تساويها من كل الوجوه، بل لغة العرب في التفسير - في تفسير كلامها - تحتاج في تفسير الكلمة بكلمة أخرى إلى زيادة وصف، أو زيادة معنى؛ حتى تتفق الكلمة مع الكلمات الأخرى، يعني: مثلا هنا: لو قال: أبى بمعنى: امتنع. ليس صحيحا، لماذا؟ لأنه لا تساوي بين الكلمة والأخرى، لكن من جهة التقريب قد تجد الكثير من كتب التفسير هذا بأنه يفسر كلمة بكلمة أخرى، وهذا من جهة التقريب، وإلا فالحقيقة أنه لا ترادف بحت، لا ترادف كامل في التفسير؛ لهذا في قول الله ﷻ: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤] في الإباء دليل على شدة امتناعه، وهذا ما يقرب في فهم الحال من معنى استكبر، فالاستكبار معه ليس امتناعًا فقط، وإنما معه شدة الامتناع الذي هو الإباء، وكذلك قوله ﷻ: ﴿وَيَأۡبَى

ﵟٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥﵞ [التوبة: ٣٢] يعني: أن الله ﷻ ليس فقط أنه متكفل ﷻ بإتمام النور، بل هو ﷻ يشتد منعه لما يجري في كونه، إلا بإتمام نوره ﷻ.

وهكذا في مواضعها، فإذًا نأخذ من هذه المادة التي أوردها (أبى).

أولًا: أن التفسير بالمترادفات ليس صحيحا، وإنما هو للتقريب، وهذا أيضا يعتنى به في فهم تراجم معاني القرآن؛ لأن ترجمة المعنى تكون للدلالة عليه، فصحة الترجمة راجعة إلى صحة التفسير، يعني: ترجمة المعاني راجعة إلى صحة التفسير، فإذا فهم التفسير، وفهم دلالات الألفاظ في اللغة، استطاع أن يترجم هذا المعنى باللغة الأخرى.

الثاني: أن المعاني الاشتقاقية مهمة جدا؛ لأن تعلم المعنى الكلي الذي تدور عليه الكلمة، ثم بعد ذلك ما اختلفت فيه ألفاظه، فإنه تؤوله أو ترجعه إلى المعنى الأصلي الكلي، الذي يختلف باختلاف المتعينات.

الثالث: أن ربط الكلمات في القرآن دائما بمعرفة تفاصيل المعاني، هذا قل من يحفظ كل كلمة ومعناها، حتى المفسر الحاذق القوي لا يحفظ كل كلمة ومعناها، وإنما بعلمه للغة، فإنه يدرك المعاني التي إذا أدركها وبها يستطيع أن يفسر آية، ولا يخطئ في تفسيرها، إذا كان مطلعا على كلام السلف في ذلك.

بهذا يهتم طالب العلم كثيرًا بالمفردات: مفردات اللغة، مفردات القرآن، والمعاني الكلية التي تدور عليها، معنى الاشتقاق، ودوران الكلمة، فإنه ييسر له فهم الآيات الكثيرة بمعرفة ألفاظ قليلة.

قال: وروي «**كلكم في الجنة إلا من أبى**» هذا الحديث في الصحيح وهو

يذكر في لفظه: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إلا من أَبَى قالوا يا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى قال من أَطَاعَنِي دخل الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»(١)، وهذا يدل على معنى (أبى) أنه اشتد امتناعه عن طاعة النبي ﷺ، يعني: أعرض، وكثر عصيانه، الذي فيه الامتناع عن الطاعة [**شرح مفردات القرآن للأصفهاني**].

س ١٣٦: ما معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]؟

الجواب: يعني: ليس لك من تصريف الأمر، ولا تدبير الملكوت، ولا شؤون القلوب، ليس لك منها شيء، إنّما لك شيء واحد، وهو الدلالة، أن تدلّ، وأن ترشد، هذا الّذي عليك، وهذا الذي لك، وغير ذلك ممّا له ﷺ في حياته من مقامه عند ربّه، هذا خارج عن المراد من الآية، لكن هو ليس له من التدبير شيء، ولا من التصرّف شيء، ولا أن يكون يضع من شاء فيما شاء، وأن يجعل ما شاء من الناس له ما شاء من الأمور، لا.. ليس له ذلك ﷺ، وإنّما هو من جهة الناس يهديهم، ويرشدهم، ويبصّرهم، وهو نبيّ مرسل من عند الله عز وجل، سيّد الأنبياء والمرسلين، وسيّد الأوّلين والآخرين، له المقام الأعظم عند الله عز وجل، لكن ليس له من تصريف الأمور شيء - تصريف ملكوت الله -، ولا تصريف القلوب، ليس له أن يجعل هذا ملعونًا، يعني: مطرودًا من رحمة الله، والآخر ليس مطرودًا من رحمة الله، هذا لله عز وجل، ولذلك لمّا لعن هؤلاء - سهيل بن عمرو(٢) ومن معه -، قال الله له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ أمور القلب ليست لك، أمور الناس: هذا

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٦٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

مؤمن، هذا مطرود من رحمة الله، أو ليس بمطرود، هذا ليس لك، فإنّ الله ﷻ إذا شاء أن يعذّبهم، عذّبهم، وإذا شاء أن يتوب عليهم، تاب عليهم، وأنت ليس لك هذا: أن تجعل فلانًا مطرودًا من رحمة الله ﷻ، كذلك يعني: أنّ كوني رسولًا من عند الله ﷻ لا يعني أن أجعل قرابتي في الجنة معي، بنتي معي، أو عمّتي معي، أو عمّي، أو عشيرتي معي، فإنّي لا أملك ذلك، إنّما أنا نذير، فمن استجاب، فالله ﷻ يتفضّل عليه، وينعم عليه بالجنة، ومن لم يستجب، فمأواه النار، وما للظّالمين من أنصار. **[فتح المجيدشرح كتاب التوحيد]**.

س ١٢٧: من أنذر، ولم يستجب للإنذار ينزل منزلة من لم ينتفع بالإنذار؟

الجواب: من أنذر، فلم يستجب للإنذار ينزل منزلة من لم ينتفع بالإنذار، يعني: كأنّه ما أتاه، ما أتاه الإنذار، يعني: هو كأنّه، لكن ليس هو لم يأته، هو أتاه الإنذار، لكن لأنّه ما استفاد، هو لم ينتفع، فكأنّه ما أتاه، كأنّه ما أتاه نذير؛ لأنّه لم يرفع رأسًا بذلك، فإذا قلت مثل ما ابتدأت الكلام أنّ من لم يرفع رأسًا بالإنذار، ولم يستجب، فإنّه ينزل منزلة من لم ينذر، هذا صحيح، لكن بأيّ اعتبار؟ باعتبار النهاية، لا باعتبار البداية، يعني: باعتبار خاتمة الإنذار، فهو أُنْذر في البداية، لكن خاتمة الإنذار كأنّه لم يُنذر، ولم ينتفع به. **[فتح المجيد شرح كتاب التوحيد]**.

س ١٢٨: هل من لا يستجيب للإنذار ينزل منزلة من لم ينذر؟

الجواب: لا، يختلف هذا، فهو منذر هذا، لكن نُزّل، نُزّل منزلة، يعني: من حيث إطلاق التسمية عليه، قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾، ﴿إِنَّمَا﴾ تعرف للحصر أليس كذلك؟ ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ

بِمَغْفِرَةٍ﴾ [يٓس: ١١] حصر الإنذار في هؤلاء، مع أنّ الله ﷻ قال في آخر سورة مريم: ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧] هم الّذين ينذرون، يعني: يخوّفون من النار. **[فتح المجيد شرح كتاب التوحيد]**.

س ١٢٩: قوله ﷻ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] **يفهم منه الوجوب، فيتوقف عن الدعوة حتى يدعو أهله؟**

الجواب: يعني: يتوقّف عن غيرهم حتّى ينذر أهله؟ لا، ما يُفهم منه الوجوب، لا يفهم منه الوجوب، لكن ما فيه شكّ أنّ الاستحباب ظاهر، أمّا الوجوب، فلا، في حقّ النبي ﷺ ما فيه شكّ أنّه ابتدأ دعوته بإنذار أهل مكة، بإنذار قريش، ثمّ بعد ذلك بإنذار الناس عامة. **[فتح المجيد شرح كتاب التوحيد]**.

س ١٣٠: هل لابد أن تبدأ الدعوة بالانذار؟

الجواب: ليس دائمًا، لأنّ هذا الإنذار، الإنذار هذا تكليف رسالي، تعرف أنّه هو نُبّئ بـ «اقرأ»، وأرسل بالمدثر، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ [المدثر: ١ - ٢]، ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ قام فأنذر عشيرته الأقربين، هذا إنذار الرسالة، فليس بلازم أن يشركه غيره في ذلك. **[فتح المجيد شرح كتاب التوحيد]**.

س ١٣١: ما تكون الآية وجوبًا لكلّ أحد: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾؟

الجواب: أنا لا أفهم هذا، الله أعلم، أنا ما أفهم من الآية أنّها لكل أحد وجوب، أمّا من حيث الاستحباب، فهذا ظاهر أنّه يبدأ بمن حوله يدعوه، لكن تعرف أنّ دعوة من حولك، يعني: دعوة عشيرتك الأقربين قد تستفرغ

جهدك في وقت طويل، ولا يصير هناك استجابة، فالنبي ﷺ حينما قيل له: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ هو أسلم على يديه ﷺ من ليس من عشيرته، فالقول بالاختصاص لكلّ أحد، اختصاص الوجوب، وجوب الدعوة أوّلًا بأهله الأقربين، هذا ما يظهر، والله أعلم، وما يظهر، ولم أفهمه من كلام أهل العلم، لكن من جهة الاستحباب لا شكّ أولى الناس ببرّك هم قرابتك: «**الأقربون أولى بالمعروف**»، وعلى كلّ حال لو حصل سؤال لبعض أهل العلم، وأفدتنا يكون طيبًا إن شاء الله. [**فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**].

س ١٣٢: عفا الله عنك الآية: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ﴾ المقصود بالمودة هنا المحبة؟

الجواب: يعني: هي المحبة، المودة والمحبة متقاربان، لكن ليست مترادفة، يعني: المحبة هي من جنس المودة؛ لأنّ الأفعال - أفعال القلوب - يجيء منها عدد من جنس واحد، حتى أسماء الله ﷻ منها عدد من جنس واحد، أو يكون بعضها تفصيل لبعض، مثل: ما ذكر ابن القيم في كتابه (شفاء العليل) في موضع، قال: «وقوله مثلًا الخالق البارئ المصوّر، البارئ والمصور كالتفصيل للخالق؛ لأن الخلق يكون بعد التصوير، فإذا تمّ التصوير برأه، فصار خلقًا»[1].

فإذًا التباين قد يكون تباينًا كلّيًا بين الألفاظ، وقد يكون تباينًا جزئيًا، يعني: هذه تختلف عن تلك ببعض الأشياء، وقد يكون لا، هذه في جهة، وهذه في جهة، مثل: قام وقعد، هذه في جهة، وهذه في جهة، لكن قعد

---

(١) انظر: شفاء العليل (١/ ١٢١).

وجلس يشتركان، قام وقف هذه تشتركان، لكن كلّ واحدة لها معنى. **[فتح المجيد شرح كتاب التوحيد]**.

س ١٣٣: أحسن الله إليك! ما معنى قوله: ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ﴾؟

الجواب: ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ يعني: ليس من المعظّمين لله، ليس من الله في شيء، يعني: أنّا ذكرنا لكم أنّ حدّ الكبيرة فيما مضى أنّ حدّ الكبيرة فيه ما جاء بلفظ (لَيْسَ مِنَّا) و(ليس) من النبي ﷺ «**فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ منه**» كما جاء في الحديث، أو ليس من الله: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨] هذه كلها آتية في النصوص، تجيء هذه وهذه، وهي دالة على عظم هذا الذنب، والوعيد الشديد عليه. **[فتح المجيد شرح كتاب التوحيد]**.

س ١٣٤: ما معنى قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]؟

الجواب: يعني: إن حلفتم ألا تفعلوا خيرًا: لا تتصدقوا، أو لا تصلحوا أو نحو ذلك، فلا تجعلوا الحلف مانعًا، الله ﷻ يحب أن تترك ما حلفت عليه إذا كان معصية، أو إذا كان ليس بخير إلى ما هو خير، كما قال ﷺ: «**إِنِّي لاَ أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُو خَيْرٌ وَكَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي**»(١) وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٢١، ٦٦٨٠، ٥٥١٨، ٥٥١٧، ٤٣٨٥، ٧٥٥٥، ٦٧٢١، ٦٦٤٩، ٣١٣٣)، ومسلم (١٦٤٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

﴿وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [البقرة: ٢٢٤]، إذا كان أمر بر، لا تقل: حلفت أني ما أفعله، وإذا كان أمر تقوى لا تقل: حلفت أني ما أفعله، أو أمر إصلاح بين الناس، تقول: لا، أنا حلفت أني ما أروح، لكن هذا فيه إصلاح وأمر بالتقوى، وأمر بالصدق، تجعله عرضة للوفاء بما يحب ﷻ، بل كَفِّر عن اليمين، وافعل الذي هو خير. **[فتح المجيد شرح كتاب التوحيد]**.

س ١٣٥: لماذا كره هنا أن يقال عندي؟

الجواب: لأنها على جهة الافتخار: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [القصص: ٧٨] سورة القصص، يعني: مثل أن يقول قائل: أنا عندي من المعرفة باقتصاد هذا الزمان ما يجعلني لا أدخل تجارة إلا أربح فيها، أو يقول: عندي من المعرفة بخفايا النفوس، وبتقسيم المجتمع ما يجعلنا نسيطر على هذا المجتمع، أو يقول: عندي من الإخوان، وعندي من الترتيب في هذا الأمر ما يجعلنا نحصل هذا المقصود، ونحو ذلك مما يكون في استعمال لفظ عندي على جهة الافتخار، أما إذا كان لا على جهة الافتخار، على جهة الإخبار، الذي ليس فيه افتخار، هذا لا بأس به، فيقول: عندي كذا وكذا، لا على جهة الافتخار - افتخار التحصيل، أو افتخار الاستحقاق -؛ لأن الافتخار في هذين لا يجوز، افتخار التحصيل يفخر أنه حصله بما عنده من علم، بما عنده من جاه، بما عنده من خبره، بما عنده من إقدام من ترتيب من لسان إلى آخره، أو من جهة الاستحقاق، وأكثر ذنوب الخلق في هذا الباب من جهة هذين الأمرين، إما النظر إلى جهة الخبرة والتحصيل، أو النظر إلى جهة الاستحقاق، والله المستعان. **[فتح المجيد شرح كتاب التوحيد]**.

س ١٣٦: ذكر في قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢] قال العلماء إن للتوحيد ثمرة في الدنيا. فما هي؟

الجواب: لا شك أن التوحيد له ثمرة، لكن في هذه الآية ذكرنا - كما هو معروف - أن قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] يعني: بشرك؛ كما فسرها النبي ﷺ، فحين نزلت شَقَّ ذلك على أَصْحَابِ النبي ﷺ وَقَالُوا أَيُّنَا لم يَظْلِمْ نَفْسَهُ فقال رسول اللَّهِ ﷺ ليس كما تَظُنُّونَ إنما هو كما قال لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، والشرك متبعض، أنواع كثيرة، وما رتب عليه أيضا متبعض؛ لهذا في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ الأمن التام فرع عن، أو أثر لنفي الظلم التام، فمن لم يشرك بالله ﷻ الشرك الأكبر، والأصغر، والخفي، وخلص نفسه من الشرك، فله الأمن المطلق - يعني: الكامل -، وكذلك الاهتداء الكامل، ومن شاب إيمانه نوع من أنواع الظلم، الذي هو الشرك: شرك خفي، أو شرك أصغر، أو نحو ذلك، فالأمن هنا بقدر ما عنده؛ لأنه لم يكمل نفي الظلم، الذي هو الشرك، وكذلك لا يكمل له الأمن، ولا يكمل له الاهتداء.

فلهذا نقول: هو من آثار التوحيد، والتوحيد الخالص الكامل لا يكاد يوجد، بل لا يوجد فيما أعلم، لا يوجد في بلد أو في مجتمع من المجتمعات اليوم، ولكن يعني لا من جهة الناس ولا من جهة المجتمعات، ولكن هي مراتب، فإذا انتفى وجود الشرك الأكبر، وكان هناك نصيب من الأمن والاهتداء، فإذا أنعم الله ﷻ بأمن عظيم واهتداء للعباد في هذه الدنيا ونعم

تترى، أنعم بنعم تترى عليهم، فإنهم يسألون الله ﷻ أن يكون ذلك من ثمرات ما أقاموه من نفي الشرك الأكبر، ولكن يخشون أيضا أن يكون ذلك استدراجا؛ لأن وجود الشرك الأصغر اليوم والشرك الخفي كثير، كثير الشرك الأصغر، حتى عند الخاصة، تجد أن نسبة النعم مثلا في هذا المقام - كما جاء في هذا الباب -، نسبة النعم لغير الله كثيرة، نسبة ما يحصل إلى الخلق كثيرة، نسبة ما يحصل من الخيرات إلى بعض العباد هذه كثيرة، فتخليص القلب من ذلك هو التوحيد، ووجود هذا في القلب هو نوع ظلم؛ لأن النعم إنما هي من الله ﷻ، وهذا هو الواجب على كل طالب علم، أو كل محقق لتوحيد الله ﷻ ألا يرى نعمة أنعم الله ﷻ بها على أحد من العباد إلا وهو ناظر إلى وجوب نسبة هذه النعمة إلى الله، والتبرؤ من أن يكون أحد، أو يكون هناك أحد من الخلق هو الذي أسدى هذه النعمة، وإنما الذي يكون من جهة الخلق السببية، العباد أسباب، يقول: سبب، أجرى الله سببًا جعله الله ﷻ نافعا في تحصيل المسبب، والسبب قد يؤثر، وقد لا يؤثر، وانظر مثلا إلى ما هو معروف من المثال، وهو أن النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة هو وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه، لما هاجر إلى المدينة اتخذ جميع الأسباب، اتخذ كل الأسباب الممكنة، استأجر رجلا هاديًا خريتًا؛ لكي يدله على طريق لا يحسنه كفار قريش؛ حتى لا يتبعوه، ثم أمر راعي الغنم أن يتبعهم؛ حتى يعفي على آثارهم، ووصلوا إلى هذا بعد هذه الحيلة وفعل السبب هذا إلى الغار، ثم وقف المشركون على فم الغار، فهذه الأسباب ما نفعت؛ لأنهم وقفوا عليه، كأنها ما حصلت؛ لأنهم وقفوا على فم الغار، فقال: أبو بكر رضي الله عنه لنبينا ﷺ، قال: يا رسول الله لو أبصر أحدهم موقع قدمه

لرآنا، قال يا أبا بكر: «مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا»[(١)].

هذا فيه أن بذل السبب واجب، ولكن مع أن الذي بذل السبب هو المصطفى ﷺ، فلم ينفع السبب، وبقي فضل الله ﷻ؛ لكي يعلم العباد أنه ما من شيء من الخيرات إلا والله ﷻ هو الذي يرسله، لكن فعل السبب واجب، لكن السبب قد ينفع، وقد لا ينفع، فإذا نفع، فهو من الله ﷻ من جهة النفع به وإعطاء ثمرته، فما يعطيه العباد من أشياء إنما هم أسباب، لكن حقيقة النعمة إنما هي من الله ﷻ، فالتوحيد - لا شك - له أثره على العباد والبلاد، لكن من رأى مثل حالنا اليوم يخشى من تغير هذه النعمة، وتغير هذا الخير العظيم؛ لأجل ما عليه العباد من أنواع من الانحراف، وعدم تحقيق التوحيد، فلو حققوا التوحيد، لكان الخير أعظم وأعظم، والقوادح في كمال التوحيد اليوم في الناس كثيرة، والله المستعان. [**فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**].

س ١٣٧: رواية ابن عباس رضي الله عنهما العلماء أنكروا متنها؛ لأن الكلام فيها قال لهما: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة؟

الجواب: هذا ذكرته لك أنا هو في دفع شره، يعني: صاحبكما الذي أخرجكما من الجنة، يعني: خافا مني، سأدرككما، فهما خافا منه، فسمياه لعله يطلع سليمًا، يعني: من جهة دفع الشر، وهما عرفا أنه هو صاحبهما، لكن كيف يدفعان شره؟ قاوماه أول مرة، وثاني مرة، وثالث مرة، لكن يخرج ميتا، فسمياه ليندفع الشر. [**فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

س ١٣٨: هل هذا يقدح في التوكل؟

الجواب: التوكل لا، ما له علاقة في التوكل، لكن معصية.

لهذا تجد أنهم قالوا هنا: فواعجبا أقول: الشيخ سليمان أذكر له كلمة في التيسير، تراجعونها؛ لأنه حرر هذا المقام تحريرًا جيدًا، يقول: فوا عجبا ممن يكابر في ذلك، وينسى معصية آدم أول مرة، مع أن معصيته تلك كانت عن شيء نهاه الله ﷻ عنه بنفسه، لا تقربا هذه الشجرة، لا تأكلا من هذه الشجرة، وحذرهما من الشيطان، ومع ذلك صار لهما ما صار، فالمسألة واحدة من جهة أن الجميع عصيان، الجميع عصيان، هذا الذي يجب أن يفهم أن هذا معصية، وهذا معصية، وكلتا هاتين المعصيتين نشأت عن طاعة للشيطان، فهو نوع تشريك فقط، هذا هو تأصيل لهذا الباب. [**فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**].

س ١٣٩: اسم عبد المطلب أقره النبي ﷺ؛ لأن عبد المطلب تعبيد، أم وصف حال ظنوه عبدًا للمطلب.

الجواب: لا، أقر الصحابة، وهناك صحابة كثيرون اسمهم عبد المطلب سيأتينا الآن تفصيله، والذي يجعلنا نفصل هذا التفصيل لأن هذه المسألة كثر الكلام فيها، والقيل والقال، وعلى العموم وفق الله الجميع. [**فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**].

س ١٤٠: ابن حزم يشنع على من قال أن المقصود بالآية آدم وحواء.

الجواب: أئمة الدعوة كلهم على أن الضمير يرجع إلى آدم وحواء؛ لأن بعض الإخوان يقول: غلط، يقول: التفسير بهذا غلط، هذا ليس بجيد،

التفسير بأن آدم وحواء هو قول أكثر أهل العلم. [**فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**].

س ١٤١: ما معنى قول قتادة شركاء في طاعته، وليس في عبادته؟

الجواب: هذه الجملة مهمة، وهي معقد الباب، فركز عليه، وافهمه، فهذا كلام متين للغاية، فهذه الأسطر عمدة الباب، وكثيرًا ما يرد الاعتراض عليه والبحث فيه، فيا ليت تحفظها، هذا من فقه قتادة العظيم، شركاء في طاعته، وليس في عبادته[1]، يعني: أطاعاه في التسمية، سمياه، فأطاعاه في التسمية، لم يقصدا التعبيد له، ولكن أطاعاه في التسمية، فهو شرك طاعة، فقط مثل ما ذكرنا لك، وقد يكون رضاؤهما بذلك مثل ما ذكرنا لدفع الشرك، أو نحو ذلك، يعني: حاشاهما أن يقصدا حقيقة التعبيد؛ لأن هذا شرك أكبر. [**فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**].

س ١٤٢: ما يقال: إن هذا شرك أصغر؟

الجواب: إنا نقول: نوع شرك، لا، ليس شركا أصغر؛ لأن المعاصي ما نقول فيها أنها شرك، ولا شرك أصغر، وإنما يقول العلماء: إما المعصية شرك في الطاعة، أو يقولون نوع شرك فقط، والأكثر ألا يستعمل أهل العلم لفظة الشرك مع المعاصي، فهنا لاحظ شركاء في طاعته، مقيدة، وقوله ﷻ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ [الأعراف: ١٩٠] يعني: شركاء في الطاعة فيما آتاهما. [**فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**].

---

(١) انظر: تفسير زاد المسير (٣/ ٣٠٢)، والطبري (٦/ ١٤٤)، وابن أبي زمنين (١/ ٢٢٢).

س ١٤٣: أحسن الله إليك ما حصل من آدم وحواء لا يعد كبيرة؟

الجواب: لا، ليس كبيرة، هو معصية؛ لأنهما أطاعاه في التسمية، لو أطاعاه في التعبيد نسبته إليهما على جهة الإنعام والفضل، صار هنا ربما دخل في هذا الكبيرة، لكن هنا أطاعه في التسمية، هذا وجه، هل هما أطاعاه في التسمية لأجل دفع الشر والإنعام؟ هذا محل اجتهاد، قد يكون حصل هذا، قد يكون من جهة الاجتهاد أنهما اجتهدا في أن يطيعاه لدفع الشر، ولحصول السلامة لولدهما، وهما يعلمان أنهما منهيان عن هذا، مثلما نهيا عن الأكل من الشجرة، فأكلا، يعني: معصيته مثل غيرها من المعاصي. [**فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**].

س ١٤٤: يقول: ما معنى قوله: شرك في مجرد التسمية؟ لم يقصد الحقيقة التي يريدها إبليس؟

الجواب: يعني: أن آدم وحواء حين أطاعا في التسمية لم يطيعا في حقيقة مراد إبليس في التعبيد، إبليس يريد التعبيد: التعبيد الحقيقي، التعبيد في العبادة، لكن هما أطاعاه في مجرد التسمية، يعني: في أن يكون عبدًا لفظا في التسمية، أطاعاه في هذه المعصية، التي هي التعبيد لغير الله، إبليس يريد منهما شيئا، وهما يريدان شيئا آخر، فهذا قوله: «في مجرد التسمية»، أنهما لم يقصدا حقيقته التي أرادها إبليس، إبليس يريد شيئا، وهما لم يتابعا إبليس فيما أراده من حقيقة العبودية. [**فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**].

س ١٤٥: إذا لم يكن كبيرة، ولا شرك أصغر فما مناسبة هذا للباب هنا؟

الجواب: أنا ذكرته لك في أول الكلام أن طاعة الشيطان نوع شرك،

كتاب التوحيد فيه الشرك الأكبر، والنهي عنه ووسائله، والشرك الأصغر، وفيه أنواع الإشراك في الألفاظ، والتشريك الشرك اللفظي: ما شاء الله وشاء فلان، ولولا فلان لكان كذا، ونسبة النعم لغير الله مثل: ما مر معنا، وهذه يظهر لك، لكن ما أقدر أجزم به أن الشيخ ذكر هذا بعد الباب السابق لمناسبة بينهما في نسبة النعمة، أو نحو ذلك، لكن الله أعلم. **[فتح المجيد شرح كتاب التوحيد]**.

س ١٤٦: هل عيسى بن مريم عليه السلام من سلالة آدم عليه السلام، أم لا؟

الجواب: من سلالة آدم عليه السلام؛ لأن مريم من سلالة آدم عليه السلام قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩] خلقه من تراب، الذي هو آدم عليه السلام، ثم قال له: كن، فيكون، عيسى عليه السلام كان بالكلمة، فجبريل أتى بالجملة من الله عز وجل، ففتح جيب درع مريم، ونفخ فيه، فنفخ فيه، فحملت، فكان عيسى عليه السلام بالكلمة، ولهذا قال الله عز وجل هنا: ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، وهذا كما قال عز وجل في آية الأنبياء: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١] وآية التحريم: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢] كان النفخ في جيب الدرع، لم يكن نفخ جبريل بمباشرة الفرج، وإنما فتح جيب درعها، الجيب مكان الشق من القميص، فلما فتح، ثم نفخ، فدخلت النفخة في فرجها، فانعقد فيها عيسى عليه السلام، فهذا معنى قوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾، وقوله ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ فنفخنا فيها هذا فيه إشارة إلى أن النفخة لم تكن مباشرة للفرج، نفخ فيها فوصلت إلى الفرج، والآية الأخرى آية التحريم

قال: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ باعتبار المآل، فإحدى الآيتين فيها الابتداء والأخرى فيها المآل، والمعنى واحد: ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ [مريم: ١٩] فكان حملا بالنفخ فيها عليها السلام، ويقال: عليها السلام، وإن لم تكن نبية. **[فتح المجيد شرح كتاب التوحيد]**.

س ١٤٧: ما ورد أن اسم اللات مشتق من اسم الله؟

الجواب: ليس مشتقًا، هم اشتقوه. **[فتح المجيد شرح كتاب التوحيد]**.

س ١٤٨: ورد أن اللات هو: الذي يلت السويق، فكيف الجمع بينهما؟

الجواب: هم اشتقوا اسم اللات من الله، يعني: ألحدوا الله، جعلوها لات، الإله لات، الله اللات، يعني: زادوا تاء فقط، العزيز، العزى، هي امرأة عزيز، العزى يعني: اشتقوها منها، يعني: المادة واحدة. **[فتح المجيد شرح كتاب التوحيد]**.

س ١٤٩: في الحديث الرجل الذي كان يلت السويق، فالاشتقاق الأول من اسم الله، والاشتقاق الثاني من لت يلت السويق؟

الجواب: هذه ترجعنا إلى القراءتين في الآية، الآية فيها قراءتان، القراءة الأولى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النجم: ١٩] لات هذه من لت يلت لتا، تكون من صفته، ليس إلحادا، تكون هي صفة له مثل ما ذكرت، وأما الذي نقول هنا في قراءتنا المشهورة: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ﴾ اللات هنا في تسميتهم الرجل باللات هذه اشتقوها، أو ألحدوا بها عن الله، رجل كان يلت السويق لكن في التسمية ما رأوا اللت، لت السويق، فمات، فعكفوا على قبره،

فجعلوه إلها، فاشتقوا له اسما من أسماء الله، فجعلوه اللات بالتخفيف من الله، واللات بالتشديد هذا من لت يلت، أنت دخلت هذا في هذا، واضح الآن؟ [**فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**].

س ١٥٠: أحسن الله إليك بماذا يجاب عن قول يوسف عليه السلام للرجل: اذكرني عند ربك؟

الجواب: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢] أجيب عنه يعني محصل كلام العلماء عليه، ثلاثة أجوبة(١):

الأول: أن هذا في شرع من قبلنا.

والثاني: أنه لم يكن رقيقا.

والثالثة: أن هذا في حال عدم حضور الملك؛ لأنه هنا قال: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ وهذا المخاطب بأنه رب غائب، فلا يحدث في نفسه تعاظما، ولا في نفس أيضا المخاطب ذلة، وإنما هو مجرد لفظ، وهذا تلحظه من علاقات البشر بعضهم لبعض، فإنه قد يكون مستخدما، حتى الرقيق العبد قد يكون عند سيده، لكن لا يكون ذلة قلبه وخضوعه في حال عدم حضور سيده، إذا قيل له: هذا سيدك أم أنت عبد فلان؟ ما يكون مثل: ما لو خوطب بها، أو هو تكلم بها، هذا يظهر من النفسية، فنفس المتكلم ونفس المخاطب أيضا يرعى فيها حال المواجهة وحال الغيبة، وهذا أنت تلحظه أيضا في معاملات الناس، إذا واجهت واحدًا، وكلّمته يصير يختلف الوضع، أما إذا

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٩/ ١٩٥، ١٩٦)، وابن كثير (٢/ ٦٣٠).

تحدثت في الغيبة، أو كتبت له، فالمواجهة تسقط أشياء كثيرة، يعني: يصير هناك حياء، يصير هناك نوع نزول في الرأي، ويصير فيه أيضا النفسية تنزل قليلًا . . . ، لكن واحدًا يريد أن يخاطب واحدًا في غيبته، أو يتكلم عنه في بعض الأحوال، يختلف عما إذا واجهه، المقصود هذه هي الثلاث التي وجه بها، أظن الثانية هي هذه: يعني: اختلاف حال حضور الملك من عدم حضوره. **[فتح المجيد شرح كتاب التوحيد]**.

س ١٥١: قوله: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤] يعني تقول: إن شاء الله مع الحلف أم المقصود أنك تذكر الله؟

الجواب: كلها هذا، وهذا يعني عام في نسيان المشيئة. وتعليقه بالمشيئة وفي نسيان الحقوق الواجبة، أو المستحبة فتذكر الله ﷻ أو الإتيان بالمعاصي، أو في الأفعال كلها تذكر الله ﷻ. **[فتح المجيد شرح كتاب التوحيد]**.

أسئلة حول مناهج المفسرين

س ١٥٢: عن المقصود بـ (مناهج المفسرين).

الجواب: مناهج المفسرين مكونة من كلمتين؛ والمناهج جمع منهج، ومنهج، ومنهاج، ونهج بمعنى واحد، وهو الطريق البيّن الواضح الذي يُسلك، قال ﷻ: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾ [المائدة: ٤٨]، فالمنهاج هو السبيل الواضح، فسمي منهاجًا؛ لأنه طريق ملتزم يسلكونه، ولذلك قيل: منهج فلان كذا، أي: الطريقة التي يلازمها، فمنهج المفسر كذا

أي: الطريقة التي التزمها، وللوصول لهذه الطريقة عن أحد طريقين:

الأول: أن ينص المفسر على منهجه، فيقول منهجي كذا؛ كالقرطبي، وتفسير أبي حيان، وهذا أعلى ما يكون؛ حيث قال القرطبي: هذا شرطي في الكتاب كذا.

الثاني: الاستقراء التام، وهو أحد الأدلة كما هو في أصول الفقه، التي هي عشرون دليلًا. **[مناهج المفسرين]**.

س ١٥٣: كيف يستقرئ الباحث؟

الجواب: بأن يمسك آية آية، ثم يجمع النظائر، فيخرج بمنهج للمؤلف، فأحيانًا يستقرئ، فيجد أنه ليس له منهج، ومن عيوب بعض الرسائل في المناهج أنه لم يكن الاستقراء تاما. **[مناهج المفسرين]**.

س ١٥٤: إذا كان الاستقراء ناقصًا، فهل يسمى منهجًا؟

الجواب: لا؛ لأن فيه اعتداء على المؤلف، فتقول: من خصائص تفسير فلان كذا، تميز بكذا، وهذا هو الذي يحسن احترامًا لأهل التفسير، فخصائص التفسير مختلف عن منهج التفسير.

فمناهج المفسرين: الطرق التي التزمها من تكلم في التفسير.

مميزات التفاسير: هي الملامح والمميزات العامة التي يتميز بها كلام المفسر. **[مناهج المفسرين]**.

نشأة علم التفسير

س ١٥٥: متى بدأ التفسير؟ وكيف نشأ؟

الجواب: التفسير هو: تفسير القرآن، فلا شك أن يكون مبدأ ذلك بعد نزول القرآن، فالقرآن نزل، وأنزله الله بلسان عربي مبين، ومعناه أنه يفهم بهذا اللسان، ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، والصحابة رضي الله عنهم أهل اللسان، فهم فهموا آي القرآن؛ لأنهم أهل اللسان، والقرآن نزل بهذا اللسان، ففي عهد الرسول ﷺ لم يسأل الصحابة الرسول ﷺ عن معنى الآيات، والقليل فسره، والكثير فهموه، والصحابة بعده فسروا بأكثر من تفسير؛ لأن الصحابة في عهده لم يحتاجوا احتياج التابعين، وتابعو التابعين احتاجوا أكثر، وهكذا مع مضي الزمان. **[مناهج المفسرين]**.

س ١٥٦: ما وسائل فهم الصحابة رضي الله عنهم؟ أو ما مصادر الفهم لدى الصحابة في عهد النبي ﷺ؟

الجواب:

١ - إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فبعضها يفسر بعضًا، فمن القرآن ما يفسر القراءة الأخرى، والقراءات هي بعض الأحرف السبعة، فالصحابة رضي الله عنهم إذا لم يفهموا حرفًا، نظروا إلى الحرف الآخر، ووجدوا تفسيره، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] أي: ينقطع الدم، ويغتسلن، فلماذا فسر بالاغتسال؟ للقراءة الأخرى، وهي: ﴿حَتَّىٰ يَطَّهَّرْنَ﴾

وقوله تعالى ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]، وفي القراءة الأخرى ﴿فتثبَّتُوا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥] وقراءة ﴿كالقطنِ المَنْفُوش﴾.

٢ - ومن المصادر أيضًا: اللغة العربية كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾ [النساء: ٨٥].

٣ - السنة العملية: لأن القرآن نزل، وهم يرون الرسول ﷺ يفسر القرآن بالعمل، ويدخل فيه أسباب النزول؛ كآيات الأسارى في بدر، تفهم من سبب النزول، فعلم كثير من الصحابة بالآيات؛ لأنهم حضروا التنزيل.

٤ - العلم بالأحوال: أحوال الناس، والعرب بعقائدهم؛ كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠]، وكقوله تعالى: ﴿وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ﴾ [البقرة: ١٨٩]، وكذلك الأمور الشركية، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠] ومع ذلك وتعدد هذه المصادر، فهناك آيات لم يفهموا معناها، وهذا قليل، فسرها لهم الرسول ﷺ، ومن ذلك تفسير ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ بأنهم اليهود والنصارى، وفسر الظلم بالشرك في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] **(شَقَّ ذلك على الْمُسْلِمِينَ فَقَالُوا يا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيُّنَا لا يَظْلِمُ نَفْسَهُ قال ليس ذلك إنما هو الشِّرْكُ أَلَمْ تَسْمَعُوا ما قال لُقْمَانُ لِابْنِهِ)** ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾، وتفسيره لقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾،

فقال: «الْزِيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»[١]، وفسر الكوثر بأنه نهر أعطاه إياه الله في الجنة[٢]، وفسر القوة بالرمي في قوله ﷻ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

بعد زمن النبي ﷺ احتاج الناس إلى الصحابة، واحتاج الصحابة إلى بعضهم، ففي خلافة أبي بكر رضي الله عنه فسر بعض الآيات، وصحح الفهم لبعض الآيات التي وضعوها في غير موضعها، ومنه: تصحيح قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، سمعت الرسول يقول: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ لاَ يُغَيِّرُونَهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ»[٣]، وتفسير قوله ﷻ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١]، أنه قال: «أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللهِ مَا لاَ أَعْلَمُ؟!»[٤]، وكذلك عمر فسر في عهده، ولها شواهد كثيرة منها: أنه فسر لابن عباس رضي الله عنهما قوله ﷻ ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]، وبين المراد بالمرأتين[٥]،

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم (١/ ٢٠٦)، وابن جرير (١١/ ١٠٥)، واللالكائي (٣/ ٤٥٦)، وابن راهويه (٣/ ٧٩٣)، وعبد الله بن أحمد (١/ ٢٥٧)، والدارقطني في العلل (١/ ٢٨٢)، والبيهقي في الاعتقاد (١/ ١٢٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٤٢) من حديث أنس رضي الله عنه، وقال حسن غريب، وأخرجه أيضًا النسائي في الكبرى (١١٧٠٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٣٣٨)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، والترمذي (٢١٦٨،٣٠٥٧)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٥٤٠)، والبيهقي في سننه الكبرى (١٠/ ٩١)، وابن أبي شيبة (٧/ ٥٠٥).

(٤) سبق تخريجه (ص ٩٦).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ١١١)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦١٨)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

ولما جمع الأشياخ سألهم عن قوله ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١]، فسألهم، وكان فيهم ابن عباس رضي الله عنهما، فقال: «أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ عمرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ»[١]، وربما سأل عمر بعض الصحابة عن بعض الآيات التي لم يظهر له معناها، ومنها: أنه خطب ذات مرة ولم يسجد في أثنائها عند قوله ﷻ: ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾ [النحل: ٤٧]، قال للناس: ما التخوف؟ فقال رجل من الناس: التخوف في لغتنا التنقص، كما قال الشاعر[٢]:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرِدًا ... كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ

فقال عمر: عليكم بديوانكم، فإن فيه تفسير كتابكم.

كذلك في عهد عثمان رضي الله عنه فسر للناس، وكذلك ابن عباس رضي الله عنهما، وأُبيّ، وعائشة رضي الله عنهما، ولذلك لمّا تفرق الصحابة رضي الله عنهم في البلاد كانوا ينقلونه لمن حولهم، ففسر أبي في المدينة، وعائشة في مكة، وابن عباس في مكة، وابن مسعود في مكة رضي الله عنهم، ونشأ في كل مدينة تفسير.

فكان ابن عباس رضي الله عنهما يفسر القرآن في صحن الكعبة، حتى قام له رجلان، منهما: نافع بن الأزرق[٣]، فقال لصاحبه: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على كتاب الله، فنسأله عن مصادق ما يقول العرب، فقال: يا ابن عباس إنّا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٢٧، ٤٢٩٤، ٤٤٣٠، ٤٩٦٩، ٤٩٧٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه تفسير الطبري (١٤/ ١١٣)، وانظر: القرطبي (١٠/ ١١٠).
(٣) سبق تخريجه (ص٣٠).

سائلوك عن أسئلة في القرآن، فقالوا: ما معنى الوسيلة في قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]؟

فقال: الوسيلة: الحاجة.

فقالوا: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم، ألم تسمعوا قول الشاعر[١]:

إن الرجالَ لهم إليكِ وسيلةٌ   إن يأخذوك تكحلي وتخضبي

فقالوا: أخبرنا عن العزين في قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المعارج: ٣٧]، ما العزون؟

قال: العزون: الجماعات في تفرقة.

قالوا: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم، ألم تسمعوا قول الشاعر[٢]:

فجاءوا يهرعون إليه حتى   يكونوا حول منبره عزينا

فالشاهد أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يفسر في صحن الكعبة، وكان له تلاميذ، منهم: مجاهد، وعكرمة، وطاووس، وعطاء.

نشأت في التابعين مدارس منقولة عن الصحابة رضي الله عنهم، ثم أتباع التابعين

---

(١) انظر: الأغاني (١٢/ ١٨٢)، وثمار القلوب (١/ ٢٦٥).

(٢) انظر: معجم لغة الفقهاء (١/ ٢٥)، والدر المنثور (٨/ ٢٨٥)، وروح المعاني (٢٩/ ٦٤) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٣٤٨).

نقلوا لمن بعدهم، فزاد من يهتم به؛ حتى تكون في أتباع التابعين مدرسة ناشئة عن اختلاط المدارس في أتباع التابعين، ولذلك نجد أسانيد الحديث تبدأ مكية، ثم تجد منها مدني، ثم كوفي... إلى آخره، وهذا ناشئ عن تعدد الأسفار، وتنقل التابعين.

بمعنى آخر في زمن أتباع التابعين كانت سمة التفسير مجموع خصائص تفسير ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهما، ثم بدأ في هذه المرحلة التفسير بالمأثور فتجد في الموطأ، وفي مصنف عبد الرزاق تفسير القرآن.

ففي القرن الثاني ظهرت كتب في التفسير، ثم بدأت المذاهب والآراء تنتشر في العالم الإسلامي الشام، والعراق، ومكة، والمدينة، فظهرت مذاهب الإرجاء، والقدرية، والمذاهب الفقهية، فالشافعي له تلاميذ، وكذلك أبو حنيفة وغيره. أيضًا القراءات بدأت تظهر، في مكة قارئ مشهور وفي المدينة كذلك..

وفي القرن الثالث ظهر الصراع اللغوي بين مدرستين: مدرسة الكوفة، والبصرة؛ فظهور المدارس له أثر في تفسير القرآن، فأهل العقائد إذا احتجوا يحتجون بالقرآن، والفهم يسبق الاحتجاج، فجاءت العقائد قبل العقيدة، وأيضًا مسائل النحو، فأهل الكوفة يحتجون بقواعده بالقرآن، وهو يفسر، ثم يعرب، فصار سبب الاختلاف، الاختلاف في فهم القرآن وفي التفسير، وكذلك صاروا يحتجون بالقرآن وما فيه من قراءات لتأييد مذاهبهم النحوية، فنشأ عندنا إعراب القرآن، فظهر (إعراب القرآن للفراء).

فإذًا أصبح لدينا في القرن الثاني أمواج من العلوم كان لها أثر في تفسير

القرآن، فصار لدينا خليط متنوع في تفسير القرآن: بالرأي، الإعرابية، الفقهية النحوية، العقدية، القرن الثالث قوي التصنيف في التفسير بالمأثور: كتفسير ابن أبي حاتم، وتفسير ابن جرير، وتفسير ابن مردويه، وتفسير أحمد وغيرها، وهي تنقل تفسير الرسول ﷺ، والصحابة، والتابعين، وأيضًا ظهرت مصنفات في معاني القرآن، ومنها: (معاني القرآن) للأخفش، و(مجاز القرآن) للمثنى، و(أحكام القرآن) للشافعي، وكذلك ظهرت التفسيرات المبتدعة.

في القرن الرابع الهجري حيث صنف ابن جرير كتابه (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، ويعد هذا التفسير أعظم التفاسير المؤلفة، وهو إمام المفسرين؛ لأن آلات العلم كانت عنده، فنجد: الفقه، العقائد، التاريخ، الأصول، القراءات، النحو، وكان مجتهدًا غير مقلد، ولذلك كان له أصحاب يقال لهم: (الجريرية)، ولذلك صنف تفسيره، وجعله جامعا لما قبله بما صنف، وهذه نقطة هامة. **[مناهج المفسرين]**.

س ١٥٧: كيف انتشرت كتب التفسير؟

الجواب: ذكرنا أن ابن جرير لمّا ألّف تفسيره على هذا النحو، وضم فيه كثير من العلوم أثر في العلماء الذين جاءوا بعده، فحاولوا أن يفصلوا، ويستقلوا بتأليف كتب فيما ذكره في كتابه.

السبب في ظهور المدارس ظهور التعقيب للمدارس المختلفة، فبعد القرن الثالث ظهر الحماس للمدارس المختلفة في الأفكار، والمذاهب، فمثلًا: في المدارس الفقهية ظهر التعصب للمدارس الفقهية، فالحنفية

تعصبوا لآرائهم، والتعصب يسبقه مرحلتان: الانتماء، ثم التحمس، ثم التعصب له، فظهر في القرن الرابع الهجري في المدارس الفقهية، وهذا أثرٌ صار في كتابات تفسيرية مختلفة، فظهر للحنفية (أحكام القرآن) للجصاص، وللمالكية (أحكام القرآن) للقرطبي، وابن العربي، والشافعية (أحكام القرآن) للشافعي، والحنابلة ظهر لهم (أحكام القرآن) للحنبلي.

هناك نوع آخر، وهو التعصب للمدارس النحوية، فكانت هناك مدرستان: الكوفة، والبصرة، ثم بعد ذلك في القرن الرابع ظهرت مدرسة بغداد في النحو، والمدرسة الأندلسية، هذه المدارس أثَّرت في ظهور كتابات في القرآن عن طريق إعراب القرآن مستقلة، أو تفسيرية مبنية على الإعراب الذي يوضح المعنى، وإعراب القرآن مضمنًا بالتفسير؛ لأنه يوضح القرآن مثل: (إعراب القرآن) للنحاس، و(إعراب القرآن) للعكبري.

ظهرت الآراء والمذاهب المختلفة العقدية، فظهرت المعتزلة، وظهرت لهم تفاسير مثل: (الكشاف) للزمخشري، أيضًا ظهرت الأشعرية، وقوى مذهبها، وألّفوا في التفسير مثل: (مفاتيح الغيب) للرازي، وتفسير أبي السعود، وأيضًا الماتريدية ظهرت لهم تفاسير، فظهر لهم تفاسير، فظهر: (تفسير النسفي)، و(تفسير الآلوسي)، و(تفسير أبي السعود) في بعض الأشياء، والرافضة ظهرت لهم تفاسير مثل: (تفسير الطوسي)، و(الطبرسي)، والصوفية ظهرت لهم تفاسير، منهم الغلاة، ومنهم غير الغلاة، وكل طائفة لها تفاسير مثل: (تفسير القشيري)، و(التفسير الصوفي) للقونوي. فالمدارس المختلفة ظهر من يتعصب لها، والقرآن وسيلة التأثير في اتباع أي مذهب، فالتعصب أدى لكثرة التفاسير.

هناك سبب آخر، وهو سبب نفسي، وهو أن من فسر القرآن أراد بتفسيره القرب إلى الله، ولا شك أنه من أعظم القرب إلى الله ﷻ، ولذلك تنافس فيه العلماء، ولهذا أكثر ما أُلف في التفسير، ولذلك نص كثير أنهم أرادوا بتفسيرهم القربة إلى الله، ولكن هل إرادة القربة وافية في أن تكون التفاسير على طريقة واحدة؟ نقول: لا؛ لأنه من يكتب التفسير سيكتب من أشياخه، وما قرأه من الكتب، فصار عند هؤلاء خليط من الآراء والأنواع المختلفة، فمصادر التفسير عنده مختلفة، لم يرد نصرة شيء معين، ولذلك تجد تفاسير هؤلاء ليست مركزة في شيء معين، مثل: تفسير (حدائق ذات بهجة) الذي يذكر أنه في أحد خزائن الكتب في ألمانيا، يبلغ مائة مجلد، فنجد في تفسيرهم آراء أثرية، وبديهية مثاله: (تفسير الماوردي) الذي أورد كثير مما يعتقده من الاعتزاليات، وأورد أقوال السلف: ابن كثير ضمن تفسير علمه، ولذلك أصبح بديعًا، فلو درست منهج هذه المدرسة، فمن الصعب دراسته؛ لأنه جُمع فيه كل ما في جعبته حول الآيات، وهذا سبب في إظهار عدد من التفاسير.

طبقة الصحابة نقل عنهم التفسير، فمنهم المقل، ومنهم المكثر فيه، وأكثر من نقل عنهم: عليّ، وابن مسعود، وابن عباس، وأُبيّ، وعائشة، وغيرهم نقل عنه، ولكنه قليل بالنسبة لهؤلاء؛ كأبي بكر، وعمر رضي الله عنهم.

ولا شك أن الصحابة أولى الناس بفهم القرآن وتفسيره، ولذلك كان من الواجب النظر في تفسير الصحابة رضي الله عنهم، ويتبين خصائصها ومميزاتها وما إلى ذلك. [**مناهج المفسرين**].

س ١٥٨: مامميزات وخصائص التفسير المنقول عن الصحابة ﷺ؟

الجواب: تفاسير الصحابة ﷺ تميزت بقلة الألفاظ وكثرة المعاني، ومعنى ذلك أنه يفسر الآية بكلمتين أو ثلاث، تكون ألفاظها قليلة، ولكن معانيها كثيرة تناسب الآية، ولهذا يقول الحافظ ابن رجب الحنبلي في كتاب (فضل السلف على الخلف): كلام السلف قليل كثير المعنى، وكلام الخلف كثير قليل المعنى. ولذلك يقول شيخ الإسلام: أصح التفاسير تفاسير الصحابة ﷺ لإيجازها.

مثال تفسير الصحابة ﷺ: قوله ﷻ: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [آل عمران: ١٩٢] تُدخل فسروها بأنها بمعنى: تخلِّد، ولذلك يقول قتادة: أن تدخل مقلوب تخلّد، وقد استدل بها المبتدعة على أنها دليل على نفي الشفاعة في أهل الكبائر؛ لأن للشفيع نصيبا.

٢ - أن تفاسيرهم سلمت من البدعة ومن مخالفة السنة، فهم قدوة الأمة في التوحيد والعقيدة، فإذا اعتمد المسلم عليها، فهي تحوي صوابًا بحتًا.

٣ - تفاسيرهم يكثر فيها اختلاف التنوع، ويقل فيها اختلاف التضاد، فاختلاف التنوع أن تتنوع العبارة، ولكن تدخل في الكلام المفسر كقوله ﷻ ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ﴾ [النحل: ٤١]، فسرت الحسنة بأنها: الإمارة، الإلمام، العز في الأرض، بأنها الزوجات؛ فاختلفوا فيها، ولكن الكل مراد وكذلك من جهة المشترك الذي يقصد به معنيان فأكثر: ﴿عَسۡعَسَ﴾، قيل بمعنى: أقبل، وقيل بمعنى: أدبر، فهل هذا الاختلاف يعني تضاد؟

نقول: لا بل اختلاف في تنوع؛ لأن ﴿عَسۡعَسَ﴾ لها معانٍ مشتركة،

كذلك لفظ القروء تطلق على : الطهر ، وتطلق على : الحيض ، ففسرها الحديث بالحيضات ، والشافعي فسرها بالطهر بالرجوع لأصل اللغة ؛ فالمقصود أن كلمات الصحابة يقل فيها اختلاف التضاد ؛ لفائدة منها معرفة أن الصحابة فسروا الآية ببعض ما تشتمل عليه ، ففسروا العام بأفراده للحاجة إليه .

٤ - أنهم أهل اللغة ، الذين كملت لهم أدوات الاجتهاد في التفسير وغيره ، فإذا فسر الصحابي آية ، فإما أن يكون سمع تفسيرها من الرسول ﷺ ، أو يكون اجتهد في تفسيرها ، أو نقلها عن صحابي اجتهد في تفسيرها ، والمنقول مقبول ، وإن اجتهدوا فيه ، فاجتهادهم كمل فيه أدوات الاجتهاد ، فهم أهل اللسان ، فأدوات الاجتهاد : معرفة أسباب النزول ، ومعرفة اللغة . . . الخ ، ولا شك أن الصحابي حين يفسر لا بد له من مراجع . **[مناهج المفسرين]** .

س ١٥٩ : ما مصادر التفسير عند الصحابة رضي الله عنهم ؟

الجواب : مصادر التفسير عند الصحابة رضي الله عنهم :

١ - القرآن : فإنهم فهموا القرآن بالقرآن ، ويعنى به : المنزل من عند الله ، المشتمل على الأحرف السبعة ، والقرآن يفسر بعضه بعضًا ، فالله جعل القرآن متشابهًا ، أي : يشبه بعضه بعضًا ، ففي مواضع أجمل بعض الأخبار ، وفي بعضها فصَّل .

٢ - السنة : ونعني بها ما يشمل السنة القولية والعملية ، فقد يكونون سمعوا من الرسول ﷺ تفسيرًا مثل : قوله سبحانه وتعالى : ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا

ﵟٱلضَّآلِّينَﵞ، قال: اليهود والنصارى، وقد يكون مما شاهدوه من الرسول ﷺ مثل: قوله ﷻ: ﵟوَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَﵞ [البقرة: ٤٣]، فقد حصل بالقول وبالعمل.

٣ - العلم بأسباب النزول: فشاهدوا النزول، والعلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، وهذا يأتي في تفسير ابن مسعود الذي سيأتي.

٤ - اللغة: فهم أهل اللسان، ونعني بلسان العرب ما يشمل المفردات، والنحو، والاشتقاق، والمعاني، والبلاغة، وما يشمل أصول الفقه، لأن مباحث أصول الفقه هي لغوية؛ كالمطلق والمقيد، والعام والخاص، فيفسر ويرجع في تفسيره إلى اللغة.

٥ - العلم بأحوال العرب، واليهود، والنصارى، والناس، ولا شك أن القرآن نزل وفيه أحوال الناس المعادين للرسل وغير المعادين؛ فمن علم أحوال الناس كان تفسيره أصوليًا.

٦ - الأخذ عن أهل الكتاب في الإسرائيليات. **[مناهج المفسرين]**.

س ١٦٠: لماذا أخذوا عن أهل الكتاب؟

الجواب: لأن الرسول ﷺ قال: «حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ»[1] فكونه أذن بالتحديث، فالسماع من باب أولى، فنجدهم حدثوا عن أشياء قبل البعثة، فأخذوا ذلك عن أهل الكتاب. **[مناهج المفسرين]**.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٦٢)، وأحمد (٢/ ٤٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

دراسة موجزة لبعض المفسرين من الصحابة وما تميزت به تفاسيرهم

اشتهر بالتفسير مجموعة من الصحابة رضي الله عنهم ومنهم: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

١ - تفسير عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

وهو من الذين أسلموا قديمًا، فهو من السابقين للإسلام، وممن سمع القرآن أول ما أنزل، وهو القائل: «لو أعلم آية من القرآن عند أحد يعلم عنها ما لم أعلم تبلغه المطي لرحلت إليه»(١)، وهو أول من جهر بالقرآن بين ظهراني المشركين، قال عنه الرسول ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ»(٢)، وقال عنه: «رَضِيتُ لأُمَّتِي بِمَا رَضِيَ لَهَا ابْنُ أُمِّ عَبْدٍ»(٣)، فقد أثنى عليه الرسول ﷺ، وحث على الأخذ منه، فهو بحر علم، وقضاء، وفتيا، فهو من المشهورين بالتفسير، وكان له تلاميذ، وتكونت مدرسة بالكوفة تتلمذ لابن مسعود فيها.

---

(١) انظر: القرطبي (١/ ٣٥)، ومقدمة ابن كثير (١/ ٥٤)، والدر المنثور (٦/ ٣٦).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٧)، والبزار (١/ ٦٦)، والطبراني (٩/ ٦٧)، وأبو يعلى (١/ ٢٦)، وابن حبان (١٥/ ٥٤٢) من حديث أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٨٤)، والطبراني (٩/ ٨٠)، والحاكم (٣/ ٣٥٩).

ترجمة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

هو عبد الله بن مسعود الهذلي، من قبيلة هذيل، التي تسكن قرب الطائف والتي تميزت بلغتها الفصيحة، توفي والده وهو صغير، وأمه هذلية، ووالده كان في حلف مع بعض القرشيين، وأخوال أم عبد الله من قريش، فلمّا توفى زوجها، أخذته إلى مكة وهو صغير، وكان خيرًا لابن مسعود، فأخذ بقوام العيش، وعمل برعي الغنم لبعض القرشيين، وهو: عتبة بن معيط، وكان وصفه: قصير القامة، دقيق الساقين، وفي ساقيه حموشة - يعني: خشونة - ولذلك كان يغطي ساقيه باللباس، وربما طال لباسه، وأتى رجل إلى عمر، وعنده ابن مسعود، فقال: يا ابن مسعود ارفع إزارك، فبلغ عمر، فأدبه، وقال: أترد على ابن مسعود، ومرة كان في سفر مع النبي ﷺ، فصعد شجرة، فظهرت دقة ساقيه بسبب الريح، فضحك بعض الصحابة رضي الله عنهم، فقال الرسول ﷺ: «مَا تَضْحَكُونَ لَرِجْلُ عبد اللَّهِ أَثْقَلُ في الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أُحُدٍ»[1]، لونه يميل إلى السمرة، وكان سبب إسلامه - كما قَالَ -: «كُنْتُ غُلاَمًا يَافِعًا أَرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِى مُعَيْطٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، وَقَدْ فَرَّا مِنَ الْمُشْرِكِينِ، فَقَالاَ: يَا غُلاَمُ، هَلْ عِنْدَكَ مِنْ لَبَنٍ تَسْقِينَا. قُلْتُ: إني مُؤْتَمَنٌ، وَلَسْتُ سَاقِيَكُمَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ عِنْدَكَ مِنْ جَذَعَةٍ، لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١١٤)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٨٤)، وأبو يعلى (١/ ٤٠٩)، والطبراني (٩/ ٩٥). قال الهيثمي (٩/ ٢٨٨): رجالهم رجال الصحيح غير أم موسى وهي ثقة. والضياء (٢/ ٤٢١) وقال: إسناده حسن.

الْفَحْلُ». قُلْتُ: نَعَمْ. فَأَتَيْتُهُمَا بِهَا، فَاعْتَقَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَمَسَحَ الضَّرْعَ، وَدَعَا فَحَفَلَ الضَّرْعُ، ثُمَّ أَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ بِصَخْرَةٍ مُنْقَعِرَةٍ، فَاحْتَلَبَ فِيهَا، فَشَرِبَ، وَشَرِبَ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ شَرِبْتُ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: «اقْلِصْ». فَقَلَصَ، فَأَتَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ. قَالَ: «إِنَّك غُلَامٌ مُعَلَّمٌ»[1]، فكان بداية لإسلامه، كان سادس ستة، وقيل: هو العاشر، المهم أنه من السابقين الأولين إلى الإسلام، ولمّا اشتد أذى المشركين على المسلمين، استأذن بالهجرة إلى الحبشة، وكان أول من هاجر، وقصته أنه شاع أن المشركين أسلموا، فعادت طائفة إلى مكة، فلما علموا، هاجروا الهجرة الثانية إلى المدينة، ولمّا علم بخروج وذهاب الرسول إلى المدينة، قدم إليها قبل بدر، فلما أتى الرسول ﷺ وهو يصلي، فرد عليه بالإشارة، فلما قضى الصلاة قال: «إن الله يحدث في أمره ما شاء وقد حرم الكلام في الصلاة».

شهد مع الرسول ﷺ الوقائع كلها، وأثنى عليه الرسول كثيرًا، ومنه قوله: «تمسكوا بعهد ابن أم عبد»، كان له في الصحابة المقام العظيم، فهو صاحب النعلين والوسادة، فهذا يبين شدة قربه من الرسول ﷺ، فهو حري أن يعلم القرآن والسنة، وكل ما يحتاجه المفسر، وبعد وفاة الرسول ﷺ أرسله عمر إلى الكوفة معلمًا وهاديًا، فبقي فيهم، وأنشأ هناك مدرسة أهل الكوفة، التي تمثل رأيه في الفقه والتفسير، وعاش بها حتى قبل وفاته، ثم هاجر إلى المدينة في قصة مع عثمان، وتوفي هناك.

❀ ❀ ❀

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٦٢)، وأبو يعلى (٨/ ٤٠٢)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٤٤).

مصادر التفسير عند ابن مسعود رضي الله عنه

يشارك الصحابة فيما سبق، ولكن تميز بشيء فاق به غيره، هو: عنايته بأسباب النزول، وقد ثبت قوله: «ما من آية نزلت إلا وأنا أعلم أين نزلت، ومتى نزلت، وفيما نزلت»، أمثلة لذلك: تفسير للقرآن بالقرآن، مثاله:

عند قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [البقرة: ١٦٨]، قال ابن مسعود: هي في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧]، كذلك تفسيره في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٣]، فسرها بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤]، ففسرها بالمسلمين والمشركين في سورة الأنفال، كذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٣-٤٤] ما القول اللين؟ فسره بقوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩﴾ [النازعات: ١٨ - ١٩].

أما السنة: تفسيره القرآن بالسنة:

فقد نقل عنه تفسيره لقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فسرها بالعصر، وفسر قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]: أن المرأة لا تخرج فيستشرفها الشيطان.

أسباب النزول:

حيث يقول والله الذي لا إله غيره... إلى آخره سبق.

أمثلة: قوله تعالى في قصة صاحبي نجران: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ الآية [آل عمران: ٦١]، قال أحدهما لصاحبه: والله لئن كان نبيًا حقًا، فلا نفلح نحن ولا عقبنا، فقد أرجعها الرسول إلى ما حصل من وفد نجران، وكذلك لمّا أخر الرسول ﷺ مرة صلاة العشاء، وانتظره الناس، فقال الرسول ﷺ: «أما ليس من هذه الأديان من يذكر الله في هذه الأحيان غيركم» فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران: ١١٥].

الاجتهاد والأخذ عن الإسرائيليات: يراجع تفسير ابن مسعود، تحقيق محمد أحمد العيسوي.

طرق التفسير عند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

فالتي نقل بها التفسير كثير، أبلغها إلى ٦٢٠ طريقًا، والمهم ما كثر دورانه في التفسير، وهاهي الطرق:

١ - طريق الأعمش، عن أبي الضحى، عن ابن مسروق، عن ابن مسعود وقد اعتمد عليها البخاري، والأعمش سليمان بن مهران الإمام الثقة، ولكنه مدلس.

٢ - الأعمش عن أبي وائل، عن ابن مسعود، وقد اعتمدها البخاري.

٣ - مجاهد عن أبي معمر، عن ابن مسعود، ومجاهد بن جبر صاحب ابن مسعود، ذكرها البخاري في صحيحه، وكلها مشهورة عن ابن مسعود.

٤ - كثرت في التفسير عن ابن جرير، وابن كثير: طريق السدي الكبير

إسماعيل بن عبد الرحمن، عن مرة الهمداني، عن ابن مسعود.

- السدي جمع تفسير ابن مسعود وابن عباس، وأدخل كل تفسير في الآخر.

- أحيانًا يروي ابن جرير الرواية بالتفصيل، وتكون طريق ابن مسعود بينه، وإسماعيل هذا صاحب كتاب، ويروي عنه أسباط بن نصر، وهو ليس بقوي في الحديث، ولكن روايته للتفسير كتابة؛ فهذه الرواية وإن كان فيها من هو صدوق، فهي مروية كتابة، فهي صحيحة.

س ١٦١: ما فائدة تعدد الروايات؟

الجواب: إذا حصل تضارب في الروايات، فإنها ترجح القوية على الضعيفة.

تفسير عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

ترجمة ابن عباس رضي الله عنهما:

هو عبد الله بن العباس، والعباس عم النبي ﷺ، وأسلم قديمًا أي: العباس في مكة، ولما صار حصار المسلمين في شعب أبي طالب في السنة العاشرة من البعثة، أتى النبي ﷺ، فقال: إن أم الفضل استملت على ولد، فقال: «**لعل الله أن يبارك لكما فيه**»، وولد ابن عباس رضي الله عنهما في تلك السنة، وكان عند وفاة النبي ﷺ قريبًا من ثلاثة عشر عامًا أو أربعة عشر؛ جاء في حجة الوداع أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**أَقْبَلْتُ رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ أَتَانٍ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ قَدْ**

نَاهَزْتُ الاِحْتِلاَمَ»[١] الحديث، يعني: أن ميلاده في الشعب صحيح، فيكون عمره عند وفاة النبي ﷺ أربع عشرة سنة، ولما صارت بدر كان ممن حضر، ومن المعلوم أنه لم يرد المشركون الحرب تلك السنة، وكذلك المسلمون، وكذلك كان العباس رضي الله عنه معهم، فأمر الرسول ﷺ بالكف عنه، وعدم التعرض له، ولما كان فتح مكة هاجر العباس رضي الله عنه، ومعه ابنه وأهله إلى المدينة، وكان عمر ابن عباس رضي الله عنهما: إحدى عشرة سنة، وكان له قرابة أخرى أن ميمونة رضي الله عنها خالة له، وهذا هيأ له أن يكون في بيت النبوة، يبيت عنده، ومن ذلك أنه بات مرة عند ميمونة رضي الله عنها، وقام النبي ﷺ من الليل يريد التوضؤ فقام، وقرب له الوضوء، فدعا له النبي ﷺ، فقال: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ في الدِّينِ**»[٢] أو: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ**»[٣]، وأمّا لفظه: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**»[٤] ذكرها البغوي فقط، والحميدي، وليست في الصحيحين، ولا الكتب الستة.

صحب النبي ﷺ، وكان قريب الصلة منه، ولمّا توفي النبي كان ملازمًا للصحابة رضي الله عنهم قريبًا منهم، قال في ذلك: «. . **كان لي صاحب من الأنصار، فقلت له هيا نطلب العلم من أحد الصحابة، فقال: أتظن الناس بحاجة إلى العلم، فعكف على العلم**»، كان كثير الصلة بعمر، وكان معجب به لما آتاه

---

(١) أخرجه البخاري (٧٦، ٤٩٣، ٨٦١، ١٨٥٧، ٤٤١٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٧٥، ٧٢٧٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣١٤)، وابن أبي شيبة (٧/ ٥٢٠)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٦٣).

الله من فطنة وفهم، وكان يأنس به، ذكر أنه لم يُمكن من سؤال عمر رضي الله عنه عن المرأتين اللتين تظاهرتا، حتى وجدت فرصة في منصرف عمر من الحج، فسألته، فقال: هما: حفصة وعائشة رضي الله عنهما[١].

وكان عمر يحضره في مجالس أشياخ بدر، فكان الصحابة يعتبون عليه، ومن ذلك سألهم مرة عن تفسير سورة النصر، فلم يدركوا معناه، فسأل ابن عباس، فقال: هو أجل رسول الله ﷺ نعاه الله، فقال عمر: لا أعلم إلا ما علمت، أراد بذلك نعته رضي الله عنهما، وابن مسعود رضي الله عنه - وهو على علم - قال عن ابن عباس رضي الله عنهما: «نِعْمَ تُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ»[٢].

قال العلماء: كيف بما حصله ابن عباس بعد وفاة ابن مسعود رضي الله عنهما فلا شك أنه يدل على أن ذلك على صحبته للصحابة رضي الله عنهم، وقد صحب عليّا رضي الله عنه، وكان معه في جهاده وقت الخلافة، وكان أميرًا له على البصرة، وكان في خلافته يغشى الناس ويعلمهم، ويفقههم في شتى العلوم، صار بينهم خلاف فاستأذن ابن عباس رضي الله عنهما ألا يبقى في البصرة، وأن يذهب إلى مكة فأذن له، فانتقل إليها، ففي مكة انتشر علمه، وكان عمره أربعين سنة، كانت سن النضوج، ومما ذكر أنه كان يغص سوقه إلى بيته بالناس، فكان يرتب الناس، ويقول لغلامه: ائذن لمن يسأل عن التفسير، فاستأذن لهم فأذن لهم، ثم من أراد أن يسأل عن الفقه، ثم التاريخ، ثم أشعار العرب. . وهكذا، وهذا يدل

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٨٨)، وابن كثير (٤/ ٤٩٥)، والبخاري (٤٩١٣)، ومسلم (١٤٧٩).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ١١١)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦١٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

على أنه وعاء للعلم، فهم يرتوون من علمه، وهذا يؤهله لأن يكون إمامًا، بل ترجمانًا للقرآن، مفسرًا للقرآن، مكث في مكة ينشر العلم، حتى حصلت الفتنة بين ابن الزبير والأمويين، ثم تركها واتجه إلى الطائف، وتوفي بها سنة ثمان وستين من الهجرة، عمي في آخر عمره، وقبره هناك، ولما كثرت البدع، وزين الشرك للناس، جعلوا القبر في المسجد، ولمّا أتت الدولة السعودية، فُصل بينهما كما هو حاصل الآن.

أسباب نبوغه رضي الله عنه في التفسير

١- دعاء النبي ﷺ له، فقد دعا له عدة مرات فقال: «اللهم فَقِّهْهُ في الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»[١]، «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ»[٢]، «اللهم عَلِّمْهُ الْكِتَابَ».

٢- كثرة تلمذته للصحابة رضي الله عنهم، فقد أخذ منهم، واستفاد من علومهم.

٣ - سعة ابن عباس رضي الله عنهما في علمه بالسُّنة، فإن ابن عباس رضي الله عنهما روى أكثر من ألف حديث، ومن المعروف أنه ما روى بالسماع إلا أربعة أحاديث، وأوصلها ابن حجر إلى اثني عشر حديثًا، ومعنى ذلك أن يكون أكثر ما رواه من الأحاديث عن الصحابة، ومراسيل الصحابة مقبولة؛ فنبوغه في التفسير بهاتين المسألتين. فأخذ من الصحابة رضي الله عنهم . . .

٣- سعة علومه بلغة العرب، فهيأت له الاجتهاد، وقوة الاستنباط فيه.

من الأخبار المعروفة أن ابن عباس رضي الله عنهما ترك مكة هروبًا من الفتنة، ومن

---

(١) سبق تخريجه (ص١٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٥٦).

المشهور أنه ترك مكة من أجل مضاعفة السيئات، وهذا التعليل، المسألة مختلف فيها؛ لأن أهل العلم منهم من يقول: السيئة تضاعف، ومنهم من يقول: لا تضاعف، قال ﷻ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فهذه آية مكية في سورة مكية، ولذلك قال ابن القيم: أن السيئة لا تضاعف، فالعقوبة تختلف، لكن السيئة واحدة. فالذي يضاعف العقوبة.

مصادر التفسير عند ابن عباس رضي الله عنهما

مصادر التفسير عند ابن عباس رضي الله عنهما هي مصادر التفسير عند الصحابة:

١ - تفسير القرآن بالقرآن: ويدخل فيه القراءات، ومثاله: أنه قرأ قوله ﷻ: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، فقال: إن فرعون لم يعترف أن له آلهة، فقال في قراءتها: ﴿ ويذرك وَإِلَٰهَتَكَ ﴾ أي: عبادتك، كذلك عند قوله ﷻ في سورة طه: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ﴾ فسرها ابن عباس رضي الله عنهما أنه: كل ما حصل لموسى عليه السلام من أنواع الابتلاء منذ رميه في التابوت إلى وفاته، وأخذه من القرآن في حديث الفتون، فهذه كلمة مجملة فسرها بالقرآن.

٢ - السنة: الطرق التي نقل بها التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما: لا شك أنه نقل بالأسانيد، وهي في التفسير كثيرة، كلها قد سبق لها أمثلة، منها صحيحة ومنها ضعيفة.

- أصح الأسانيد عنه في التفسير: الصحيفة الصادقة صحيفة عليّ بن

أبي طلحة عن ابن عباس، وعليّ لم يدرك ابن عباس رضي الله عنهما، ولكن روى الصحيفة عنه، وقيل: إنها منقطعة، قال أحمد: إن في مصر صحيفة لو رحل إليها رجل ما كان كثيرًا، واعتمدها البخاري وعلقها بصيغة الجزم.

قال ابن حجر: وثبت أن الواسطة الذي أخذ عنه عليّ بن أبي طلحة مجاهد ابن جبر، فإذا دخلت الواسطة، فلا مدخل للطعن، هذه أصح الطرق المشهورة.

- أوهى الطرق عن ابن عباس رضي الله عنهما: التي يرويها محمد بن مروان السدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس. ومحمد بن مروان كان متهمًا بالكذب، وكذلك الكلبي؛ ومن المصيبة أن هذه الطريق اعتمدها الفيروز أبادي في كتابه: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) وهذا باطلٌ لا يجوز؛ لأن هذه الرواية معلومٌ أنها مكذوبة، ولذلك نزه الطبري تفسيره عنها، وابن أبي حاتم.

تلاميذ ابن عباس رضي الله عنهما ومدرسته في التفسير

وكان له تلاميذ، من أشهرهم: مجاهد، وسعيد بن جبير، وطاووس بن كيسان، وعكرمة، فكونوا مدرسة، وكان لابن عباس طريقة في التفسير، تمثلت في تلامذته، وكانوا يعتنون به، قال العلماء إذا جاءك التفسير عن تلامذة ابن عباس، فحسبك به، لاسيما مجاهد. إذا جاءك التفسير عن مجاهد، فحسبك به؛ لأنه عرض القرآن من أوله إلى آخره ثلاث مرات على ابن عباس رضي الله عنهما.

مميزات مدرسته

وقد تميزت مدرسته بكثرة الاجتهاد، وصار المنقول عن تلامذته كثير فيه اجتهادات.

بحث: وهو كثرة استشهاد ابن عباس بالشعر، ولا شك أن الاستشهاد به لم يكن مألوفًا عند العرب، ولكن المنقول عن ابن عباس كثير من تفسير معاني القرآن به، وقد اختلف فيه:

القول الأول: قيل لا يجوز؛ لأن القرآن حق في نفسه، والشعر نفاه عن نبيه، والشعراء ليسوا بحجة على القرآن، وإذا جعلناه عمدة، يكونون حجة على القرآن، وهذا من هذا الوجه صحيح، لكن ابن عباس أراد أن هذه الكلمة مستعملة في لغة العرب بهذا المعنى؛ كما في أسئلة نافع بن الأزرق حيث سأله: ما العزون؟ قال: الجماعات المتفرقة، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم:

فجاءوا يهرعون إليه حتى ... يكونوا حول منبره عزينا[١]

القول الثاني: قيل إنه يجوز، وذلك بإيراد الأشعار في التفسير للدلالة على صحة المعنى المفسر، وهذا صنيع كثير من المفسرين كابن جرير، والطبري، وهذا ما صنعه ابن عباس رضي الله عنهما، من أشهر ذلك الأسئلة المعروفة بأسئلة نافع بن الأزرق عن ابن عباس، فقد كان هو وصاحبه في فناء الكعبة،

---

(١) سبق عزوه (ص١٥٥).

ونافع خارجي، فقال لصاحبه: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن، نسأله عن مصادق أشعار العرب؟

ثم بدأ بالأسئلة وقد رواها الطبراني[١]، وابن الأنباري في (الوقف والابتداء)، والسيوطي في (الإتقان)، وجمعها من المعاصرين محمد فؤاد عبد الباقي، وفيها دراسة بيانية حول أسئلة نافع، وأجوبة ابن عباس رضي الله عنهما، وشرح عليها أبو تراب الظاهري، وقد طبع بهذا الاسم (شواهد القرآن).

أمثلة منها:

سأله عن قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾، قال: يا ابن عباس رضي الله عنهما ما الوسيلة؟ قال: الحاجة، قال: أو تعرف العرب ذلك؟، قال: نعم أما سمعت قول الشاعر:

إن الرجال لهم إليك وسيلة ... إن يأخذوك تكحلي وتخضبي[٢]

وسأل عن العزين كما سبق.

وقد أخذ تلامذة ابن عباس رضي الله عنهما عنه الاجتهاد، وهو قسمان:

الأول: اجتهاد يصاب فيه، والثاني: اجتهاد يُخطأ فيه، بخلاف تفسير الصحابة، ومنه تفسير مجاهد: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء٧٩] هو أن يجلسه معه على العرش، وهذا الاجتهاد غلط من حيث تفسير الآية؛ لأنه ثبت في الصحيح أن الرسول ﷺ جعل المقام المحمود هو: الشفاعة،

---

(١) سبق عزوه (ص٣٠).

(٢) سبق عزوه (ص١٥٥).

هذا من الاجتهادات غير الصائبة؛ لأنها معارضة بتفسير صحيح عن الرسول ﷺ، ومنها ما فسر به الحسن قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ﴾ [الرعد: ٤] فظاهرها في دلائل الربوبية، فقال الحسن: هذا مثل ضربه الله للوحي النازل على القلوب، فالقلوب واحدة، والوحي واحد، ولكن تختلف في قبولها له وتأثرها به، فمنها من يقبل، فيعمل، ومنها من لا يتأثر، ولا يعمل، وهذا اجتهاد صحيح.

تفسير ابن جرير الطبري

إمام هذه المدرسة، وأكبر كتاب فيها كتاب ابن جرير: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن).

ترجمة: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري نسبة لطبرستان، ولد هناك سنة **٢٢٤**هـ، وكان بيته بيت غنى في المال، ولذلك اهتم به والده في العلم، وتيسرت له سبيله، وجهه لحفظ القرآن، وطلب العلم، وهو في السابعة، وأمَّ الناس، وطلب العلوم الابتدائية، حتى بلغ من العمر ستة عشر عامًا، فطلب منه والده أن يرحل في طلب العلم، ويسر له ذلك، ودخل بلادًا كثيرة، وأخذ عنهم الحديث، حتى كان مر رحلته أنه دخل بغداد سنة **٢٤١** هـ بعد وفاة أحمد، ولم يحصل له اللقاء به، في بغداد صحب أصحاب الشافعي، وتتلمذ لهم، حتى صار شافعيًا في أوّل عمره، وأفتى به هناك، تميز بالذكاء، والحفظ، وسرعة الكتابة، وكثرة التجوال، والصبر على ذلك، أيضًا دخل الشام، ومصر، وبلادًا كثيرة.

ومن أخباره في رحلته أن رجلًا أتاه وهو في الشام، وقال له: إنّ لديّ سؤالًا في العروض، فقال - ولم يكن يعرف هذا العلم -، فقال له: إن عليّ اليوم قولًا ألا أتكلم في العروض، يوهم أنه حلف، فذهب وأخذ كتبًا في العروض، ودرسه تلك الليلة، حتى أدرك هذا العلم، فلما أتاه الرجل في الصباح أجابه بأحسن جواب.

هذا يدل على ملكة حفظه، دخل مصر، وكان آخر مقامه بها، وكثر تلامذته هناك، وصار له مذهب وأتباع يسمون الجعفريون، ولم يستمر، بل اندثر هذا المذهب.

ألّف مؤلفات كثيرة في فنون كثيرة: في التوحيد رسائل، والتفسير، والقراءات، وألّف في الفقه، كتب في الخلاف والوفاق، مثل: كتاب (خلاف الفقهاء)، أيضًا (علل الحديث)، وأسماه (تهذيب الآثار) لم يتمّه، قال العلماء: لو أكمله، لما احتاج العلماء إلى غيره، وفي التاريخ له الكتاب المشهور، وهو رأسهم.

ذكر عن نفسه أشياء فيما حباه الله به، فمما ذكره أنّ قال: مرّت عليّ (٤٠) سنة أكتب كل يوم (٤٠) ورقة، فتكوّن (٦٠٠,٠٠٠) ستمائة ألف ورقة تقريبًا، ولهذا قالوا: لما أراد أن يكتب التاريخ، قال لتلاميذه: هل تنشطون لكتابة تريح العالم، فقالوا قدر كم؟ فقال (٣٠,٠٠٠) ألف، فاختصره في العشر (٣) آلاف.

كذلك قال في التفسير، فقالوا: قدر كم؟ قال: (٣٠,٠٠٠) فقالوا: هذا مما تموت فيه الهمم، فاختصره في نحو ذلك.

ولهذا أجمع عليه أنه إمام المفسرين، وكتابه أعظم الكتب المؤلفة في التفسير، تجد له ترجمة في كتاب (ياقوت الحموي)، و(المنتظم لابن الجوزي)، توفي رَحِمَهُ الله وقد بلغ (٨٦ عامًا، سنة ٣١٠هـ، ورثاه العلماء والأدباء، حتى قال ابن دريد رثاءً له:

ما زلت تلهج بالتاريخ تكتبه حتى رأيناك في التاريخ مكتوبا

وهذا البيت ينسب لابن دريد، ولكن الصحيح أني لم أجده في ديوانه.

ثناء العلماء على تفسيره

كان زميل ابن جرير محمد بن إسحاق بن خزيمة استعار منه نسخة من تفسيره، فلما قرأه قال: (**ما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير**)[(١)].

وأبو إسحاق الاسفرائيني قال فيه: (**لو كان تفسير ابن جرير في الصين، ورحل إليه رجل، ما كان ذلك كثيرًا**).

وقد بلغ من العناية حتى قيل فيه هذا المقال، حتى أن المفسّر إذا فسّر، ولم يطلع عليه، لم يعدّ مفسرًا.

اسم الكتاب: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، وبحسب النسخ الموجودة ذكر فيه أنه قُرئ على أبي جعفر سنة ٣٠٦هـ، فيكون ابتدأ إملاء الكتاب سنة ٣٠٦هـ، فيكون تأليفه بعد سن الثمانين، فمعنى ذلك أنه تم حفظه وإدراكه.

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١١/ ١٤٦)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ٥١)، وطبقات المفسرين للسيوطي (١/ ٩٧).

أول ما طبع في المطبعة الميمنية في مصر، وكانت عن نسخة خطية مشوشة مجلوبة من أمراء حائل، ولكن لم تعارض بغيرها، وما لبث أن طبع بعدها في (بولاق) نسخة معتمدة، عرضت على عدة نسخ. المقصود أن هذه النسخ مرجعها (لبولاق)، حققه محمود شاكر، ولم يصل إلا إلى سورة الرعد تحقيقًا ممتازًا.

س ١٦٢: هل نص ابن جرير في كتابه على خطة له؟

الجواب: لم يذكر في مقدمته منهجًا يعتمد، بل أورد أشياء متنوعة؛ كما سيأتي بأن مقدماته لمؤلفاته، يسمي: المقدمة رسالة، فمقدمة التفسير هذه، وأمثالها يسميها رسالة، فإذا وجدت رسالة التفسير، وهكذا، فمعناه: مقدمته، هذا مصطلحٌ له رحمه الله.

خصائص تفسير ابن جرير

خطبة الكتاب: بعد الثناء والحمد، ثم ذكر صفات القرآن، ثم قال: إن أحق ما صرفت إليه العناية ما كان لله في العلم به رضا، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هدى... إلخ، وهذه الخطبة اشتملت على أشياء:

١ - أن صرف الهمة إلى التفسير ومعاني القرآن واجب.

٢ - أن معرفة التفسير هي صواب القول في المحكم والمتشابه، والظاهر والباطن، وتفسير المشكل.

٣ - دل بهذه الخطبة على أنه منشئ كتابه، قال: بأوجز ما كان من الإيجاز وأخصر ما كان من الاختصار، فوصف كتابه بأنه مستوعب لما للناس به

حاجة، أيضًا ذكر وصفًا له، فقال: مخبرون في كل ذلك بما انتهى إلينا من اتفاق الحجة فيما اتفقت عليه الأمة، فيذكر ما اتفق عليه أهل الحجة من التفسير، وما اختلفوا فيه، فيذكر الإجماع، ويذكر اختلاف أهل التأويل، وهذا شرطه في المقدمة، ثم شرط على نفسه بأنه عند الاختلاف يبين الصحيح ويختاره، وينقله عمن أثره عنه، وينقل الأخرى، ويذكر عللها وأصولها، وهذا الشرط التزم به.

٢ - قدم لكتابه بمقدمة، هذه المقدمة اشتملت على فصول مهمة، فذكر تراجم تتعلق بالبيان.

فأولًا: قال: القول في البيان عن اتفاق معاني القرآن، ومعاني منطق من نزل منه القرآن، فذكر المقدمة، وأبان فيها على أن معاني القرآن متفقة مع معاني لسان العرب، ولكن تميز القرآن بأنه كلام الله الذي لا يمكن معارضته، وما هذه الأشياء التي باين بها سائر الأمم، فبحث نزوله باللسان العربي ووجوه الإعجاز فيه.

ثانيًا: ثم قال القول في الأحرف التي اتفقت فيها ألفاظ العرب، وألفاظ غيرها من بعض أجناس الأمم، وهي المسماة الكلمات التي قيل: أنها أعجمية ووجدت في القرآن. فيرى أنه ليس في القرآن كلمات أعجمية، فعنده أنها جاءت في لسان العرب، ولسان الحبشة، فاتفق الاستعمال، وليس أن العرب أخذوها من تلك الأمم، وذكر: ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ [المزمل: ٦] إذا قام الرجل من الليل بلسان الحبشة.

القول في اللغة التي نزل بها القرآن من لغات العرب بحث هذا في

صفحات، وبحثَ فيه مسألة إنزال القرآن على سبعة أحرف، ورأى ابن جرير فيه من (صفحة ٢١ - ٦٨) في بحث الأحرف واللغات، القول في بيان قوله ﷺ: «نَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»، القول في الوجوه التي من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن، هذا القول بمثابة قواعد وأصول التفسير.

ذكر بعض الأخبار التي رويت بالنهي عن القول في القرآن بالرأي.

ذكر الأخبار التي رويت في الحض على التفسير ومن يفسره.

ذكر الأخبار التي غلط فيها منكري القول في تأويل القرآن.

ذكر الأخبار عن السلف فيما كان محمودًا علمه بالتفسير، ومن كان مذمومًا علمه به، ساق نعم ترجمان القرآن ابن عباس، وذكر مجاهد القول في تأويل أسماء القرآن وسوره وآيه.

طريقته في التفسير

٣ - أنه لو ورد الآية أو بعض الآية، ويذكر تفسيرها حسب ما يراه، وبحسب ما ترجح لديه من أقوال المفسرين الذين نقل عنهم تفسيرهم للآية.

أنه قد يذكر المعنى الإجمالي، ثم يردف بذكر من قال بقوله، أو أردفه بذكر الأدلة على قوله من كلام المفسرين.

ثم إذا كان في الآية خلاف، فإنه يذكر قوله، ثم يقول: وبنحو الذي قال أهل التأويل قلنا، ثم يذكر الآثار المساندة لقوله، ثم يذكر الأقوال الأخرى، ويذكر أدلتها مستندة.

أحيانًا لا يذكر التفسير الإجمالي في البداية، وإنما يقول اختلف أهل التأويل في تفسير قوله ﷻ: ﴿. . .﴾، ثم يذكر أقوالهم.

أمثلة لطريقته، أو أمثلة للاتفاق:

عند قوله ﷻ: ﴿وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، القول في تأويل قوله ﷻ قال أبو جعفر: وإياي فاخشون، ذكر أقوالا، ولم يذكر خلافًا.

مثال على ذكر الخلاف:

القول في تأويل قوله ﷻ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، قال: أجمعت الأمة من أهل التأويل أن الصراط الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه . . . ، ثم قال: وقد اختلفت. . . ، وذكر قول عليّ، وذكر قولا عن جابر بن عبد الله، وذكر ابن عباس: أنه الإسلام، ثم قال في آخره: وإنما وصفه الله باشتقاقه؛ لأنه مستقيمٌ، لا اعوجاج فيه.

إذًا فابن جرير يذكر الاختلاف وما يرجحه في ذلك.

٤ - أن كتابه موسوعة كبيرة في الآثار والأحاديث:

فتحت كل آية يورد ما يتصل بمعنى الآية منها، وهذا يحتاج إليه مخرج الحديث كثيرًا؛ لأنه يأخذ من هذا الكتاب ما يتعلق بالتفسير، بالفقه، . . . . إلى آخره. فمثلًا: أورد الكلام على قص شعر اللحية والأخذ منه، أوردها في تفسير سورة الحج عند قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩]؛ لأن ابن عمر كان يأخذ ما زاد على القبضة، ويحتج بالآية، فهو يورده أيضًا فيما يتصل بموضوع الآية إن كان يخدم الآية.

٥ - تقريره في هذا الكتاب عقيدة السلف، وتفسير آيات العقائد والأديان، فكتابه سلم من البدع في العقيدة، فهو إمام أهل السنة، ولهذا جاء في كتابه الرد على المخالفين في العقيدة، الذين حملوا آياته على غير ما حمله السلف، ففيه الرد على الجهمية، والقدرية، ونفاة الصفات، والمخالفين في الصفات.

مثاله: رد على القدرية في الجزء الأول (ص ١٩٥، ١٦٨، ١٦٢)، و(ص٣٦٣، ٣٦١) إلى آخره، كلها ردود على القدرية، كذلك رد على المخالفين في الصفات (ص ١٨٩، ٣٠١، ٣٠٦)، وقال: هنا في هذا الموضع ما نصه (اختلف في استهزاء الله الذي قيل فاعله في المنافقين، فقيل: توبيخهم، . .) ورد على هؤلاء بكلام مفصل (ص٣٠٥)، وكذلك رد على الجهمية (ص٢٧٢)، ورد على منكري الاستواء (ص٤٣٠).

٦ - جعل كتابه مشتملًا على ردود أصحاب الشبهات الذين يطعنون في القرآن، وفي معانيه، وفي تركيبه، وفي القراءات.

فردّ عليهم، وكذلك أورد الإشكالات على الآيات، وردّ على أهلها،

مثاله: (ص١٩٤)، قال: (مسألة في رده على أهل الإلحاد الطاعنين في القرآن)، وكانت هذه المسألة في (الفاتحة)، وهي أنهم قالوا: إذا كانت أم القرآن، وقد جمعت معاني القرآن، فقد جمعت على تكرير، فيغني عنها ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فإثبات: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ يقتضي أنه رب العالمين، وأنه الرحمن الرحيم، وأن ما قبلها تكرار ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ تعني: عما بعد، فإذا لم يعبد غير الله، فقد هدي

الصراط المستقيم، وخالف المغضوب عليهم).

٧ - اشتمال القرآن على الآيات المتنوعة (السبعية) وغيرها.

وطريقته أنها منسوبة إلى أصحابها، أحيانا منسوبة إلى الأنصار كثيرًا، فيقول: قرأ المكيون بكذا، والمصريون بكذا، وله موقف منها: أنه إذا أورد القراءات، تارة يرجح، فيقول: هذه أرجح من هذه، وهذه أصح من هذه.

أيضًا يصحح الجميع، أي قراءة قرأ بها القارئ أصاب، وتارة يخطِّئ القراءة، يقول: الصحيح القراءة الأخرى، فيقول: هذه القراءة غلط، ولا تصح القراءة بها.

٨ - اعتنى في كتابه باللغة العربية ومباحث النحو، ويشمل النحو والتصريف، ويورد أقوال النحاة، وذلك إذا كان التفسير يتطلّب ذلك، وينسبها إلى أصحابها، ويرجح تارة، ولا يرجح مدرسة معينة، بل يرجح ما أدى إليه اجتهاده، ويورد الدليل، فانظر إلى قوله: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥]، والتصريف عند قوله ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾.

٩ - إيراده للمباحث الفقهية المتعلقة ظاهرًا بالآيات، فلا يورد مثلًا البحث الفقهي هكذا، بل كل ما يتعلق بالآية، وذلك أحيانًا، وليس دائمًا.

١٠ - إيراده للإسرائيليات، وهي: آثار بني إسرائيل، التي أخذت عن بني إسرائيل من ناحية قصص الأنبياء، ينقلها بكثرة، وهذه سنة العلماء الذين كتبوا في التفسير؛ لأن النبي ﷺ قال: «حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ»(١)

(١) سبق تخريجه (ص١٦٢).

والتي يوردونها ما فيها الاحتمال، وأما ما عُلم كذبه، فلا يذكره، ولا يجوّز ذكرها، وقد شاع في هذا العصر ردّ الإسرائيليات من التفاسير التي نتعرض لها.

١١ - اهتمامه البالغ باللغة العربية، وبيان معاني الآيات من جهة اللغة، وذلك بتحليل اللفظة، وبيان اشتقاقها، وذكر الأشعار الدالة على ذلك المعنى، فمثلًا قوله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ١٦٥]، الند: المثيل والنظير، قال حسان رضي الله عنه:

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِنِدٍّ فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ[١]

١٢ - عنايته بأسباب النزول، أو كثرة إيراده لأسباب النزول، وإيراده ليس دائمًا، ولكن إذا دعت الحاجة لذلك، وذلك في ثلاثة أحوال:

١ - أن يكون في ذكره إيضاح لمعنى الآية.

٢ - أن يكون في ذكره ترجيح بين الأقوال التي يوردها.

٣ - أن يكون فيه ذكر لما له صلة بالآية، من ذكر قصة أو خبر، يكون العلم به من تمام الآية.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٦٣)، والقرطبي (١/ ٢٣٠)، والعقد الفريد (٥/ ٢٦٠)، ولسان العرب (٣/ ٤٢٠).

موقف ابن جرير من القراءات

س ١٦٣: ما السبب في موقف ابن جرير من القراءات، وترجيح بعضها على بعض، أو تغليط بعضها؟ذكرنا أنه يقول: وهذه القراءة لا أجيز القراءة بها، أو يقول: وهذه القراءة لا تصح القراءة بها، أو يقول: وهذه القراءة غلط، أو يقول: وكلا القراءتين صحيحة، فكيف توجّه هذا؟

الجواب: إن ابن جرير نظر إلى المعنى، وإن القراءة المنثورة هي من حرف يوافق رسم المصحف، لكنه لا يناسب المعنى، فبعضها يكون أولى من بعض؛ لأن معناه أولى، وبعضها لا يستقيم المعنى بها عنده، فإن كان يستقيم المعنى عنده بها صححها، وإن كانت لا تستقيم غلّطها، والسبب في قوله: تستقيم أو لا تستقيم؛ لأنها دخلت بعض الأحرف السبعة فيما دلّ عليه حرف قريش، لكن بعض الكلمات لا تناسب حرف قريش فيما بقي من الآية، ولهذا يغلط ابن جرير.

تفسير ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ

اسمه (تفسير القرآن العظيم).

مؤلفه: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو إمام معروف، فقد فسر القرآن في المسجد على الناس، قالوا لمّا بلغ قوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، ابتدأ تدوين التفسير، ففسره إلى آخره، ثم رجع إلى أوله، وفسره إلى هذا الموضع، ثم رجع من أوله للمراجعة، ولذلك

تختلف النسخ الخطية، فلا غرابة في اختلاف النسخ؛ لأنه راجع الأول، فلا بد أن تكون نسخت نسخ قبل المراجعة وأخرى بعدها.

طبع عدة طبعات، وهي ما بين جيدة ومتوسطة، ومن أحسنها التي طبعت في مصر (دار الشعب) اعتمد على نسخة أزهرية حققها ثلاثة أساتذة.

خصائص تفسير ابن كثير

١ - أنه تلميذ ابن تيمية، فقد نشأت له مدرسة في التفسير، فابن كثير تأثر بمدرسة شيخ الإسلام، فهو يعتني بالآيات المشكلة، ولهذا اعتنى بها أيضًا ابن كثير، وله كلام طيب في تفسيره: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾ [الأنعام: ٧٥]، فقد تكلم عليه شيخ الإسلام، وكذلك ابن كثير بكلام نفيس، يعني: هل كان ناظر أو مناظر؟

٢ - قدم لتفسيره بمقدمة مهمة، وهذه المقدمة في أكثرها لخصها من مقدمة التفسير لابن تيمية، فاشتملت مقدمته على المسائل:

وجوب العناية بالقرآن، والعناية بتفسيره، وأنه من أشرف العلوم.

ذكر المفسرين من الصحابة ﵃، وفضّل مدرسة الصحابة ﵃، وذكر التفسير بالأثر، والرأي، وأن تفاسير الصحابة ﵃ هي أسلم من غيرها، وذكر اختلاف التنوع، واختلاف التضاد، وذكر كلمات تتعلق بعلوم القرآن، وفي آخرها ذكر الكلام على الإسرائيليات، وأنه أوردها السلف، وقسمها من حيث الرواية إلى أقسام، فقال: منها ما جاء شرعنا برده، ومنها ما جاء

بمثله، ومنها ما لم يأت شرعنا برده ولا قبوله، فهذا هو الذي قال فيه ﷺ: «مَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلاَ تُصَدِّقُوهُمْ وَلاَ تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ فَإِنْ كَانَ بَاطِلًا لَمْ تُصَدِّقُوهُ وَإِنْ كَانَ حَقًّا لَمْ تُكَذِّبُوهُ»[1].

الأثر عن ابن كثير، وابن جرير: قال: «حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ»[2]، التزم به إلا في سورة (ق)، فقال: قيل: هو جبل محيط بالأرض من كل جهاتها، وما وراء التقاء بقية الفلك كما هو تصور الأولين، وذكر الإسرائيليات في هذا الموضع، وقال: هذا مما ترده العقول، وتحيله، وليس من قبيل ما لا يصدق ولا يكذب.

إذًا القسم الثالث، وهو ما لم يأت شرعنا برده ولا قبوله ينقسم عند ابن كثير إلى قسمين:

الأول: مالا تحيله العقول، فهذا من قبيل مالا يصدق ولا يكذب.

والثاني: ما تحيله العقول، فإنه يرد.

هذا ما ورد في المقدمة، فقد جعلها تأصيلًا لتفسيره.

٣ - هذا التفسير من قمة التفاسير، فهو من مدرسة التفسير بالمأثور، بل هو من أعلاها؛ لأنه اعتمد على الأثر، فقد ذكر في المقدمة أن أعلى ما يفسر به القرآن بالقرآن، والسنة بالأثر عن الصحابة، والتابعين، فهو يورد في الآية جميع ما فسره الرسول ﷺ، وما فسره الصحابة والتابعين.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤٤) من حديث أبي نملة الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه (ص١٦٢).

فهذا الكتاب نقل لمدرسة التفسير بالأثر، ولكن إذا نقل عن الرسول ﷺ، يذكر الأسانيد والتخريج، فيقول: قال أحمد، ويذكر الإسناد، ويذكر من خرّجه: كأحمد، والنسائي، والترمذي... إلى آخره، وهذا كثير وغالب، ولكن ليس قاعدة مطردة، وإذا أتى إلى أحاديث وآثار الصحابة والتابعين ينقلها دون إسناد، وهو محمول على أنه إمّا صحيح، وإمّا مردود.

في كتابه يأتي بالأحاديث والآثار قليلًا المتصلة بموضوع الآية؛ فالآية - مثلًا - في تحريم الميسر يذكر الأحاديث الدالة على التحريم، وكذلك في بر الوالدين، فلا يذكر الأحاديث المتعلقة بمعنى الآية، بل أيضًا المتعلقة بموضوع الآية.

س ١٦٤: كيف يتعامل مع الأحاديث والآثار؟

الجواب: طريقته: تارة يذكر هذه الأحاديث بدون فصول، وتارة في فصول، فيقول: فصلٌ في حُسن الخلق؛ كما ذكر في سورة لقمان.

- اعتنى عناية بالغة بتحرير الأسانيد، والطرق، والتخريج، ويحكم على الأحاديث، ويذكر ما منها غريب ومتفرد به، وما ليس كذلك.

- إذا أورد الأحاديث، فإنه يحكم عليها كثيرًا، وتارة يكون بالصحة والحسن، ويذكر العلة في ذلك، ويورد أحاديث، ويستغربها، وتارة يورد، ولا يحكم، فقد تكون صحيحة، وقد تكون مما ضعفُه محتمل.

فإذًا تميز تفسيره بأنه معتنٍ جدًا بالحديث.

٤ - اعتناؤه بالمسائل الفقهية في ذكر كلام العلماء، واختلاف الأئمة: فهو يورد كلام الأئمة في الفقه، إذا كانت الآية في مسألة فقهية، أو تدل على

حكم فقهي، مثل: إن كانت في الصيام، يذكر ما يتعلق بأحكام الصيام، وكذلك الحج، وكذلك المحرمات في النكاح، فيذكر ما يتعلق بها من الأحكام؛ لأن الآية فيها نصه. مثال ما تدل عليه قوله ﷻ: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ﴾ [النساء: ٢٣]، فإن الآية دلت على أن الربيبة إذا كانت في حجر الزوج، فتحرم على الزوج أن يتزوجها، هذا ظاهر الآية، فهل هذا مقصود، أم أن كل بنت امرأة تزوج أمها تحرم عليه، ولو لم تكن في حجره؟

الجمهور على تحريمه، وأن ذكر الحجر خرج مخرج الغالب، ثم ذكر مذهب الظاهرية، وذكر قول عليّ، وقول شيخ الإسلام فيها.

وتارة يوردها على شكل فصول، إذا طال المبحث، فيقسمها؛ لتكون أخف.

٥ - لم يعتنِ ابن كثير رحمه الله بذكر القراءات في هذا الكتاب، فقد فسّر كتابه على غير قراءة حفص؛ على قراءة أبي عمرو؛ كما في قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾ [الأنعام: ٩٦]، فهو فسر على هذه القراءة، ولا يورد القراءات بالتزام، فربما ذكرها، وربما لم يذكرها، والأكثر عدم ذكرها، ويوردها إن كان لذكرها أثر في تفسير الآية.

٦ - لم يعتنِ في كتابه بذكر المباحث العربية، لا من جهة الاشتقاق، ولا الشواهد، ولا التصريف، ولا المعاني، ولا البيان، ولا النحو. لم يعتنِ بها، ولكنها ليست ظاهرة في كتابه، وربما ذلك للتدليل على صحة التفاسير المنقولة في ذلك، أو لبيان أهل التفسير، فلو قارنت بينه وبين

القرطبي، لوجدت اختلافًا، فهذا يهتم بمباحث اللغة، وابن كثير على عكس ذلك.

٧ - عنايته بذكر اختلاف التنوع، وذلك إذا أورد الأقوال، فيحمل بعضها على بعض، إذا كانت ملتقية، ولم يظهر ذلك، وبهذا تبع لشيخ الإسلام.

٨ - في العقيدة يعد هذا التفسير من أصول تفاسير السلف؛ لأنه قررها في الإيمان، والصفات، والقدر، والإيمان باليوم الآخر، ومسائل الغيبيات، والرسل، . . . إلى آخره، فهو يمثل طريقة السلف في طريق الاعتقاد، ووجه ذلك، وقرره.

قيل: إن ابن كثير في الصفات ربما جنح إلى التفويض أو التأويل، هذا ذهب إليه؛ كما في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [فصلت: ١١]، أي: قصد، هذا يدل على أنه يفوض أو يؤول.

ونقول: هذا باطل، حين يورد هذا إنما يعني: دلالة الآية في ذلك، ولا يعني به تأويل. . . ، فقد قرر الصفة في محله، فيكون معنى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: علا وارتفع إليها قاصدًا، فابن كثير قال: أنه قصد ليبين التفسير بالتضمن، التفسير باللازم، وأمّا المؤول، فلا يعرف التضمين، فلنفرق بينهما، موضع الاستواء إن أَوّله، دل على أنه مؤول، وفسر في موضع بالمعنى المتضمن. . . ، في مسألة توحيد العبادة، فقد فسرها تفسيرًا صحيحًا، في العقيدة، وفي الإيمان على طريقة السلف، تفسير قوله ﷻ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [لقمان: ٢٥] وقوله ﷻ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ

أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١] بين الربوبية وبين الألوهية، فيستعمل كل منهما، ويكثر، لا كما قال بعضهم: أن أول من استعمله ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٩ - مباحث تاريخية: في قصص الأمم السابق، وبعض الأخبار وبعض السير... ذلك، ولكن يوجد فيه.

١٠ - هذا الكتاب ضمنه مؤلفه كثيرًا من مباحث علوم القرآن: العناية بأسباب النزول، والمحكم والمتشابه، والمشترك، والعام والخاص، والأحرف ودلالتها.

الفرق بين ابن جرير وابن كثير في الآثار

س ١٦٥: هل تفسير ابن كثير اختصار لتفسير ابن جرير؟ هذه عبارة مشتهرة، فما مدى صحتها؟

الجواب: قيل ذلك لمّا رأوا أن ابن جرير يصدق بالتفسير الإجمالي، ثم يتبع بالآثار مسندة، ويذكر آراءه في التفسير، وابن كثير يتبع هذه الطريقة، فنظروا إلى هذه الطريقة، فقالوا: إنه لم يورد أسانيد، فصار مختصرًا له، ويعتني باختيارات ابن جرير، فيوردها في تفسيره، وهذا الذي ذكروه ليس بصحيح ولا دقيق؛ لأن ابن كثير لا شك أنه اعتمد تفسير ابن جرير مرجعًا أساسيًا، ولكنه لم يختصره ألبتة، بل استفاد منه؛ كما استفاد من غيره، وقد خالفه في أشياء زادها عليه، ومنها:

- أنه أورد آثار وتفسيرات عن السلف ليست في تفسير ابن جرير.

- أنه اعتمد على تفاسير كثيرة، ومنها: ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والمسانيد، والصحاح، والسنن، ونقل منها كثيرًا من جهة الآثار والأحاديث وهذه ليست في ابن جرير.

- أن ابن كثير حكم على الأسانيد، وذكر الروايات والطرق وأعلها، ويذكر الأحاديث في موضوع الآيات، ومباحث كثيرة متعلقة بالسنة لم يوردها ابن جرير أصلًا.

- أن فيه الحديث عن مسائل فقهية وعقدية لا توجد في تفسير ابن جرير.

- أن ابن كثير تعقب ابن جرير في مسائل كثيرة، فيذكر رأيه، ثم يتعقبه، ويكون في الغالب، ومثاله: قوله ﷻ: ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾ [النساء: ٣٤] تعقب ابن كثير تفسير ابن جرير هنا، وكذلك عند قوله ﷻ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾ من الذين غلبوا على أمرهم المشركون أم ملوك ذلك الزمان؟ اختار غير ما اختاره ابن جرير، أنهم الكبراء من القوم، وأهل النفوذ. فهذا القول مردود بأدنى نظرة في تفسير ابن كثير.

- رد ابن كثير على كثير من التفاسير التي غلطت، ونقل منها فوائد، فنقل عن (الكشاف) و(الرازي)، ورد عليهم في مواطن، وهذه التفاسير المتأخرة ليست في تفسير ابن جرير.

تفسير الدُّر المنثور

مؤلفه: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، أحد كبار العلماء الذين اعتنوا بالتصنيف، عُدّ له أكثر من خمسمائة مصنف، منه ما هو في ورقة مثل: (المصابيح في صلاة التراويح)، و(بذل العسجد في سؤال المسجد)، ومنها ما هو مصنف في كتب، ومنها ما اختص بعلوم القرآن (كالإتقان)، وله في التفسير كتاب مشهور جدًا، وهو (الدُّر المنثور في التفسير بالمأثور) مطبوع سابقًا في ستة مجلدات، ومؤخرًا في ثمان مجلدات ذكر في مقدمته: أنه اختصره من كتاب له سماه (ترجمان القرآن)، قال لمّا أنهيته، طالت الأسانيد، فرغبت أن أختصره، فسميته: (الدُّر المنثور في التفسير بالمأثور)، قال بعض الناس: إنه ليس له وجود، أي: كتاب (ترجمان القرآن)، وهل كان مسودًا عنده، ولمّا انتهى منه اختصره؟ وقد ذكر في موضع من (الإتقان)، قال: وقد أتممت (ترجمان القرآن) في أربع مجلداتٍ ضخام.

ومن اللطائف في ترجمته أنه ولد في المكتبة، ولدته أمه بين الكتب، فأصابها الطلق، وهي في مكتبة والده، ومات في مكتبه، تولى القضاء، وأتت المناقضات، فاعتزل في بيته، وتركه، وأخذ يؤلف، ويُخرِّج...، بعضهم يسميه الخيوطي، بمعنى أن ما يورده كالخيوط لا تفي.

فائدة: ولذلك بعض المعلومات تحسن في النظر، ولا تثبت في اليد، ومثَّلها بعض أهل العلم بالزهرة اليابسة، تروق لك منظرًا، ومنها بعض

تعليلات أهل العلم؛ كقولهم لماء العيون: كلها حلو إلا ماء زمزم، هذا خير أهل العلم.

وسئل: لماذا يطوف الناس حول البيت، يجعلونه عن يسارهم؟

ومن الأجوبة عليه أن بيت المحبة القلب، وبيت المحبوب هو البيت، ومن أجوبة أهل العلم للسؤال الأول؛ لأن مكة عين الأرض، والكعبة سواد العين، وماء زمزم معها، والدمع مانع، فالسيوطي له هذا الكتاب العظيم.

خصائص تفسير الدُّر المنثور

١ - فيه من ذكر التفاسير بالمأثور ما ليس في غيره، حتى لا يوجد تفسير بالمأثور إلا وهو فيه، فكل ما نقل عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين موجودٌ فيه.

٢ - أَنه خرَّج هذه الأقوال، ونسبها إلى مصادرها، فيقول: أخرج ابن جرير، والحاكم، وابن الضريس عن ابن عباس، ويسوق القول، فلا يذكر إسنادًا، ولكن يخرج، وكذلك قوله: أخرج البخاري في قوله: ومن يحاسب نفسه، ذلك العرض.

٣ - في كتابه لم يورد رأيًا له بعد الخطبة، فليس فيه بعد الخطبة إلا سرد الروايات. وطريقته أنه يذكر الآية إن كانت قصيرة، أو بعضها إن كانت طويلة، ثم يورد الأخبار عن السلف في تفسير الآية، دون أن يدخل كلامًا من عنده.

٤ - لم يحقق الكلام في الأحاديث، فأورد أشياء كثيرة، فمنها ما هو

ضعيف، ومنها ما هو موضوع، ومنها ما هو منكر، وما هو مضادٌ للعقيدة، وما هو ضعيف جدًا، فهو حاطب ليل.

٥ - ليس في هذا الكتاب ذكر لمباحث لغوية، ولا نحوية، ولا تاريخية، ولا فقهية، وإنما فيه الآثار فحسب.

س ١٦٦: كيف نستفيد من كتب التفسير بالمأثور؟

الجواب: الترتيب كالتالي:

١ - تراجع (الدُّر المنثور) أولًا؛ لأن فيه حصر للروايات عن السلف، فتحصر الروايات منسوبة إلى السلف، وتذكر من روى هذه الرواية بجانبها؛ لأن السيوطي ما دقق في الروايات، ثم ترتيبها.

٢ - ثم تأتي إلى تفسير ابن كثير؛ فقد ذكرنا أنه يورد الآثار بلا أسانيد، ولكن يورد الأثر إلا إن كان مقبولًا عنده، فما أورده من هذه ابن كثير، نكتب عنده أورده ابن كثير.

٣ - مراجعة ابن أبي حاتم، فما ورد فيه، فهو صحيح؛ لأنه شرط على نفسه ألا يورد إلا الصحيح.

٤ - مراجعة الأصول، فإن كان الحديث رواه ابن جرير، فنرجع إلى تفسيره. . . إلى آخره، فننظر في الأسانيد، فما كان صحيحًا يقبل، وما كان غير صحيح، يرد على شرط أهل التفسير.

٥ - ينظر في هذه الروايات عن الصحابة والتابعين: هل تكررت عن الصحابي روايتان؟ فإن كانت رواية واحدة، فيكون هو قول المفسر، فإن

كان هناك قولان، فينظر فيهما، فإذا كانت متفقة، فيها اختلاف تنوع، جمعنا بينهما، أو أحدهما مختصرًا، والآخر مفسرًا، وأمّا إن كانا متعارضين، أحدهما يعارض الآخر، وكلًا منهما نُقل عن ابن عباس، فننظر في أصح الروايات إسنادًا، فما كان أصح يقبل، والآخر يقال: أنه ليس قول ابن عباس، فإن كانت الرواية صحيحة، ولكنها موضوعة، فترد كرواية الكلبي عن ابن عباس، وكذلك إن كان في أحدهما انقطاع، تقدم الصلة.

دراسة التفسير بالرأي

تعريف الرأي: الاجتهاد والاستنباط، والتفسير بالرأي: الاستنباط والاجتهاد، وهو قسمان: محمود، ومذموم.

المحمود: الذي قاله المفسر، وعنده آلات الاجتهاد التي تؤهله للتفسير بالرأي، التي ستأتي.

المذموم: الذي قاله المفسر بالرأي، ودليله فيه العقيدة التي يعتقدها المخالفة للسلف، أو الجهل وعدم العلم.

س ١٦٧: ما شروط جواز التفسير بالرأي؟

الجواب: شروط جواز التفسير بالرأي ما يلي:

١ - أن يكون متابعًا للسلف في العقيدة؛ لأنهم هم الذين فسروا القرآن قبل فشُّو العقائد المنحرفة، وهم المؤتمنون على القرآن، والعقيدة الصحيحة أساس في فهم القرآن.

٢ - أن يكون عالمًا باللغة من جهة النحو، ومن جهة المفردات، إمّا بالحفظ، وإمّا بالقوة القريبة، وتعني: المراجع، فيمكنه فهم كلام أهل النحو أو أهل اللغة، وعنده فيه ملكة من جهة الحفظ، أو من جهة القوة القريبة أي: الكتب.

٣ - أن يكون عالمًا بأحداث العرب؛ لأن القرآن نزل والعرب لهم أحوال اجتماعية، واقتصادية، وقبلية، ولهم تنقلات وأوضاع لمن حولهم، فإذا فُهمت، استطاع فهم الآيات؛ لأنها نزلت في أُناسٍ عاشوا هذه العيشة.

٤ - أن يكون عالمًا بأصول الفقه؛ لأنها أساس الاستنباط، فأصل مبحث أصول الفقه لغوي: كالمجمل، والمبين... إلى آخره.

٥ - العلم بأسباب النزول، وعلوم القرآن بعامة؛ لأن العلم بالأسباب يورث العلم بالمعنى للآية، مثل: قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ﴾ [البقرة: ١٨٩] كيف تفسرها؟ فإن لم تعرف أسباب نزولها، وأحوال العرب، لم يُعرف تفسيرها.

٦ - أن يكون عند المجتهد معرفة قوية بأسانيد التفسير، وطبقات الرجال في التفسير؛ حتى لا يخالف تفاسير السلف في اجتهادهم، فإنه إذا خالف تفاسير السلف، فهو مخطئ؛ لأنه لا يمكن أن يحجب عن السلف، ويأتي لمن بعدهم، وهذا غير ممكن.

٧ - أن يكون حافظًا للقرآن، عالمًا بموارد موضوعات القرآن فيه، حتى لا يجعل تفسيره لآية دون النظر في مثيلاتها في القرآن مثل: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠﴾ [الانشقاق: ١٠] فإذا فسرها بنظيره عرف أنه الذي يعطي كتابه

بشماله، وقوله ﷻ: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ [المائدة: ٩٣] فيها إباحة الأطعمة والأشربة ما دام على العمل الصالح، فإذا عرف الحلال والحرام، علم تفسير الآية.

س ١٦٨: ما مدارس التفسير بالرأي؟

الجواب:

١ - **مدرسة التفسير العقدي**، وهي التفسير بالرأي المذموم مثل: تفاسير الرافضة، ومنه: تفسير (الطبرسي)، (والطباطبائي)، وتفاسير الصوفية، ومنه: (تفسير القرآن) لابن عربي الصوفي الطائي، و(حقائق التفسير) للسلمي، و(تفسير القونوي)، وتفاسير المعتزلة، ومنه: (الكشاف) و(مفاتيح الغيب) للرازي، وتفاسير الاسماعيلية.

٢ - **تفاسير لغوية ونحوية**: ومثاله: تفسير أبي حيان (البحر المحيط) و(إعراب القرآن) للنحاس، و(المفردات) للراغب الأصفهاني.

٣ - **تفاسير فقهية**، نظر أصحابها في الفقه، فجعلوا تفاسيرهم ممثلة في الأحكام الفقهية، أمثلتها (أحكام القرآن) للجصاص، ولابن عربي، وللقرطبي.

٤ - **التفاسير الموسوعية**، ونعني: التي فيها علوم كثيرة متصلة بالتفسير وغير متصلة به، يمثلها كتاب (مفاتيح الغيب) لعز الدين الرازي، و(روح المعاني) للألوسي، فهي من التفاسير الموضوعية من الفقه إلى النحو، إلى الفلك، إلى آخره.

س ١٦٩: ما سبب نشوء هذه المدارس؟

الجواب: سبب نشوء هذه المدارس: ذكرنا في مقدمة الكلام على التفسير جوابه، ونعيده أن من أهمها التخصصات المختلفة، التي نشأت في الأمة، فمنهم من تخصص في الفقه والنحو والعقيدة... إلى آخره. وأراد أولئك أن يفسروا القرآن، ففسروا النحو في إعراب القرآن، وهكذا، فكان لهذه التخصصات سبب في نشوء هذه المدارس.

س ١٧٠: عن الاختلاف في مسألة جواز التفسير بالرأي.

الجواب: العلماء اختلفوا: هل يجوز أن يفسر أحد القرآن برأيه، أم لا يجوز إلا بالنقل؟ على قولين:

القول الأول: ذهب إليه جمع من التابعين، الشعبي، وسعيد بن المسيب أنه لا يجوز لأحد أن يفسر القرآن برأيه، بل لابد أن يكون بالنقل، وما عداه لا يجوز التفسير بالاجتهاد، دليلهم أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[1] فدلّ على أن من فسر بالرأي، فذلك متوعد عليه، حتى لو فسر، فهو مخطئ، واستدلوا أيضًا بأن أبا بكر قال: «**أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللهِ مَا لاَ أَعْلَمُ؟!**». وعمر عندما جهل معنى الأب، قال: (إن هذا لهو التكلف يا عمر)[2].

القول الثاني: أن التفسير بالرأي جائز لمن اكتملت عنده الشروط

---

(١) سبق تخريجه (ص٩٥).

(٢) سبق تخريجه (ص٩٦).

السابقة، وهو قول جمهور أهل العلم، وأدلتهم: قال هؤلاء: إن الصحابة ﷺ فسروا القرآن بالرأي، واجتهدوا في ذلك، ولو كان ممنوعًا، ما أقدم عليه الصحابة ﷺ، فقد بلغتهم الأدلة، ومع ذلك فسروا، وأيضًا: أن الرسول ﷺ لم ينكر على عدي بن حاتم حينما اجتهد في تفسير الخيط الأبيض، والخيط الأسود، وإنّما قال: (**إنما ذلك سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ**) وكذلك عمر ﷺ سئل عن قوله: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ ففسره بالشِّعر[1]، فقبل ذلك، وأيضًا سئل عمر ﷺ عن قوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ فاجتهد فيها ابن عباس ﷺ بحضرة الأشياخ، فقال عمر ﷺ: ما أعلم إلا ما علمت منها، وإن ذلك هي وفاة الرسول ﷺ[2].

وأما الدليلان اللذان ذكرا، فهما حق، فأما قولهم من فسر القرآن، فقد أخطأ، فهو فيمن فسره بالجهل، ففسره برأيه، وليس عنده آلة الاجتهاد، والصحابة ﷺ فسروا وعندهم آلات الاجتهاد، فأخطأ بتجرئه على القرآن دون حجة، وأما الحديث الآخر، فهذا الرأي فيه بمعنى الرأي المذموم، وهو الناتج عن الهوى، فله رأي في الآية مخالف للسنة، كما فسر المرجئة القرآن بآرائهم، وكذلك الخوارج، والقرآن حق كله، ونقص تفسيرهم المحكم من القرآن، ومن الناس من فسره بجهل، ومنهم من فسره بهوى، ولا شك أن القول الثاني واضح الاستدلال، وواضح الجواب، فهو الراجح الذي عملت به الأمة.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٥٤).

(٢) سبق تخريجه (ص١٥٤).

تفسير (روح المعاني) للألوسي

س ١٧١: من مؤلف تفسير (روح المعاني)؟

الجواب: مؤلفه: شهاب الدين الألوسي الحنفي.

اسمه: (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، طبع عدة طبعات، وهذه منقولة عن أصلٍ بخط المؤلف؛ لأنه عاش في القرن الثالث عشر الهجري، وتوفى ١٢٧ هـ، وذكر عن نفسه أنه رأى وهو صغير أنه يطوي السماء بيده، فسأل عن ذلك، فقال أحد المفسرين إن هذا تفسيرٌ عظيم سيفسره، وذكر عن نفسه أنه لم يعرف لهو الشباب، قال: وقد فتح الله عليَّ بحل إشكالات في التفسير، ولم أجاوز العشرين، وكان عنده معلومات واسعة، فألف هذا التفسير، طبع في عشرة مجلدات، وطبع طبعة أخرى في ثلاثين جزءًا، ثم توالت الطبعات.

وصفه: كان يميل إلى الصوفية والطريقة النقشبندية، ولهم طريقة في التفسير، وهي أن في الآيات إشارات إلى حقائق الإيمان وما يصلح به قلب المريب والسالك، في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ [الأعراف: ١٦١] إشارة إلى الاهتداء، فكثر عندهم ذكر الإشارات في الآيات على ما يريدون، وهذا ما عرف فيما بعد بالتفسير الإشاري، فلها ظاهر، ومنطوق، ومفهوم، وإشارة، لا يعلمه كل الناس، وتصنيف هذا في التفاسير الإشارية، فإنه بعد تفسير الآية يقول: وفي الآية إشارة إلى كذا. التفسير الإشاري كثر عند طائفة من المفسرين المتأثرين بالصوفية، ذكر ابن القيم

في كتابه: (التبيان في أقسام القرآن) أن الأقسام جمع قسم، وتكلم عمّا في القرآن من القسم، وذكر أن التفسير الإشاري سواء من آي القرآن أو السنة يصح بأربعة شروط، وكأنه استقرأها:

١ - ألا يحوي على عقيدة باطلة، فإذا كانت العقيدة تردها دلائل الكتاب والسنة، فلا يجوز التفسير الإشاري.

٢ - أن يكون التفسير في نفسه صحيحًا.

٣ - ألا يلزم منه معنى باطل كقولهم: إن النفس لا تطيع حتى تعذب. وهذا خلاف ما جاء به الشرع.

٤ - أن يكون التفسير الإشاري في نفسه تحتمله اللغة، فما لا تحتمله اللغة يكون تفسيرًا باطنيًّا. مثاله: ما فسر به شيخ الإسلام ابن تيمية حديث النبي ﷺ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فيه كَلْبٌ ولا صُورَةٌ»[١]، قال: ففيه إشارة على أن الملائكة لا تدخل قلبًا حلَّ فيه كلاب الشبهات، أو صور الشهوات[٢]، وهذا صحيح مشاهد؛ لأن من شغل بالشهوات والشبهات لا يكون ميالًا لما تحبه الملائكة، أيضًا اللغة تحتمله. وما كان في تفسير (روح المعاني) ما هو مقبول، وهو قليل، وما هو مردود، وهو كثير؛ لأنه سار على طريقة الصوفية فهذا تفسير موسوعي إشاري.



---

(١) سبق تخريجه (ص٥٨).

(٢) سبق تخريجه (ص٥٩).

خصائص تفسير روح المعاني

س ١٧٢: عن خصائص تفسير روح المعاني.

الجواب:

١ - اهتم فيه مؤلفه بترتيب الكلام في الآيات، فهو كتاب مرتب، يأتي بالنحو، القراءات، اللغة، ثم يذكر المأثور، ثم الإشارات، فهو منظم مرتب، ليس فيه خلط.

٢ - عقيدة صاحبه في هذا الكتاب أنه ماتريدي، وهم أتباع أبي منصور الماتريدي، وهم الحنفية، ولكنه لم يلتزم بها، بل خالفها في أشياء كثيرة، وخاصة الصفات، فهو يميل إلي الإثبات، فهو أقرب ما يكون لطريقة السلف في جانب الصفات، أمّا في غيرها، فيمشي على طريقة الماتريدية، فمثلًا: حين تكلم عن الرحمة: هل هي مجاز أم لا؟ فرد كونها مجازًا.

٣ - ملأ كتابه بالرّد على الرافضة، وهذا من أهم ما في هذا الكتاب، فما من آية استدل بها الرافضة على عقيدة الرافضة إلا ورد عليهم، وهذا لأنه عاشرهم، فكانت ردوده دقيقة وموفقة، مثاله: قوله ﷻ: ﴿تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨] يستدل به الرافضة على أن التقية من الأصول، وقد رد عليهم في صفحات، كذلك عندما أتى في الكلام على زوجات الرسول ﷺ ردَّ عليهم، ولا يوجد كتاب يرد عليهم في التفسير إلا هذا الكتاب.

٤ - عنايته في هذا الكتاب بالمفردات اللغوية: من حيث الاشتقاق،

والتصريف، ومن حيث المعاني، والشواهد عليه من أشعار العرب، وأيضًا عنايته بعلوم العربية: النحو، والبلاغة. فاهتم بالمباحث العربية، وهذه في الغالب تكون الأولى - أي: التحليلات اللغوية -، أما النحو والبلاغة، فهو يورد بحسب ورودها في الآية.

٥ - اهتمامه بالمسائل الفقهية، فقد أورد فيه البحوث الفقهية المتعلقة بالآية مثل: آية في الصيام، آية في الحج. . .، ويذكر أقوال الأئمة، وأيضًا يورد أحيانًا مذهب الظاهرية، ويذكر الأدلة كثيرًا والترجيح بعبارة فائقة مختصرة، ولم يظهر تعصبه لمذهب دون مذهب.

٦ - في كتابه استفاد من كتاب (الدر المنثور) للسيوطي، لهذا نقل أقوال السلف في التفسير، على طريقة السيوطي في (الدر المنثور)، وذلك في آخر الكلام عن الآيات، يقول: أخرج الحاكم. . الخ.

٧ - اعتنى بالقراءات المتواتر فيها والشاذ، وهذه القراءات لعلّ عمدته فيها كتاب (البحر المحيط) لأبي حيان الأندلسي.

٨ - في كتابه إيراد مسائل كثيرة علمية وفلكية، وكانت تسمى في زمنه علم الهيئة، أي: الفلك، والنجوم، وأحوال الأرض، والفصول، وأورد أقوال علماء الهيئة، وما كان مخالفًا للنص الصريح ردّه، وما كان ليس كذلك أثبته، ولهذا صار تفسيرًا موسوعيًّا.

٩ - فيه عند ختام الآيات ذكر الإشارة، أي: إشارة الآية إلى المعاني الباطنية الصوفية، فيقول: ومما في الآيات من الإشارات، ثم يبدأ في ذكرها وقد تقدم الكلام عنها.

١٠ - أنه يورد أخبارًا تاريخية وآثارًا إسرائيلية، ولم يتوسع فيها، فتخلص مما في الكتب المطولة من الإسرائيليات.

١١ - ذكر مقدمة له، ضمنها سبع فوائد متعلقة بعلوم بين يدي كتابه، وهي:

١- التفسير.

٢- التأويل.

٣- العلوم التي يحتاجها المفسر.

٤- جمع القرآن على الأحرف.

٥- كون القرآن كتاب الله.

٦- حقائق صوفية في التفسير.

٧- وجوه في الإعجاز، وغيرها.

١٢ - اعتنى بذكر مسائل كثيرة من علوم القرآن، ومن أبرزها: أسباب النزول، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، وأحرف المعاني، ووجوه الإعجاز، إلى غير ذلك...

هذه هي خصائص التفسير، بدون أمثلة، باختصار.

س ١٧٣: نرجو أن تعطينا بعض الأمثلة من هذا التفسير.

الجواب: ذكر في خطبة الكتاب:

١ - حاله مع التفسير قبل سنّ العشرين.

٢ - السبب في تأليفه للتفسير ليلة الجمعة أن الله أمره بطي السماوات.

٣ - ذكر مقدمات التفسير أسماء كتاب الله، وذكر أنها ترجع كلها إلى القرآن والفرقان، وذكر عدة فوائد أخرى.

أمثلة على طريقته في تقريره للعقيدة في موافقة كلام السلف:

قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٩] قال: أي: علا إليها وارتفع من غير تكييف ولا تمثيل، وقيل: استولى وملك، وهو خلاف الظاهر لاقتضاء إلى بمعنى على، ولأن العرش مستولى عليه قبل خلق السماوات والأرض.

مثال لإيراده القراءات:

قال ﷻ: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ٩] قال هنا: قرأ الحرميان وأبو عمرو ﴿وما يخادعون﴾ وقرأ باقي السبعة ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ وقرأ الجارود وأبو طالوت ﴿وَمَا يُخْدَعُونَ﴾، وما عدا القراءتان الأولى والثانية شاذة.

عند قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]، وهو شرعًا خروج العقلاء عن الطاعة، فيشمل الكفر وما دونه من الكبيرة والصغيرة، وهذا الكلام فيه نظر، قال: واختص في العرف والاستعمال بارتكاب الكبيرة، فلا يطلق على ارتكاب الآخرين إلا نادرًا، فسق الرطب إذا خرج من قشره.

قال ﷻ: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ الشاهد: حيث أورد كلام أهل الهيئة، لا يقال: إن أرباب الأرصاد أثبتوا تسعة أفلاك، إن هي إلا سبع، وهل هي سماوات؟ لأنهم شاكون في النقص والزيادة.

مثال الإسرائيليات: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: ٤٩]، ذكر وهب بن منبه أن اسمه قابوس. . . . إلخ. ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨] قال: منع الشافعي ومالك قتل الحر بالعبد، سواء كان عبده، أو عبد غيره، ليس للآية، بل للإجماع والقياس، وأن الرسول ﷺ «**نهى عن قتل حر بعبد**»، ولأنه لا قصاص في الأطراف في العبد. . .، وقوله: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ المروي عن ابن عباس، والنخعي، والثوري أنه منسوخ . . . . إلى آخره.

تفسير (مفاتيح الغيب)

س ١٧٤: نرجو أن تعطينا نبذة عن تفسير (مفاتيح الغيب).

الجواب: مؤلفه: محمد بن عمر البكيزي الطبرستاني الرازي، معروف بابن خطيب الرازي؛ لأن والده كان خطيبًا، ولد سنة **٥٤٤** هـ، ت **٦٠٦** هـ، عاش **٦٢** سنة، عرف بأنه متكلم، أُصولي، فقيه، منجم، وكتابه (مفاتيح الغيب) المشهور أنه للرازي، وكل الدلائل دلت على أنه لم ينفرد بتأليفه، فقد ألف فيه أكثره، ولكنه لم يكمله، وكمله بعده القموبي، والخويني، لأنه في سورة الواقعة أحال على كلام الرازي في موضع سبق، فقال: وقد تكلم عليها الإمام في موضع سبق، وقد ألف الرازي من أوله إلى الأنبياء، وما بعده لا يجزم أنه عمل فلان، أو فلان وما حذوه، وقد أشار إلى ذلك ابن حجر في (الدرر الكامنة)، وكذلك. . . (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون).

خصائص تفسير (مفاتيح الغيب)

س ١٧٥: ما أبرز خصائص تفسير (مفاتيح الغيب)؟

الجواب:

١ - يفسر الآيات على شكل مسائل، وأحيانًا يورد معنى إجماليًا، ثم يورد الكلام على الآية، فليس مطردا إيراده للمسائل.

٢ - اعتنى في كتابه بعلوم اللغة، ففيه مباحث من حيث المفردات، والتصريف، والإعراب، ويورد الشواهد على ما يذكر.

٣ - اعتنى بعلوم القرآن، يذكر أسباب النزول والمناسبات، وهو من أوائل من تكلم في المناسبات.

٤ - اعتنى بذكر اللطائف والنكات في التفسير، التي تتعلق باللغة، والمناسبات، والعلوم المختلفة.

٥ - كتابه هذا عمدة في بيان العقيدة الأشعرية، فصاحبه متكلم أشعري، فقرر في كتابه ما يقرره الأشاعرة؛ ولذلك رد على المعتزلة، وكذلك رد على أهل السنة.

٦ - أورد في كتابه الشبهات في العقيدة، في النبوة، في القرآن، وتقريره لهذه الشبهات مفصلًا، يذكر الأقوال والأدلة، حتى تظن أن هذا القول اعتقاده، وأنه الحق، ثم يرد عليه؛ والسبب أنه أراد إظهار ما لديه من علوم، وإيراده لهذه الشبهة تارة، ويكون الرد مناسبًا، وتارة يكون قليلًا، فتقع الشبهة، ولا يكون الرد مقنعًا، وأحيانًا يورد الشبهة، ويقول: الرد في موضع

آخر، ولذلك قال العلماء المغاربة: يورد الشبهات نقدًا، ويردها نسيئة، وهذا من المآخذ عليه.

٧ - في هذا الكتاب إيراد لعلوم مختلفة مما لا صلة له بالتفسير، مثل: النجوم، والتنجيم، وإن وجد مناسبة تتعلق بالفلكيات والنجوم، أورد ما يتعلق بذلك من النجوم، وقد ألَّف كتابًا في النجوم أسماه: (السر المكتوم في أسرار الطلسمات ومخاطبة النجوم)، وهذا لا شك أنه مما لا يجوز أن ينظر فيها هذا النظر؛ لأن النجوم خلقت زينة، وليهتدي بها الناس، ورجومًا للشياطين، ومن ابتغى غير ذلكن فقد أخطأ، وهذا يسمى علم التسيير.

٨ - في كتابه ذكر للقراءات، وهو صاحب آراء في القراءات والأحرف، فهو يوردها منسوبةً إلى أصحابها، وهذا ليس غالبًا، بل إذا احتاجه.

٩ - في كتابه ذكر للمسائل الفقهية والخلاف فيها، وهو شافعي المذهب، ينتصر لمذهبه، ويورده.

١٠ - فيه تحرير وذكر لمسائل أصولية مهمة، ولا غرابة، فمؤلفه عمدة في الأصول، له كتاب (المحصول) وغيره.

مؤلفات الرازي

س ١٧٦: نرجو من فضيلتكم أن تلقي بعض الضوء على الرازي، وأبرز مؤلفاته.

الجواب: له في الكلام كتاب: (المطالب الإلهية)، في الأصول له كتاب (المحصول)، في النجوم له كتاب: (السر المكتوم في أسرار الطلسمات

ومخاطبة النجوم)، وقد ألّفه لملك حران، وكانوا صابئة، وأراد أن يظهر بذلك علمه، فعلَّمهم كيف تنشأ الهياكل، وتؤثر فيما يكون - أي: النجوم - وهذا شرك، ذكر شيخ الإسلام أنه كفر بهذا الكتاب، وذكر ابن أبي أُصيبعة في كتابه (عيون الأنبياء في طبقات الأطباء) أنه وجد له وصية فيها توبة، ولذلك قال فيه شيخ الإسلام: فيه كل شيء إلا التفسير، وقال فيه ابن خلكان في كتابه (وفيات الأعيان): جمع فيه كل غريب وغريبة.

أمثلة: قال ﷻ: ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ فيه مسألتان: أورد شُبهة: هل هو مصدق لكل ما في القرآن أم لا؟ وقد أجاب عليها، وأورد مسائل في النحو.

تفسير (البحر المحيط)

س ١٧٧: عن أبرز التفاسير اللغوية أو النحوية، وما المقصود بها؟

الجواب: التفاسير اللغوية، والنحوية، ويقصد بها التي اهتمت بإعراب القرآن مفردة، ومنها: (الطارقيات) لابن خالويه، وصيغ باسم (إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم)، أيضًا كتاب (إعراب القرآن) للنحاس، وكتاب (إملاء ما مَنَّ به الرحمن) للعكبري، هذه أفردت الإعراب، ومن الكتب التي جعلت الإعراب مقصودا مع غيره كتاب (البحر المحيط) وغيره من الكتب التي ذكر فيها الإعراب مفصلًا، ولا شك أن تفسير أبي حيان اعتنى فيه بالنحو.

س ١٧٨: عن أسباب ظهور هذه المدرسة؟

الجواب: لظهور هذه المدرسة أسباب:

١ - أن المؤلف في تلك الكتب الفن الذي غلب عليه النحو، فابن النحاس نحوي، والعكبري، وأبو حيان.

٢ - أن فهم الإعراب والنحو ينبني عليه فهم التفسير، فكثير من الأحيان يكون وجه التفسير مبنيًّا على فهم الإعراب، فنجد مثلًا في العكبري أن هناك خلافًا في الإعراب ينبني عليه خلاف في التفسير.

٣ - أن هؤلاء النحاة أرادوا تحقيق كثير من المسائل النحوية، والحجة فيها القرآن والقراءات المختلفة، فأرادوا تحقيق المسائل في ضمن تفسيرهم للقرآن.

س ١٧٩: عن ترجمة أبي حيان الأندلسي؟

الجواب: هو أثير الدين محمد بن يوسف الحياني الغرناطي الأندلسي، ولد سنة ٦٥٤هـ، وتوفي سنة ٧٤٥هـ، عاش بين القرن السابع والثامن، أبو حيان قدم من الأندلس إلى مصر ودخل الإسكندرية، وهو مكثر من الشيوخ، قرأ عليهم القراءات، والفقه، وكان يميل إلى الظاهرية، وكان يقول عن سبب انتشار اسمه: وما نشر اسمي إلا غرابة اسمي، وظهر نبوغه في الفنون كلها، من مشايخه المشهورين: ابن النقيب، وله تفسير اسمه: (التحرير والتحبير لأقوال أهل التفسير) في مائة مجلد، وقد استفاد منه أبو حيان.

لما أتى شيخ الإسلام إلى القاهرة، وصدع بالدعوة، أعجب به أبو حيان، ومدحه بأبيات، وكان مرة في مجلس شيخ الإسلام، فتكلم عن سيبويه،

فقال ابن تيمية : هذه غلط ، فقال : تقول أخطأ سيبويه . قال : نعم ، في ثمانين موضعًا ، فغضب ، وخرج من مجلسه ، ومزق أبياته التي مدحه بها ، كان بينه وبين ابن هشام مناقشات ، فابن هشام يسهل النحو ، وأبو حيان يغلق النحو ؛ لأنه ينحو منحى سيبويه ، قوي العبارة .

س ١٨٠: ما أبرز مؤلفات أبي حيان الأندلسي؟

الجواب: لقد ألف كتبا كثيرة، ومنها :

١- هذا التفسير (تفسير البحر المحيط).

٢- وأيضًا كتاب اسمه (غريب القرآن)، أو (تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب).

٣- وله منظومة في القراءات على وزن الشاطبية، ولكنه أخلاها من الرموز، ولكن مع سهولتها لم يكتب لها القبول، فلم تحفظ، ولم تشرح شروحًا كثيرة، حتى الطباعة لم تُطبع.

٤- وكتاب (خلاصة البيان في البلاغة).

٥- أيضًا كتاب (شرح التسهيل في علوم النحو) التسهيل هذا لابن مالك، وقد كان سليم العقيدة، متبعًا لطريقة السلف.

س ١٨١: عن خصائص تفسير البحر المحيط؟

الجواب: ١ - قدم له بمقدمة ذكر فيها العلوم التي يجب على المفسر أن يعتني بها ، فذكر :

١ - اللغة. ٢ - العقيدة. ٣ - التوحيد. ٤ - السنة. ٥ - علوم القرآن.

٦ - أصول الفقه. ٧ - القراءات. ٨ - التاريخ.

٢ - أنه وضع شرطًا له في هذا الكتاب، وقرر أن ترتيبه في الكتاب يكون على النحو التالي، وهذا يسمى منهجًا، فمنهجه - كما قال -:

* الكلام على مفردات الآية المفسرة، لفظةً لفظة، فيما يحتاج إليه من اللغة والنحو، وذلك قبل التركيب، ويقصد به الصرف، ويذكر معانيها، وإن تكررت، فلا يعيد بل يحيل.

* يشرع في تفسير الآية، ويشمل نقاطًا:

أ - ذكر سبب النزول إن وجد.

ب - نسخها.

ج - مناسبتها وارتباطها بما قبلها.

د - حشد القراءات شاذها ومستعملها وتوجيهها.

هـ - نقل أقوال السلف والخلف في فهم معانيها، متكلّمًا على جليّها وخفيّها.

و- يبدي ما في الآية من غوامض الإعراب، ويذكر ما يتعلق بالبلاغة.

٣ - نقل أقوال الفقهاء الأربعة وغيرهم في الأحكام الشرعية، مما له تعلق بالآية، دون ذكر الأدلة، بل يحيل عليها.

٤ - ذكر القواعد النحوية، والإحالة عليها في كتب النحو، فلا يورد شرحها، ولا التقرير عليها، أو المسائل النحوية، ولكن ليس مطردًا، فقد يذكر إن كان في الحكم غرابة، فإنه يذكر الدليل عليه.

س ١٨٢: هل أبو حيان يورد الأدلة النحوية؟

الجواب: القاعدة أنه لا يوردها، ولكن قد يوردها إذا كان ذلك القول مخالفًا لما ذهب إليه أكثر الناس.

٥ - أبعد في كتابه عن وجوه الإعراب البعيدة المتكلفة، التي لا تصلح للقرآن؛ لأن القرآن أحسن الكلام، وأحسن الحديث، فيحمل على أحسن تركيب، فلا يجوز أقوال الشعراء كالشماح، والطرماح ويحملها على القرآن؛ فالقرآن هو أحسن الكلام.

٦ - ثم يختم الكلام في جملة من الآيات، التي فسرها إفرادًا وتركيبًا بما ذكر فيها من علم البيان والبديع ملخصًا.

٧ - ثم يتبعه بكلام منثور إجمالي لتفسير الآيات، ثم قال بعده: وسنقف على هذا المنهج إن شاء الله.

٨ - ربما أورد في كتابه بعض كلام الصوفية مما فيه مناسبة، أو بعض مناسبة لمدلول اللفظ، لكنه قال: تجنبت كثيرًا من أقاويلهم التي يحملونها الألفاظ، وربما أورد بعض الكلام.

٩ - نزَّه كتابه عن أقوال الملحدين، الباطنيين، الإسماعيليين. . .، وغيرهم.

١٠ - اعتنى في كتابه بصحة أسباب النزول، وما يورد من أحاديث الفضائل، وترك ما لا يصح، قال في مقدمة كتابه عن المفسرين: وكذلك ذكروا ما لا يصح من أسباب النزول، وحكايات في الفضائل، وإسرائيليات ولا ينبغي ذكر هذا في التفسير.

١١ - الكتاب فيه فوائد كثيرة متنوعة متعلقة بتجارب المؤلف، وآرائه في الحياة، وما مر عليه، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره عند قوله ﷻ: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨﴾ [الشعراء ٥٧، ٥٨] الآية، أين هذه الكنوز؟ يقول: أهل مصر يعتقدون أن هذه الكنوز في جبل شرق القاهرة يقال له: المُقَطَّم، وهم لا يزالون يحفرون فيه، وذكر أيضًا أن أهل الأندلس لا يعرفون كتب المنطق، بل كانت تدس، وأما في القاهرة، فهي موجودة في كل مكان من منطق، وفلسفة، فإذا أراد رجل من أهل الأندلس كتب لأخيه في مصر أن يعطيه كتاب في (المَفْعِل)، وذكر أنه رأى اليهود يهزون رؤوسهم عند قراءة التوراة، ذكره عند قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧١].

١٢ - هذا الكتاب يعتبر من التفاسير التي سلمت من البدع في العقيدة، فهو سلفي المعتقد في الجملة؛ ولهذا كلامه في العقيدة جيد سواء في الصفات، أو توحيد العبادة.

١٣ - في هذا الكتاب بعد كثير عما في كتب المفسرين من الإسرائيليات والأقوال الغريبة.

١٤ - في هذا الكتاب ردود على الزمخشري، وقد مدحه مرة، حتى بلغ به مكانًا عظيمًا، ثم نزل به تارات، حتى قال: إن هذا الرجل لا يدري ما الذي يخرج من رأسه؟ فهو يتعقبه في مسائل النحو.

س ١٨٣: هل المدرسة الفقهية من مدارس التفسير بالرأي؟

الجواب: من المدارس المشهورة والمعروفة التي كثرت تأليفها، وهي

التي اعتنى فيها العلماء الذين ألَّفوا في التفسير بذكر أحكام القرآن، إما استيعاب كلها، أو بعضها، وأحيانًا ما تتصل به الآية، وأحيانًا ما نصت عليه الآية، ومن أوائلها ظهورًا:

مدرسة التفسير الفقهي الشافعي: وأول من ألف فيه: محمد بن إدريس الشافعي، وهذا كتاب مفقود، وكتابه (الأُم) ضمنه كثيرًا من أحكام القرآن، الذي حدا بالبيهقي جمع كتاب في أحكام القرآن حول ما ذكره الشافعي في (الأُم) وغيره من كتبه، وجمعه في مجلدين، وهذا كان في أوائل القرن الثالث.

وأيضًا القاضي المالكي إسماعيل بن إسحاق صنف كتابا في أحكام القرآن، ولكنه غير موجود، ولكن هناك كتبًا أخرى نقلت عنه؛ ككتاب ابن العربي، والقرطبي، ونقل عنه ابن حزم في (المُحلى)، وممن ألفوا مبكرين أيضًا في المذهب الحنفي القاضي أبو بكر الجصاص الحنفي، له كتاب اسمه (أحكام القرآن) للجصاص، وقد قسمه إلى قسمين:

الأول: ذكر فيه أصول الاستنباط، وأصول الأحكام ما يعرف بأصول الفقه.

الثاني: ذكر فيه أحكام القرآن، وقد ذكر أنه لما فرغ من القسم الأول من هذا الكتاب، أتبعه القسم الثاني، كأنه ذكر أصول استنباطه للأحكام، وهذا كتاب مشهور وعمدة عند الحنفية.

ثم جاء البيهقي وجمع (أحكام القرآن) للشافعي، وجعل ترتيبه على الأبواب، لا على السور؛ كما فعل المزني في كتابه، وهذا من كتب

الشافعية. ثم صنف بعده أبو بكر بن العربي كتابه المعروف (أحكام القرآن)، وهو مطبوع في جزأين، ثم طبع في أربعة مجلدات، وقد تكلم عن الآيات بكلام حسن، وأورد استنباطات... الآيات؛ كما ذكر عند قوله ﷻ: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠]، ذكر أن الله امتن بهذه الأشياء، ومنها ما هو نفيس، ومنها ما هو متوسط، ومنها ما هو دون ذلك، ومنة الله تكون بما هو مباح، ويكون استعمال النبيذ في الألبسة.

أيضًا: كتاب الكيا الهراسي، له كتاب في أربعة أجزاء اسمه (أحكام القرآن) وفيه ميزة أن مؤلفه استنبط من الآيات، دون النظر إلى المذاهب، فتارة يوافق الشافعي، وتارة يخالفه، وقد ردَّ في كتابه على أبي بكر الجصاص.

وفي المذهب الحنبلي (تفسير الرسعني) عاش في القرن السادس الهجري وابن العادل الحنبلي، ومن أكبر المؤلفات في أحكام القرآن، وأحسنها كتاب (الجامع لأحكام القرآن) لأبي عبد الله القرطبي، أثنى عليه ابن القيم وغيره، وهذا من الكتب المالكية، وقد طبع طبعات عدة، ومنها طبعة جيدة مدققة في طبعة (دار الكتب المصرية)، وهي معتمدة، وقد تميز بأنه فيه من العلوم المتنوعة، والأحكام، والفوائد ما لا يوجد في غيره، وقد صدر له فهرس بعنوان: (الكشاف التحليلي للمسائل الفقهية في تفسير القرطبي)، فقد أورد في مقدمته العلوم المتنوعة، التي أوردها القرطبي في كتابه، فذكر الأوائل مثل: أول من حضر، أول من كتب، أول من صلى... إلى آخره، وكذلك ضمنه الفروق المتنوعة، الفرق بين العلم والمعرفة، والمكفوف والأعمى... إلى آخره، وكذلك في المسائل الفقهية قدم المسائل الفقهية

ففيه ما لا يخطر على البال.

س ١٨٤: نرجو من فضيلتكم نبذة مختصرة عن القرطبي.

الجواب: هو أبو عبد الله بن أحمد فَرْح الخزرجي الأنصاري القرطبي الأندلسي، ممن رحل من الأندلس إلى مصر، وسكن بها حتى مات، وقد وصف بأنه من المتزهدين.

س ١٨٥: ما أبرز مؤلفات القرطبي؟

الجواب: القرطبي له تآليف كثيرة منها:

١ - (الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى) ولكن فيه تأويلات.

٢ - كتاب (التذكار في أفضل الأذكار).

٣ - (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة).

٤ - (الجامع لأحكام القرآن) والذي نحن بصدده.

س ١٨٦: من أبرز مشايخ القرطبي؟

الجواب: له مشايخ كثيرون، أشهرهم: أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي، أحد علماء الحديث وحفاظه، وهذا الشيخ هو الذي يكثر النقل عنه في كتب الحديث، وذلك أنه ألف كتابًا لخص فيه (صحيح مسلم) وشرحه بشرحٍ عظيم، سماه: (المفهم لما أشكل من صحيح مسلم)، وقد استقر القرطبي في مُنية الخصيب وتوفي سنة ٦٧١هـ.

س ١٨٧: ما اسم كتابه، وما أبرز خصائصه؟

الجواب: اسم كتابه: (الجامع لأحكام القرآن والمبين عما تضمنه من

السنة وآي الفرقان)، قوله الجامع: يوحي بأنه جمعها من مؤلفات متفرقة، وهذا الكتاب من الكتب التي وضع لها شروطًا، وقد نص عليها في المقدمة.

شروطه فيه:

١ - قال هو تعليقٌ وجيز.

٢ - يتضمن نكتًا من التفسير، يعني: أنه لا يطيل في التفسير، بل يذكر المهم.

٣ - يتضمن نكتًا من اللغات، يعني: تحليل الكلمة من جهة الصرف، والاشتقاق، والشواهد، وهذا مما تميز به، وفاق به غيره، اعتماده على ابن فارس في الاشتقاقات.

٤ - بعض نكت من الإعراب، يذكر المفيد منه.

٥ - يتضمن نكتًا من القراءات، والموجود في كتابه جميع القراءات المتواترة، والشاذة، واعتمد على كتاب (المحتسب) لابن الجني، والظاهر أن المراد بقوله نكت منها.

٦ - الرد على أهل الزيغ والضلالات، والقرطبي كان أشعريًّا متكلمًا، فقد رد على (الحشوية)، وهذا اسم أطلقه المتكلمون على المجسمة، وقد يعنون أهل السنة والجماعة، وهم بريئون من ذلك، وأيضًا ردَّ على الباطنية، والرافضة، والصوفية؛ فقد ذكر الذكر المبتدع وغيره، مما هو شائع عند أهل التصوف.

٧ - ذكر فيه أحاديث كثيرة، تشهد لما ذكره من الأحكام، أو أسباب النزول، وشرطه في الأحاديث أن يضيفها إلى مصنفيها.

٨ - أنه خلص كتابه من كثير من القصص في التاريخ، والإسرائيليات إلا ما لا بد منه من فهم الآية.

٩ - جعل كتابه مضمنًا لتفسير آيات الأحكام وما فيها من الأحكام، جعل تفسيره للآي تارة على مسائل، وتارة بدون ذكر مسائل.

وشرطه في ذلك: أن الآية إذا تضمنت حكمًا، أو حكمين، فأكثر، فيجعل تفسيرها على شكل مسائل، وإن لم تتضمن أي حكم، فسرها سردًا بدون مسائل.

قدم لكتابه بمقدمة طويلة، تحتوي على كثير من علوم القرآن.

ومن تلك المسائل:

- باب ذكر جُمل من فضائل القرآن.
- باب كيفية التلاوة لكتاب الله.
- باب تحذير أهل القرآن من الرياء.
- باب ما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ به، والمراتب التي ينبغي له الأخذ بها.

أمثلة على ميزاته: قال تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥] ليس فيها مسائل.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣] يقول: فيها ست وعشرون مسألة، ذكر بعض الإعراب، والتحليل اللغوي لكلمة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، فنلاحظ أنه ذكر ما يتعلق باللغات، وما يتعلق

بالإعراب، وما يتعلق بالتفسير.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ذكر أقوال المتكلمين في معنى القدرة.

س ١٨٨: عن تفسير (الكشَّاف) مؤلفه، وخصائصه؟

الجواب: تفسير مشهور وكبير، اسمه: (الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل).

مؤلفه: أبو القاسم جار الله محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، معتزلي العقيدة، وحنفي المذهب، ولادته **٤٦٧هـ**، ولقب بجار الله؛ لأنه كان يكثر الترداد على مكة، ويجاور بيت الله؛ حتى أنه ألف تفسيره في مكة، وكان معتزليًّا، يفخر بذلك، ذكر عنه ابن خلكان: إذا طرق على أحد باب، قال: أبو القاسم المعتزلي، يدل عليه أنه في أول نسخة في كتابه قال: الحمد لله الذي خلق القرآن، توفي سنة **٥٣٣هـ**، عاش **٦١** سنة. هذا الكتاب صنفه مؤلفه للمعتزلة؛ لأنهم هم الذين طلبوا منه، فهو من تفاسير المعتزلة، واعتنى به العلماء لما فيه من الفوائد اللغوية، وقد ردوا عليه، ولكنه مليء بالإعتزاليات، حتى قيل: أنه لا يخرج منه الإعتزاليات إلا بالمناقيش.

س ١٨٩: لماذا لا يجعل تفسير (أحكام القرآن) للقرطبي، أو تفسير الرازي من ضمن التفاسير بالمذموم.

الجواب: لأنها لم تشتمل عليه قصدًا، وإن كان من الرأي المذموم.

س ١٩٠: عن سبب تأليف الكشاف؟

الجواب: **سبب تأليفه**: ما ذكره في أول الكتاب من قوله: ولقد رأيت

إخواننا في الدين من أهل الفئة الناجية العدلية أن يجمع لهم كتاب فيه تفسير القرآن، فهذا التأليف بسبب طلب أهل الاعتزال، فهو ملتزمٌ في العقيدة بكلام أهل المعتزلة، ولذلك يُعنى به أهل اليمن؛ لأن فيهم كثرة زيدية، وهم أقرب للمعتزلة، فكتبه إملاءً سورة (الفاتحة والبقرة)، فطلب منه أحد أمراء مكة ما قد كتبه، فرأى أن يكتب تفسيرًا للقرآن كله، وكانت مدته في تأليفه مدة خلافة أبي بكر سنتين وثلاثة أشهر، وقد مُدح كتابه مدحٌ عظيم، ومن مدحه:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشَّافي

في كتابه ابتدأه بتقرير مذهب المعتزلة، فقال في أوله: الحمد لله الذي خلق القرآن، وقد اعترض عليه بسببها، فغيَّرها بقوله: الحمد لله الذي جعل القرآن، وجدت منه نسخ في أوله: الحمد لله الذي أنزل القرآن، قال ابن خلكان: أن أصحابه هم الذين غيروه؛ لما رأوا فيه من الفائدة.

س ١٩١: ما خصائص تفسير (الكشَّاف)؟

الجواب:

١ - استخدامه لعلوم البلاغة: البيان، والمعاني، والبديع، وخاصة البيان، والمعاني في التفسير، ويطبقها على فهم آي القرآن، وهذا لم يسبق إليه، له كتاب (أساس البلاغة).

٢ - ملأ الكتاب بذكر أوجه الإعجاز اللغوي للقرآن، ومنها ما يتصل بالمباحث البلاغية، فجعل الإعجاز من مهمات تأليفه، والمعتزلة يعتنون بالإعجاز، ومنهم عبد القادر الجرجاني في (إعجاز القرآن)، والزمخشري يُبيِّن الإعجاز من جهة الألفاظ.

٣ - ذكره لكثير من الأشعار العربية والشواهد على معاني الألفاظ، مما لا يوجد في غيره، وقد خرجت هذه الأبيات في مجلد مفرد.

٤ - احتوى هذا الكتاب على مباحث متنوعة في النحو، وعلوم العربية مما تميز به الزمخشري.

٥ - صاغ كتابه صياغةً عجيبة من حيث الأسلوب، وحسن السبك، وهذا لا يقدر عليه كل أحد.

٦ - هذا الكتاب اعتني به من جهة ما أورده من الأحاديث، منها ما هو معروف، ومنها ما هو غير معروف، فخدم العلماء هذه الأحاديث، ومنهم الزيلعي في (تخريج أحاديث الكشاف)، والحافظ ابن حجر في (تخريج أحاديث الكشاف)، والزمخشري ليس من أهل الدراية في الحديث، فيورد أحاديث ضعيفة وموضوعة.

٧ - اعتناؤه بالفقهيات قليل، فهو حنفي المذهب، وإيراده لها من وجهة نظر الحنفية، مثاله: وقد نقلها عند قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٢٢].

٨ - الإسرائيليات في الكتاب قليلة، وإذا أوردها، فإنه يوردها على سبيل الحكاية، فيقول: قيل، حكي، وأكثر ما يورده مما ليس له أثر سلبي على كتابه.

٩ - كتابه أصل من أصول المعتزلة، التي يرجعون إليها، فقد شحنه بإيراد المباحث الاعتزالية في العقيدة، ويأتي تفصيل هذه المسألة من جهة عيوب الكتاب.

س ١٩٢: نرجو من فضيلتكم ذكر أمثلة مما أورده الزمخشري من المسائل الاعتزالية.

الجواب: من ذلك: ما أورده صاحب (التفسير والمفسرون):

١ - جعله المحكم ما قرره المعتزلة في عقائدهم، والمتشابه الأدلة التي تنقض عقائد المعتزلة، فمثلًا عند قوله ﷻ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] يرى الأولى: محكمة، والثانية: متشابهة، وعليه يجب أن تكون الثانية متفقة مع الأولى، فيحملها على عدم الإبصار، كذلك قوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وقوله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦] الأولى محكمة، والثانية متشابهة، فلا بد من حمل المحكم على المتشابه، فعنده المتشابه يلغى، أما عند أهل السنة، فهو مقيد في بعض الأحيان.

٢ - انتصاره لمذهب المعتزلة في أصحاب الكبائر، فهم عندهم في الدنيا في منزلة بين المنزلتين، وفي الآخرة مخلدين في النار، قال ﷻ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء: ٩٣] يقرر هنا أن مذهب المعتزلة أن صاحب الكبيرة خالد مخلد في النار.

٣ - انتصاره لمذهب المعتزلة في التحسين والتقبيح العقليين، مثاله: ما ذكره: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

٤ - انتصاره لمعتقد المعتزلة في السحر، فهم ينفون السحر؛ لئلا يشتبه الخارق بالمعجزة، ذكره عند: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤]

٥ - في مسائل القدر ينتصر لمذهب المعتزلة.

٦ - تلقيبه أهل السنة بألقاب بذيئة: الحشوية، القدرية، ووصفهم بأوصاف فيها استهزاء وسخرية.

٧ - تعبيره بتعبير فيه انتقاص للنبي ﷺ، وهذا في سورة التكوير، والتحريم ولذلك كان السبكي يقرأ هذا الكتاب، فلما وصل إلى هذا الموضع، قال: استحييت أن أقرأ كتابا فيه مثل هذا، فتوقف عن قراءته، وقد ألف رسالة اسمها: (سبب الانكفاف عن إقراء الكشاف).



محاضرة بعنوان مدارس التفسير ١٤١٤/٤/٢٤ هـ

الحمد لله الذي نزل الكتاب على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، نحمده ونثني عليه الخير كله، وهو للحمد وللثناء أهل، حمدًا متوافرًا متتابعًا، دائمًا لا ينفد، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين. أما بعد:

فأسأل الله ﷻ أن يلهمني وإياكم الرشد والسداد والتوفيق في الأمر كله، نعوذ به من فتنة القول، ومن فتنة العمل، نعوذ به من أن نَضل به، أو نُضل، أو أن نَذل، أو نُذل، أو أن نَجهل، أو يُجهل علينا، ثم إن هذه الدروس التي ستكون في تفسير كلام المنان ﷻ، ومع ذلك التفسير نبذ من أصول التفسير، ومن معاقده وقواعده، هذه الدروس إنما هي فتح أبواب لمن رام علم التفسير، وقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم من الصحابة فيمن بعدهم يعتنون كثيرا بتفسير كلام الله ﷻ، وبفهم معانيه؛ لأنه هو الحجة على الخلق؛ ولأن التعبد وقع به، وبتلاوته، وبفهم معانيه، وبإنحاء كثيرة غير ذلك، فلا غرابة أن ظهر كثير من الصحابة، وقد اعتنوا بهذا العلم - علم التفسير -؛ لحاجة الأمة إليه، لحاجة المؤمن في نفسه إليه، ثم لحاجة الأمة إلى هذا العلم، فلا أعظم من أن يُشرح للناس، وأن يُفسر لهم، وأن يُبين كلام الله ﷻ؛ إذ هو الحق الذي لا امتراء فيه، وهو الحجة التي ليس بعدها حجة، وهو القاطع الذي تقنع به النفوس، وترضى به دليلا وبرهانًا، وحجة عند الاحتجاج وإيراد البرهان والدليل.

وهذا الكتاب العظيم جعله الله ﷻ كتابا بلسان عربي، بل بلسان عربي مبين، يعني: بينًا في نفسه، ومبينًا لما يحتاجه الناس من الأخبار ومن الأحكام، والنبي ﷺ قد بين للناس ما نُزِّل إليهم، بين للصحابة رضي الله عنهم ما يحتاجونه من معاني كلام الله ﷻ، إذ قد كُلف بذلك ﷺ؛ لقوله ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، لكن حاجة الصحابة رضي الله عنهم لم تكن في فهم كلام الله ﷻ كحاجة غيرهم، بل إنهم إنما احتاجوا بعض التفسير؛ وذلك لعلمهم بمعاني كلام الله ﷻ؛ لأنه نزل باللسان الذي يتكلمون به، وباللغة التي ينطقون بها.

فسر النبي ﷺ آيات كثيرة من القرآن فيما نُقل إلينا، لكن لم يُنقل إلينا أن النبي ﷺ فسر أكثر القرآن، بل إنما كان تفسيره ﷺ للقرآن فيما نُقل إلينا كان ليس بالكثير، وقد ثبت أن النبي ﷺ فسر القوة - مثلًا - بالرمي في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] فقال: «**أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ**»(١) وفسر ﷺ قوله ﷻ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧] بأن المغضوب عليهم هم اليهود، وأن الضالين هم النصارى، وكذلك فسر ﷺ الزيادة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] بأنها النظر إلى وجه الله الكريم(٢)، ولكن مع ثبوت كثير من التفسير عنه ﷺ، لكن لم يفسر للصحابة كل القرآن، نعم بين لهم معاني القرآن، وأفهمهم معاني القرآن بحسب حاجاتهم، وهكذا من بعد الصحابة من التابعين، الصحابة نقلوا لهم التفسير الذي سمعوه عن النبي ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١٧) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه (ص١٥٣).

أو الذي أوتوه من العلم بالقرآن بمعاني آي الذكر الحكيم، وكان نقلهم لذلك قليلا بالنسبة لما تكلم به المفسرون بعد ذلك من تفسير آيات القرآن، وذلك لأن القرآن - كما ذكرت لك آنفا - نزل بلسان عربي مبين، والناس إذا اعتنوا باللغة، فهموا كثيرًا من القرآن، وربما لم يعلموا بعض الآي، وذلك لعدم العلم ببعض اللغات، أو لأسباب أخر تأتي في موضعها مفصلة - إن شاء الله تعالى -، من ذلك مثلًا أن عمر رضي الله عنه كان يتلو كثيرًا سورة النحل على المنبر يوم الجمعة، وذات مرة تلا السورة، وتوقف عند قوله عز وجل: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل: ٤٧] فقال: ما التخوف؟ كأنه لم يظهر له أن التخوف من الخوف، ورام رضي الله عنه معنىً آخر ليكون أكثر دلالة على المعنى المراد في الآية، فقال رجل من هُذيل في المسجد: يا أمير المؤمنين، التخوف في لغتنا التنقص، قال شاعرنا الكبير الهُذلي يصف ناقة[1]:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرِدًا ... كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ

ومعنى تخوف: أي: تنقص، فإذًا يكون أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه في عدم علمه بتفسير هذه الآية على هذا الوجه من التفسير، كان من جراء أن هذا اللفظ - وهو التخوف - كان على لغة هُذيل، فسأل عنه رضي الله عنه، وهكذا في كثير من الآيات لا يُجزم بأن الصحابة رضي الله عنهم علموا معنى كل آية، أو علموا معنى كل كلمة في كل آية، بل ربما لم يعلموا بعض ذلك، وعلمهم بذلك بالأكثر، لكن هذا باعتبار أفرادهم، أما مجموع الصحابة رضي الله عنهم، فهم يعلمون معاني كلام الله عز وجل، فلا يفوت معنى من معاني القرآن على مجموع الصحابة، بل

---

(١) سبق عزوه (ص١٥٤)

العلم بكلام الله ﷻ محفوظ في كلام الصحابة، وما فسر به الصحابة القرآن إنما هو بعض علومهم بالقرآن، فقد ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ما من آية في القرآن إلا وأعلم معناها، وأعلم متى أنزلت، وأين أنزلت، وفيما أنزلت؛ كما رواه ابن كثير في مقدمة التفسير ورواه غيره[(١)].

وإنما فسر الصحابة رضي الله عنهم القرآن بحسب الحاجة، إما لحاجة السؤال: يأتي سائل، ويقول: ما معنى قول الله ﷻ: كذا وكذا؟ وربما فسروه ابتداءً في كلامهم فيما يعلمون به الناس، اشتهر من الصحابة رضي الله عنهم في التفسير كثير، ولكن أكثرهم تفسيرًا أربعة، وهم: عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وعبد الله بن مسعود، وأُبَي بن كعب، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، هؤلاء الأربعة أكثر المنقول عن الصحابة رضي الله عنهم في التفسير يدور عليهم.

والخلفاء الراشدون نُقل عنهم التفسير - يعني أبو بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم - نُقل عنهم أشياء من التفسير؛ كما روى أحمد وغيره أن أبا بكر رضي الله عنه تلا قول الله ﷻ في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فقال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها، وقد سمعت رسول ﷺ يقول: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ لاَ يُغَيِّرُونَهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ»[(٢)]، ولقد نُقل عن أبي بكر أشياء كثيرة في التفسير، ونقل عنه أنه أحجم عن تفسير بعض الآي، وكذلك عن عمر رضي الله عنه[(٣)]، لكن المشهورين بالتفسير من الصحابة هم الأربعة

(١) انظر: مقدمة ابن كثير (١/ ٥٤).

(٢) سبق تخريجه (ص١٥٣).

(٣) سبق تخريجه (ص ٩٦).

الذين ذكرت أسماءهم آنفا.

وتفاسير الصحابة ﵃ هي التفاسير الأثرية التي يُعلم بيقين أنهم أصابوا فيها؛ إذ لا يُحْرَمُ الصحابة العلم، ويؤتاه من بعدهم، فالعلم النافع، العلم الذي هو علم صحيح، لا بد أن يكون عند الصحابة ﵃، ولهذا كان أشرف التفسير، وأعظم التفسير، وأبلغ التفسير ما كان منقولًا عن الصحابة ﵃، وهذا يأتي مفصلًا - إن شاء الله - في مقدمة التفسير، يسَّر الله ذلك.

تفاسير الصحابة ﵃ تميزت بمزايا كثيرة، منها: أنهم كانوا يعلمون القرآن، والمفسر يحتاج في مصادر تفسيره أن يعلم القرآن؛ لأن بعض الآي تكون مفصلة في موضع، وتكون مجملة في موضع آخر، ويعلمون سنة النبي ﷺ، والعلم بالسنة لابد منه في فهم كلام الله ﷻ؛ إذ السنة مبينة للقرآن، مبينة لمجمله، وربما مقيدة لمطلقه، وربما مخصصة لعامه، ونحو ذلك من العلوم النافعة، التي لابد للمفسر منها، فالصحابة ﵃ تميزت تفاسيرهم بأنهم يفسرون كثيرا القرآن بالقرآن، وهذا التفسير قد يكون موضحًا فيه من قِبَل الصحابي الذي فسر أنه اعتمد على آية في تفسيره، وقد يكون ذلك مذكورًا، وإنما يعلم ذلك أهل العلم، وكذلك فيما يفسرون من القرآن، ويكون دليلهم سنة النبي ﷺ.

ثم إن الصحابة ﵃ كانوا عالمين بأحوال العرب، وبأحوال الملل التي كانت وقت نزول القرآن، ومن المعلوم أن من مصادر التفسير المهمة العلم بالأحوال التي نزل القرآن وكان العرب على تلك الأحوال، معرفة أحوال المشركين على وجه التفصيل، أحوال عباداتهم، معرفة أحوالهم الاجتماعية، معرفة ما يتعبدون به، معرفة أحوال اليهود، معرفة أحوال

النصارى، ونحو ذلك، معرفة أحوال الطوائف؛ لأن القرآن فيه آي كثيرة فيها وصف لهؤلاء، إذا لم يكن المفسر عالمًا بتلك الأحوال، فسر القرآن على غير بصيرة؛ لهذا كان من مصادر التفسير المهمة العلم بالأحوال التي كانت في زمن تنزيل القرآن.

كذلك من مميزات تفاسير الصحابة أنهم أهل اللسان وأهل اللغة، والقرآن نزل بلسان عربي، معنى ذلك أنه يُفهم باللسان العربي، وفهمهم للغة ليس محل احتجاج ولا محل استدلال، لكن كانوا يعلمون ذلك من منثور كلام العرب ومن منظوم كلام العرب، ومر معنا ما استشهد به الرجل الهذلي في معنى قوله ﷻ: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٧] رُوي أن عمر قال بعد أن سمع ذلك من الهذلي، قال: عليكم بديوان العرب؛ فإن به فهم كلام ربكم، ويعني بديوان العرب شعر العرب، وقد روى الطبراني في المعجم الكبير، وابن الأنباري في أول كتابه (الوقف والابتداء) وجماعة أسئلة نافع بن الأزرق المشهورة لابن عباس رضي الله عنهما[1]، وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما يُكثر تفسير القرآن، وكان يُفسر أو يُجيب على من يسأل عن التفسير في فناء الكعبة، فكان في فناء الكعبة في ناحية من المسجد نافع بن الأزرق وصاحب له، فقال نافع، وهو من الخوارج لصاحبه: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن - يعنون به ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا من أنواع جرأة الخوارج على أهل العلم من الصحابة رضي الله عنهم - قال: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير كلام الله ﷿، نسأله عن مصادقه من كلام العرب، فقام، فقال:

يا ابن عباس، إنا سائلوك عن آي من القرآن؛ لتخبرنا بمعانيها، وتبين لنا

---

(١) سبق عزوه (ص٣٠).

مصادق ما تقول من كلام العرب، فقال ابن عباس لنافع وصاحبه: سلا عما بدا لكما، فقال نافع: أخبرني عن قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] ما الوسيلة؟ فقال ابن عباس: الوسيلة الحاجة، فقال نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، ألم تسمع إلى قول عنترة:

إن الرجال لهم إليك وسيلة ... إن يأخذوك تكحلي وتخضبي[1]

قال فأخبرنا عن قول الله ﷻ: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المعارج: ٣٧] ما العزون؟ فقال: العزون الجماعات في تفرقة، فقال له: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، ألم تسمعا قول الشاعر:

فجاءوا يهرعون إليه حتى ... يكونوا حول منبره عزينا[2]

في أسئلة كثيرة اعتنى بها علماء التفسير، وإن كان بعض المحققين من المفسرين وعلماء اللغة يكرهون الاستشهاد على معاني القرآن بالشعر؛ كما كره ذلك ابن فارس وغيره من العلماء، لكن جرت سنة أهل التفسير على أنهم يستشهدون بديوان العرب - بكلام العرب - لفهم ما كان غامضًا من معاني القرآن، وما ذكر عن الصحابة في الاستشهاد بالشعر كثير، وإن كان في أسانيده - على طريقة المحدثين - ما لا يُقبل.

المقصود أن الصحابة ﷺ كانوا على علم تام بلغة العرب - بمنظومها

---

(١) سبق عزوه (ص١٥٥).

(٢) سبق عزوه (ص١٥٥).

ومنثورها -، وهذا لاشك يجعلهم في الريادة في تفسير كلام الله ﷻ، ومَنْ بعدهم عندهم من النقص في التفسير بقدر نقصهم في فهم اللغة، الصحابة ﷺ من مميزات تفاسيرهم أنه يكثر فيها اختلاف التنوع، وسيأتي في بيان أصول التفسير أن الاختلاف في التفسير ينقسم إلى قسمين: اختلاف التنوع، واختلاف التضاد، بل الاختلاف عمومًا ينقسم إلى هذين القسمين، واختلاف التنوع كالاختلاف في الأسماء مثلًا، فإنهم اختلفوا في تفسير الصراط في قوله ﷻ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] فقال بعضهم: الإسلام، وقال بعضهم: القرآن، وقال بعضهم: الصراط محمد ﷺ، وكلها كالأفراد لمعنىً عام واحد.

هذا التفسير منهم، وهذا الاختلاف اختلاف التنوع منهم أفاد المفسرين بعد ذلك كثيرًا؛ لأنه يكون كالإشارات، يستفيد منها المفسر للتعبير عن معنى الآية بما يناسب الحاجة - حاجة الناس - لذلك؛ لأن القرآن نزل هاديًا للناس.

بعد ذلك - بعد زمن الصحابة - نشأت مدارس على أثر تفسير الصحابة للقرآن، فنشأ في مكة مدرسة للتفسير معلمها عبد الله بن عباس ﷺ، الذي دعا له النبي ﷺ بأن يعلمه الله التأويل، فقال: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**»[1] وفي لفظ آخر: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**» و«**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ**»[2]، ونحو ذلك من الألفاظ التي فيها دعاء النبي ﷺ لابن عباس أكثر من مرة، يعني: في أكثر من موضع.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧) من حديث ابن عباس ﷺ.

(٢) أخرجهما البخاري (١٤٣، ٧٢٧٠، ٣٧٥٦، ٧٥) من حديث ابن عباس ﷺ.

وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تميزت مدرسته بحذق التفسير، وبحسن الكلام عليه، فمن تلامذته الذين نقلوا التفسير: مجاهد بن جبر أبو الحجاج، العالم المعروف، فإنه عرض القرآن على ابن عباس ثلاث مرات، يوقفه عند كل آية يسأله عن معناها، ولهذا كان سفيان الثوري وغيره من أئمة الحديث يقولون: إذا جاءك التفسير عن مجاهد، فعليك به، أو فحسبك؛ وذلك لأنه أخذه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

كذلك نقل التفسير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أصحابه في مكة: كسعيد بن جبير، وكعكرمة، وكطاووس، وجماعة، فنشأت مدرسة في التفسير في مكة، ثم توسعت هذه المدرسة في تبع التابعين، وهكذا.

كذلك في الكوفة، في البلد التي سكنها عبد الله بن مسعود إثر بعث عمر له للناس هناك، يعلمهم ويفقههم، نشأت مدرسة لعبد الله بن مسعود في التفسير، وعبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ممن هم في الذروة في الصحابة في فهم كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، وكثيرًا ما يفسر القرآن بما يعلمه من أسباب النزول، فإنه ممن أسلم قديمًا، وكان يقرأ القرآن أحسن قراءة، وقد قال في ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ»[(١)] يعني: عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نشأ في الكوفة أصحاب لابن مسعود، نقلوا عنه التفسير، وهكذا، وكذلك في المدينة نشأ أصحاب لأُبي بن كعب، وكذلك ما نُقل من التفسير

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٧)، والبزار (١/ ٦٦)، والطبراني (٩/ ٦٧)، وأبو يعلى (١/ ٢٦)، وابن حبان (١٥/ ٥٤٢) من حديث أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

عن عليٍّ ﷺ، وهكذا . . . ، حتى كثر التفسير، فاحتاج الناس بعد ذلك لما ظهر التدوين إلى أن يدونوا تفاسير السلف، وهذه الكتب التي دونت تفاسير السلف تسمى كتب التفسير بالمأثور؛ لأنه ليس فيها رأي لأصحابها، كتفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني، وقد طُبع مؤخرًا، وكتفسير الإمام أحمد بن حنبل ﷺ، وكتفسير ابن مردويه، وتفسير ابن المنذر، وتفسير عبد بن حُميد، وتفسير ابن أبي حاتم.

وأتى بعد ذلك ابن جرير، فجمع كثيرًا من تلك التفاسير المنقولة عن السلف في كتابه المشهور في التفسير، وهذه التفاسير المنقولة عن السلف في كتب التفسير بالمأثور هي عمدة الذين يفسرون القرآن بالمأثور عن الصحابة ﷺ، لكن الصحابة ﷺ ربما اجتهدوا في التفسير، بل كثيرًا ما اجتهدوا في التفسير، فليس كل ما فسروا به القرآن قد سمعوه من النبي ﷺ، أو أخذوا تفسيره من القرآن في آية أخرى، بل إنهم اجتهدوا فيه، وهذا - كما يقول شيخ الإسلام وغيره -: **(العلم إما نقل عن معصوم، وإما قول له دليل معلوم)**[١] إما نقل مصدق، أو قول محقق بالبرهان.

والصحابة ﷺ فيما اجتهدوا فيه بالتفسير لم يُفسروا القرآن بالرأي المجرد المذموم، الذي جاءت الأدلة بذمه، وإنما فسروا القرآن بما عندهم من آلات الاجتهاد والاستنباط، ولهذا أهل العلم بعد ذلك ربما فسروا القرآن بالاجتهاد وبالاستنباط؛ لأن الصحابة ﷺ فسروا القرآن بالاجتهاد

(١) انظر: شرح مقدمة في التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ للعلامة ابن عثيمين ﷺ (ص٩).

وبالاستنباط، فظهرت هناك تفاسير اجتهد فيها أصحابها أن يفسروا القرآن إما على وفق اللغة ككتاب (مجاز القرآن) - ويعني بالمجاز: معاني القرآن - لأبي عبيدة معمر بن المثنى، الإمام اللغوي المعروف، وككتاب الفراء (معاني القرآن)، ونحو ذلك.

فنشأ مع مدرسة التفسير بالمأثور مدرسة أخرى في التفسير، هي تفسير بالاجتهاد وبالاستنباط، إما من جهة النظر في اللغة، وإما من جهة النظر في النحو، وإما من جهة النظر في أسباب النزول، ونحو ذلك، فأولئك الذين فسروا بالرأي - يعني: بالاجتهاد، بالاستنباط - منهم المصيب، ومنهم المخطئ.

ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ جمع علوم من قبله في كتابه، الذي يعد أعظم كتب التفسير المؤلفة التي وصلت إلينا، فإنه جمع فيها ما نقل في التفسير عن الصحابة بالأسانيد المشهورة عند المفسرين، المرضية عند المفسرين، وأخلى تفسيره من رواية المتهمين بالكذب - كما يقوله الكثير من أهل العلم -، وساق الأسانيد، وساق أقوال السلف - أقوال أهل الأثر - بالأسانيد المشهورة، التي يتناقلها العلماء عنهم، وذكر أيضا ما نقله أولئك عن الأئمة، أو عن العلماء الذين فسروا القرآن بالاستنباط وبالاجتهاد، فترى في تفسير ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يورد التفسير بالمأثور، ويورد التفسير بالاجتهاد، بل إنه يذكر أحيانا تصويبا لقول من الأقوال، مع أنه تسنده قراءة متواترة، ويخطئ الأخرى، وذلك منه على أن التفسير بالاجتهاد والاستنباط لا بأس به، إذا كان عند المفسر بالاستنباط والاجتهاد ملكة، واكتملت فيه شروط الاجتهاد في التفسير، فإنه للاجتهاد في التفسير شروط، قد بينها

العلماء، تأتي في موضعها في مقدمة أصول التفسير - إن شاء الله تعالى -.

فتفسير ابن جرير يعد الكتاب العظيم في التفسير، ترى فيه البحث في القراءات، ترى فيه البحث في اللسان واللغة، ترى فيه الاحتجاج بأبيات العرب على المعاني، ترى فيه المباحث النحوية المختلفة، والاحتجاج بأحد الأقوال بقول طائفة من النحاة ونحو ذلك.

فالإمام ابن جرير خلط هذه العلوم في تفسيره، ترى فيه البحوث الفقهية عند بعض الآيات، يعني: أن كتاب ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعد كتابا جامعا لعلوم التفسير، ففيه التفسير الفقهي، وفيه التفسير النحوي، وفيه التفسير اللغوي، وفيه - وإن على قلة - التفسير البلاغي، وفيه التفسير الإجمالي، وفيه التفسير التفصيلي، وفيه التفسير بالأثر، وهو غالب عليه، وهكذا في أنواع من التفسير، الناس بعد ذلك في التفسير أخذوا علوم ابن جرير، ونشروها في مصنفات في التفسير، فمنهم من أخذ التفاسير الفقهية وأحكام القرآن، فأفردها، فصارت هناك مدرسة لتفسير القرآن بخصوص الأحكام، وهي التي يسمي أصحابها كتبهم: أحكام القرآن. فاعتنى الشافعية - مثلا - بتفسير لهم يعتني بأحكام القرآن، إما على طريقتهم، إما على ما اجتهد فيه مؤلف ذلك التفسير، كـ (تفسير أحكام القرآن) للكيا الهراسي.

وكذلك المالكية، وكذلك الحنفية، فسر ابن عطية القرآن، وأورد فيه أحكامًا كثيرة، وابن العربي المالكي في كتاب (أحكام القرآن)، والقرطبي المالكي في كتاب (أحكام القرآن)، وكذلك الحنفية في كتاب (أحكام القرآن) للجصاص وغيره من الكتب، وكذلك الحنابلة، وهكذا في مدرسة فقهية اعتنى أصحابها ببعض علوم القرآن، ببعض تفسير القرآن، وهو ما

يستنبط من آي القرآن، من أحكام فقهية.

هناك مدرسة أخرى اعتنت بالقراءات، وتفسير القرآن بالقراءات، ولها مصنفات، هناك مدرسة أخرى اعتنى أصحابها بالتفسير، تفسير القرآن على وفق اللغة، إما من جهة المفردات؛ كغريب القرآن، وهي كثيرة، وإما من جهة الاشتقاق، وإما من جهة البلاغة ككتاب الزمخشري ونحوه في تفاسير مختلفة.

ومن ذلك تفاسير نحوية اعتنى بها أصحابها بتفسير القرآن على وجه النحو، ومنها تفاسير عقدية اعتنى بها أصحابها بأن يفسروا القرآن على ما تقتضيه عقيدة ذلك المفسر، وقد دخل أهل البدع وأهل الضلالات، والفرق الضالة في نشر عقائدهم وبدعهم وضلالتهم عن طريق تفسير القرآن؛ لأن تفسير القرآن يقبل عليه العامي، ويقبل عليه المتعلم، يأخذون هذا العلم، فأدخلوا عقائدهم وبدعهم عن طريق تفسير القرآن، فكثرت التفاسير التي فيها العقائد المذمومة والبدع المردية في أنواع من التفاسير، كتفسير الماوردي، و(تفسير الكشاف) للزمخشري، ونحوها من التفاسير، وكتفسير الرازي، وأبي السعود، ونحوها من التفاسير التي ملئت بعقائد أصحابها: إما المعتزلة وإما الأشاعرة، وإما الماتريدية؛ كتفسير النسفي، ونحو ذلك من أنواع التفاسير.

وأهل السنة أيضا اعتنوا بتفاسير القرآن، فهم في تفسير القرآن بين غيرهم كالشامة في البدن في حسنها وظهورها، فهم فسروا القرآن على وفق تفاسير السلف، واجتهدوا، واستنبطوا من آي القرآن ما لم يؤثر فيه علم عن السلف لكن كانت على وفق العلم النافع، فإن أقوالهم في ذلك أقوال محققة، منقولة

عن السلف، أو أقوال مدعومة بالأدلة، وهذا كتفسير البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ، وتفسير ابن كثير، والتفاسير المنقولة عن شيخ الإسلام ابن تيمية، وعن ابن القيم، ونحوهم من أهل العلم في هذا العصر، فسر عدد من أهل العلم تفاسير حسنة من جنس مدرسة الأثر، أو التفاسير السلفية، كتفاسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، ونحوهم.

المقصود من هذا أن التفاسير كثرت جدا في مدارس مختلفة، فما الذي يجب على طالب العلم بالتفسير، هل يأخذ كل هذه التفاسير؟ بعضها مختصر وبعضها مطول، بعضها تفاسير موسوعية؛ مثل: تفسير الفخر الرازي، يذكر فيه كل شيء، ومثل: تفسير الألوسي (روح المعاني)، التفاسير كثيرة مختلفة فأيها يعتني به طالب العلم؟ لا شك أن العلم بالتفسير أمر مهم، والتفاسير ما بين مختصرة ومطولة، فالذي ينبغي على طالب العلم بالتفسير أن يعتني أولا بمعاني المفردات، أن يعلم المعنى للمفردة، يعني: في آية لا يعلم معنى كلمة منها، يذهب يبحث عن معنى هذه الكلمة في التفاسير المختصرة، ومن التفاسير المختصرة التي تعتني ببيان بعض الكلمات تفسير الجلالين - الجلال المحلي، والجلال السيوطي -، على بدع في تفسيرهما، ولكن العلماء في هذه البلاد قد أقروا هذا التفسير للطلاب في مرحلة المعاهد - كما هو معلوم -؛ وذلك لأن البدع التي فيه معلومة، وهي قليلة بالنسبة إلى الانتفاع الكثير الذي فيه، وإذا رام التفصيل أكثر، له أن يستزيد، يذهب إلى تفسير ابن كثير، إلى تفسير ابن جرير، إلى تفاسير أهل اللغة، وهكذا.

ثم يعتني بعد معرفته بالمفردات بقراءة كتب التفسير المختصرة - كما ذكرت لك - من تفسير الجلالين مثلا، أو إن كان عنده صبر من تفسير ابن

كثير رحمه الله، أو إذا رام المزيد في تفسير ابن جرير، وهكذا.

فإذًا العلم بالتفسير لابد أن يكون على وفق التدرج؛ لأنك إذا قرأت كتبا مطولة في التفسير، ربما استحضرت بعض المعاني، ولم تستحضر البعض، ومن المعلوم أن العناية بعلم التفسير في هذا الوقت، بل وفي طلاب العلم عندنا قليلة، ولهذا مما ينبغي أن يحفظ هذا العلم، وأن يُعتنى به؛ لأن فهم معاني كلام الله عز وجل أعز ما يكون، وإن في فهم القرآن، وفي فهم تفسير القرآن، إن فهمه من العلم ما لا يوصف، ولا يحصد، يعرفه من أقبل عليه.

فإذًا يكون طالب العلم في قراءته في التفسير يبدأ بالمختصر، ثم يتدرج، أما عن طريقتنا في التفسير - إن شاء الله تعالى -، التي سنفسر بها القرآن، فثم طريقتان:

طريقة مختصرة، وطريقة مطولة، أما الطريقة المختصرة، فهي أن يؤخذ كتاب من كتب التفسير المختصرة، ويقرأ، ثم يقرر عليه، يعني: يشرح ما غمض منه، يبين ما فيه، توضح معنى الآية، إن كان ثم مزيد على ما ذكره المفسر.

وهناك طريقة أخرى مطولة، أحسبها أنا أنفع للمتعلمين؛ لأنها وإن كانت مطولة، والتفسير الذي يقطع معها قليل، لكنها تضع أصولا لطالب العلم بالتفسير، يمكنه معها، إذا فهمها أن يقيس عليها، وأن يطلب علم التفسير على منوالها، وهي أن يؤخذ في فهم الآية بالمعنى العام أولا، بالمعنى الإجمالي الذي يحتاجه طالب العلم الذي يحتاجه طالب العلم في فهم المعنى العام للآية، وهو الذي تُعنى به بعض التفاسير، الذي يسمى التفسير

الإجمالي للآية، ثم بعد ذلك يؤتى للتفسير التفصيلي للآية في فهم معانيها ومفرداتها، وما فيها من البلاغة وتركيباتها؛ لأن في هذا من العلم بإعجاز القرآن والعلم بأنواع من العلوم المهمة: العلم بالسنة، العلم بالعقيدة في تقرير التوحيد، العلم باللغة: بالاشتقاق، بالبلاغة، بالنحو، ونحو ذلك من العلوم المهمة، التي ربما لن يهتم بها طالب العلم إلا إذا سمعها من جهة التفسير.

لهذا نقول فيمن رام تفسير القرآن ينبغي أن يكون مستحضرًا فيه أن القرآن نزل هاديًا للناس، والله ﷻ جعل القرآن نورًا، والقرآن شفاء لما في الصدور وهدى للناس وبينات، فهو مبين وهاد، وهو نور، وعلى هذا ينبغي أن يكون المفسر في تفسيره للقرآن، ينظر إلى أن المقصود منه أن يهدي الناس للتي هي أقوم: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وحال الناس في كل زمن مختلفة، كل زمن الناس فيه بحاجة إلى هداية القرآن، والقرآن يهدي للتي هي أقوم، والمفسر الذي يفسر القرآن أول ما يجب عليه أن ينظر إلى أن القرآن كتاب هداية، فيفسر القرآن ليهتدي به الناس، فإذا كان الناس في مرض في نفوسهم في قلة تعبد مثلًا، كان تفسيره منظورًا فيه إلى هذه الجهة، إذا كان الناس في ضعف من العقيدة والتوحيد وعدم معرفة بمواقع الأدلة في ذلك، فإنه يُعتنى في تفسير القرآن ببيان حق الله ﷻ وتوحيده، وما كان عليه أهل الشرك من العبادات الباطلة، وهذا لاشك أنه في هذا الزمان أحوج ما نكون إليه، كذلك إذا كان الناس في أمور في مجتمعهم، أو في أنفسهم من منكرات فاشية، أو من ضلالات فاشية، أو تفشى في الناس، فيعتني المفسر ببيان مواقع الحجج على إبطال ذلك، وإصلاح الناس، وإصلاح المجتمع

عن طريق تفسير القرآن؛ لأن القرآن نزل هاديًا للناس، وهو يهدي للتي هي أقوم، ولا شك أن العناية بالتفسير غرض كل متعلم، وما أحسن ندم شيخ الإسلام ﷫ في آخر عمره على أنه لم يشتغل طول عمره بتفسير القرآن للناس، نعم فسر القرآن في مواضع كثيرة، وما نُقل عنه من تفسير القرآن هو كالشمس ضياءً في وضوحه وبرهانه ودلالاته، لكن هو ندم على أنه لم يهدِ الناس عن طريق تفسير القرآن، وقد ذكر من ترجم له؛ كابن عبد الهادي وغيره، أنه مكث سنة كاملة يفسر سورة نوح، وهي سورة قصيرة، يفسر سورة نوح، مكث سنة كاملة يفسرها يوم الجمعة في مجلس له في التفسير، وهذا لا يكون إلا على وجه التفسير المطول، ليس التفسير الذي فيه بيان معاني الكلمات وحسب، بل التفسير المطول، الذي يعرض فيه المفسر لما يحتاجه الناس من العلم بالتفسير، وهذا - ولا شك - هو أمثل الطرق؛ لأن المقصود هداية الناس بالتفسير، وأما إسماع الناس التفسير، فإن القرآن طويل، وتفسيره يأخذ أعمارًا، خاصة إذا لاحظنا أنه في مثل هذا الزمان لا يصبر الناس على دروس يومية في التفسير، وإنما إذا صبروا، صبروا على درس واحد في الأسبوع أو اثنين في الأسبوع، وهذا لا يمكن معه أن يُفسر القرآن كاملا إلا يُقرأ كتاب مختصر في التفسير، ويُعلق عليه تعليقات يسيرة، فإنه ربما خُتم في بضع سنين.

هذا العلم بالتفسير الذي كان عند شيخ الإسلام ﷫، وورثه لأصحابه - رحمهم الله - على هذه الطريقة، هذا يحتاجه الناس ولاشك، فالقرآن هو الشفاء، وهو الهداية، من رام الهدى في غيره أضله الله، ولكن الشأن في فهم معاني القرآن. وهل كلٌ يفسر؟! هذا له مدرسة كبيرة، وهي مدرسة تفسير

القرآن بالرأي، ويُعنى بالرأي في هذا الموضع عند أهل التفسير: الاستنباط والاجتهاد، فمعنى تفسير القرآن بالرأي معناه: تفسيره بالاستنباط، والاجتهاد.

والرأي رأيان: رأي ممدوح، ورأي مذموم.

أما الرأي الممدوح، فهو: تفسير القرآن بالاستنباط وبالاجتهاد على وفق الأصول المعتبرة في الاستنباط والاجتهاد، وقد فسر الصحابة - كما ذكرت لكم - بالاستنباط، وهناك شروط لمن يفسر القرآن بالاستنباط والاجتهاد، وهذه الشروط جماعها:

أولًا: أن يكون عالمًا بالقرآن حافظًا له، يعني: مستظهرًا له، لآياته، عالمًا مواقع حججه، مستحضرًا لكثير من القراءات المختلفة فيه؛ لأن القراءات المختلفة تفسير لبعض القرآن؛ كما في قراءة مثلًا في قوله ﷻ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] فإنه في القراءة الأخرى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطَّهَّرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فهذه تفسير لقوله ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾، ﴿حَتَّىٰ يَطَّهَّرْنَ﴾ قراءة أخرى تفسير لقوله ﴿يَطْهُرْنَ﴾.

فإذًا العلم بالقرآن بحفظه، واستظهاره، ومعرفة مواقع حججه، هذا شرط أول فيمن يريد أن يفسر القرآن بالاستنباط والاجتهاد.

ثانيًا: أن يكون عالمًا بالسنة، إما أن يكون بالقوة القريبة، يعني: بالبحث أو بالملكة، يعني: يكون حافظًا للسنة ونحو ذلك، أو بالبحث، يكون عالمًا

كيف يعلم ما بينت السنة من القرآن؟ وكيف يثبت ذلك؟ يعني: أن يكون عارفًا بطريقة إثبات السنن، وهو المعروف عند أهل العلم بعلم مصطلح الحديث وعلم الرجال.

فلابد للمفسر بالاستنباط والاجتهاد أن يكون عالمًا بالسنة بالحفظ أو بالبحث، وعالمًا بطريقة إثبات السنن عن طريق علم مصطلح الحديث، والجرح والتعديل، وقواعد ذلك.

ثالثًا: من الشروط أن يكون عالمًا بلغة العرب، يعني: عنده معرفة بلغة العرب في مفرداتها، وفي نحوها، وفي علم المعاني بخصوصه من علم البلاغة، ونحو ذلك من علوم اللسان العربي الشريف، وهذه لابد منها للمفسر؛ لأن من فسر القرآن بالاستنباط والاجتهاد، وهو جاهل باللغة، فإن تفسيره من قِبَل الرأي المذموم، الذي ورد فيه النهي.

رابعًا: يحتاج المفسر أن يكون عالمًا بأصول الفقه؛ لأن أصول الفقه هي أصول الاستنباط، وأصول الاستنباط يحتاجها المفسر كثيرًا، فكثير من مواقع الاجتهاد والاستنباط إنما تكون عن طريق أصول الفقه، أرأيت مثلًا مجيء الخاص بعد العام، أو مجيء المبين بعد المجمل، أو مجيء المقيد بعد المطلق، أو مجيء النص، أو مجيء الظاهر، أو الحقيقة، أو نحو ذلك التي كلها من أصول الفقه؟ فمن لم يكن ضابطًا لأصول الفقه، فإنه لا يحسن له، بل يُذم إذا تعاطى التفسير بالاجتهاد.

هناك علوم أخر ذكرها أهل العلم، ثم ختامها وواسطة عقدها أن يكون عالمًا بكلام أهل السنة في توحيد الله ﷻ، عالمًا بالاعتقاد الحق الذي دلت

عليه النصوص من الكتاب والسنة، وأجمع عليه سلف الأمة؛ لأن هذا الاعتقاد الذي هو حق لا مرية فيه، لابد أن يُفسر القرآن على وفقه، فمن كان جاهلًا بذلك جهلًا بسيطًا، فإنه إذا فسر القرآن في آيات الاعتقاد، والقرآن - كما هو معلوم - توحيد كله، فإنه يَضل، وربما يُضل، ومن كان عنده الجهل المركب في هذا الباب وفي هذا العلم، الذي هو العلم بالتوحيد علم الاعتقاد، بأن كان يعتقد خلاف الحق من أصحاب الأقوال الزائغة، والأقوال المبتدعة، فإن هذا يحرم عليه أن يفسر القرآن وفق آرائه المبتدعة الضالة، التي ما كانت على وفق نصوص الكتاب والسنة، وإنما كانت على وفق تقديم العقل على النقل، كما هي أصول أهل البدع بأجمعهم. هذه العلوم لابد منها لمن يستنبط معاني القرآن.

الرأي الثاني: الرأي المذموم وهو قسمان:

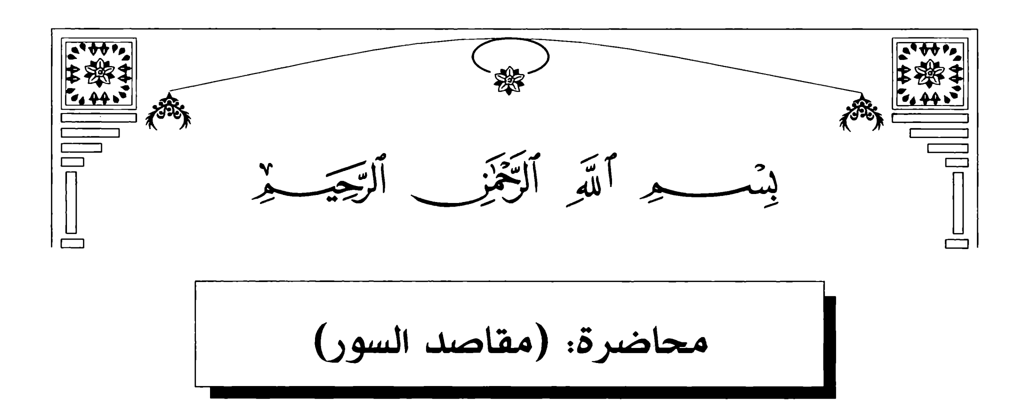
أن يفسر القرآن برأي عن جهالة، أو أن يفسر القرآن برأي باطل، إما باعتقاد له، أو نِحلة له، ونحو ذلك؛ كتفاسير أهل البدع، فتفاسير أهل البدع للقرآن هي كلها من قبيل الرأي المذموم، الذي جاءت فيه عدة أحاديث تنهى عنه، وتتوعد من فسر القرآن برأيه بأن يتبوأ مقعده من النار.

هذه خلاصة ومقدمة لما سنتعاطاه في هذه الدروس من التفسير، وفي مقدمة التفسير، أو في أصول التفسير، سنقرأ - إن شاء الله تعالى - مقدمة شيخ الإسلام في أصول التفسير، مع بيان ما اشتملت عليه من العلوم النافعة المتصلة بتفسير القرآن، وأما في التفسير نفسه، فسنبتدئ - إن شاء الله تعالى - بتفسير سورة الفاتحة، فإذا أتممناها، إما أن تختاروا كتابًا في

التفسير، وإما أن تختاروا تفسيرًا للقرآن على منوال ما ستسمعون - إن شاء الله تعالى - من تفسير سورة الفاتحة، ونرجئ الاختيار إلى الدرس القادم إن شاء الله تعالى.

أسأل الله ﷻ أن ينفعني وإياكم بالقرآن، وأن ينفعنا به، وأن يجعله حجة لنا، وأن يجعله مظللًا لنا يوم القيامة، وأسأله ﷻ أن يوفقني وإياكم للسداد في القول في تفسير القرآن، وفي فهمه؛ إنه أكرم مسؤول، اللهم إنا نسألك بصيرة في قلوبنا، وبصيرة في أقوالنا، وبصيرة في أعمالنا، ربنا لا تكلنا لأنفسنا طرفة عين، فإنه لا حول لنا ولا قوة إلا بك. وصلى الله وسلم على نبينا محمد.





محاضرة: (مقاصد السور)

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، والحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عوجًا، حمدًا كثيرًا دائمًا ما تتابع الليل والنهار، كلما حمد الله ﷻ الحامدون، وكلما غفل عن حمده - سبحانه - الغافلون، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا إلى يوم الدين... أما بعد:

فأسال ربي ﷻ - وهو المجيب لمن سأل، والمعطي لمن أقبل - أن يجعلني وإياكم ممن بارك قولهم وعملهم، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وأن يقينا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يلزمنا كلمة التقوى في الحياة والممات؛ إنه - سبحانه - جواد كريم، كما أسأل ربي ﷻ أن ينفعني وإياكم بما نسمع أو نقرأ من العلم، وأن يجعله حجة لنا، لا حجة علينا، وأن يقيمنا على دينه ما أبقانا.

ثم إن من أنواع البركة التي يفيضها الله ﷻ على خاصة عبادة أن يمن عليهم بمحبة العلم، ومحبة تدارسه، والإقبال على ذلك، وحقيقة العلم هو العلم بكتاب الله ﷻ، وبسنة رسوله ﷺ؛ إذ لا أرفع في الكلام ولا أعظم قدرًا من

كلام ربنا ﷻ، ولا أعظم ولا أرفع بعده من كلام نبينا ﷺ، فالموفق والمبارك من علِم وعلَّم، واجتهد في ذلك، حتى يصيب مما كتب الله له، و«**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له**»[1]؛ ولهذا وصف الله ﷻ كتابه بأنه مبارك، وجعل من أصناف بركته التي أنزلها سبحانه وتعالى أن أنزل هذا الفرقان؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١]، وكما قال ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [صٓ: ٢٩]، وقال أيضًا سبحانه وتعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، ونحو ذلك من الآيات، التي فيها وصف القرآن بأنه مبارك، يعني: كثير الخير لمن أقبل عليه، ففيه شفاء الصدور، وفيه شفاء القلوب، وفيه الهداية، وفيه التوفيق لمن أراد الله ﷻ أن يوفقه، وفي الآية التي ذكرنا وصف الله ﷻ كتابه بأنه مبارك، وأنه أنزله لأمرين: فقال ﷻ في سورة ص: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾ واللام هنا هي لام كي، يعني: أن العلة من إنزال القرآن وجعله مباركًا أن يتدبر العباد هذا القرآن، أن يتدبروا آياته، ثم لكي يتذكر أولو الألباب، وهذا فيه عظم شأن تدبر القرآن، وعظم شأن التذكر حين التلاوة، وهذا إنما يكون بالتدبر، فلا تذكر إلا بتدبر القرآن ولكن خص الله ﷻ في التذكر أولي الألباب، فقال: ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ وفي الحقيقة أن الذي يتذكر بعد التدبر ويقبل على القرآن هو العاقل، وهو ذو اللب، الذي بلغ الغاية في ذلك، وقد سئل أحد سادات التابعين في الكوفة - أظنه إبراهيم النخعي -، فقيل له: من أعقل الناس؟ فقال: أعقل الناس فلان الزاهد، فذهبوا؛ لينظروا من عقله، ولينظروا من أمره، فما وجدوه

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٥)، ومسلم (٢٦٤٧).

إلا مقبلًا على القرآن وعلى أمر آخرته، فعلم أن قصد إبراهيم أن أعقل الناس هو من أقبل على أشرف الكلام، وأقبل على أشرف مقصود، وهو الدار الآخرة: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣]، فحض الله ﷻ في هذه الآية على تدبر القرآن، وموضوع هذه المحاضرة أثر من آثار تدبر القرآن عند أهل العلم؛ لأن الموضوع الذي سنتناوله يبحث في علم مقاصد سور القرآن، وأثر هذا العلم بالمقاصد في فهم التفسير، ومعلوم أن التفسير إنما هو بتدبر القرآن، فالذي يعلم التفسير، لا شك أنه قد تدبر قبل ذلك، فعلم إذا كان عنده أهلية بالعلوم التي ينبغي توفرها في المفسر، والناس بعد ذلك نقلة، أو يتلقون ما قاله المفسرون، فلما حض الله ﷻ على تدبر القرآن، وجب حينئذ أن يقبل العباد بعامة، وأن يقبل العلماء بخاصة على هذا القرآن؛ ليخرجوا كنوزه؛ لأن القرآن حجة الله الباقية إلى قيام الساعة، ويخرج منه بقدر العلوم وبقدر ما فتح الله على عبده، يخرج منه من الفهوم ومن العلم ما هو تفصيل وبيان لبعض كلمات المتقدمين من الصحابة والتابعين، مما قد لا يدركها كل أحد، وهذه الجملة يأتي تفصيلها - إن شاء الله تعالى -.

فإذًا علم التفسير من العلوم المهمة، وها أنتم تستقبلون دورة علمية، أو دروسا علمية في هذا المسجد المبارك في علوم شتى، من علم التوحيد، والحديث، والمصطلح، ونحو ذلك مما هو معلوم، وعلم التفسير أيضًا أنتم بحاجة إليه؛ لأن القرآن هو أعظم ما يقبل عليه، فإذا علمت القرآن، علمت الشريعة؛ ولهذا قال طائفة من العلماء: المفسر يحتاج إلى علوم كثيرة، منها علم اللغة؛ لأن القرآن أنزل بلسان عربي مبين: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ١-٤]، واللغة أقسام، منها النحو، ومنها علم المفردات، ومنها البلاغة بأقسامها الثلاثة، ومنها الاشتقاق... إلى آخر علوم اللغة، ثم علم التوحيد الذي هو الأساس، فالقرآن كله في توحيد الله ﷻ، من أوله إلى آخره كله في التوحيد، وذلك أن القرآن إما أن يكون ما فيه خبرًا عن الله ﷻ، وعن صفاته ﷻ، وعما يستحقه ﷻ من توحيده بالعبادة، والبراءة من الشرك وأهله، ونحو ذلك، فهذا واضح في أنه في توحيد الله ﷻ، وإما أن يكون ما فيه خبرًا عن أنبياء الله ﷻ عن رسله، وعن قصصهم، فهذا خبر عن أهل التوحيد، وما جعل الله ﷻ لهم في الدنيا من الأحوال والعاقبة: ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝١٨﴾ [فصلت: ١٨].

وإما أن يكون - وهو القسم الثالث - أن يكون أمرًا ونهيًا، أمر بأداء الفرائض، ونهي عن ارتكاب المحرمات، وهذا في حقوق التوحيد ومكملاته؛ لأن من وحد الله ﷻ، أطاع الله في أمره، وانتهى عن نهيه، وتخلص من داعي شهوته وهواه.

والأمر الرابع: خبر عن الأمور الغيبية، وما يحصل بعد الممات من النعيم والعذاب، ومن الجنة والنار، ومن الحبور والسرور لطائفة، ومن العذاب والنكال لطائفة، فهذا جزاء الموحدين، وهذا جزاء المشركين، وهذا المعنى العام من العلوم المهمة للمفسر؛ لأن سور القرآن لا تخرج من هذه الأحوال الأربعة، فكل سورة إما أن تتناول هذه الأقسام الأربعة، وإما أن يكون فيه - يعني: في السورة - بعض من هذه الأقسام.

والعلم الثالث: العلم بالسنة؛ لأن السنة مفسرة للقرآن، ومبينة له.

والعلم الرابع: العلم بالفقه، وأحكام الحلال والحرام، والعبادات والمعاملات؛ لأن القرآن فيه آيات كثيرة في هذا الباب، والعلم الذي يليه علم الجزاء يوم القيامة، وأحوال الناس فيه، وهذا في القرآن منه الشيء الكثير، ثم علم أصول الفقه، والعلوم المساعدة لأصول الفقه؛ لأن بها فهم كثير من آيات الله البينات، إذا تبين لك هذا، فإن المفسر الذي تكونت عنده حصيلة راسخة من هذه العلوم يمكنه أن يتدبر القرآن، وأن يكون مستخرجًا لما فيه من الدلالات، والعبر، وموضوعات السور، ومقاصد السور - كما سيأتي بيانه - مقتفيًا في ذلك بما فسر به الصحابة والتابعون كتاب الله ﷻ.

لهذا فإن موضوع هذه المحاضرة هو موضوع في التفسير، والتفسير أبوابه كثيرة ومختلفة، ولكن قلت العناية في هذا الزمن بالتفسير؛ لأن كثيرين يظنون أنهم يعلمون كلام الله ﷻ، ولا شك أن الذي يعلم كلام الله ﷻ، ويعلم معانيه، ويدرك مراميه، وإعجازه، وبلاغته، وما فيه، فإنه سيكون ملتذًا بهذا القرآن، مقبلًا عليه، يَجْلُو قلبه، وينشرح صدره حين يقبل على هذا القرآن.

إذًا فالوصية في مقدمة هذه الدروس العلمية أن يهتم الجميع بالقرآن حفظًا وتلاوة، ثم الاهتمام بتدبر القرآن وتفسيره، عبر كتب التفسير المعتمدة، وخاصة كلام الصحابة والتابعين وتابعيهم والمأمونين من أئمة أهل العلم والدين والتفسير.

ما معنى مقاصد السور؟ العلم بمقاصد السور لم ينص عليه الأوائل، وإنما اعتبره الصحابة والتابعون بالاستقراء، اعتبروه في تفسيرهم، ولكن

لم ينص على هذا العلم بهذا الاسم إلا عند المتأخرين، وذلك شأن جميع العلوم، فإن العلوم كانت ممارسة عند السلف، ولكن لم تكن التسمية موجودة، فعلم النحو كان ممارسا، ولم يكن موجودًا، البلاغة كانت ممارسة، ولم تكن موجودة، علم أصول الفقه كان ممارسًا، استنباط الأحكام من القواعد الأصولية، ولم يكن موجودًا بهذا الاسم، وهكذا في علوم القرآن في أنحاء شتى، ومصطلح الحديث وعلوم أخرى، فما المقصود بعلم مقاصد السور؟

معلوم أن الله ﷻ هو الذي تكلم بهذا القرآن، وأن القرآن كلامه، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦]، فالقرآن كلام الرب ﷻ، ومقاصد السور يعنى بها عند أهل هذا العلم: (الموضوعات التي تدور عليها آيات سورة ما) يعني: أن سورة من السور التي في القرآن، أو أن معظم السور، أو كل السور لها موضوع ومقصد، تدور عليه الآيات والمعاني التي في هذه السورة، إذا علم هذا المقصد - يعني: هذا الغرض، هذا الموضوع -، فإن فهم التفسير سيكون سهلًا، بل سيفهم المرء كلام الأولين، سيفهم كلام المحققين بأكثر مما إذا أخذ الآيات مجردة عن موضوع السورة؛ كما سيأتي في مثال نستعرضه - إن شاء الله تعالى -.

وأصلًا في بحث مقاصد السور لم يكن بحثه في تاريخ العلم مبكرًا، وإنما بحث قبله بحث يسمى: المناسبات، والعلماء اختلفوا في موضوع المناسبات، ويعنون بها مناسبات الآي، هل الآية هذه جاءت بعد الآية لمناسبة؟ هل بين الآية الأولى والثانية رابط؟ والثانية والثالثة بينها مناسبة؟

هل هذه الآيات في نظامها بينها وبين موضوع السورة اتصال؟

هذا يبحث في علم التفسير، ويبحث في إعجاز القرآن، لهذا عد طائفة من العلماء أن من وجوه إعجاز القرآن - وهو المنزل آية، وبرهانًا، ومعجزًا للخلق أجمعين - أن من وجوه الإعجاز أن يكون للسورة موضوع تدور عليه، وأن يكون بين الآيات ترابط، هذه الآية بعد تلك، هذه القصة بعد تلك؛ لغرض معلوم، لهذا قل من يطرق هذا الموضوع من المفسرين، أو من العلماء، ولعدم كثرة طرقه أسباب منها:

أولًا: أن فيه نوعًا من الجرأة على كتاب الله ﷻ، ولهذا ذهب طائفة من العلماء إلى أن السور ليس لها موضوعات، وإلى أن الآيات لا تناسب بينها، وهذا قال به قليلون، وغلطوا في ذلك، فموضوع السورة يحتاج إلى قراءة السورة عدة مرات وتدبر ذلك، ومعرفة كلام العلماء في التفسير؛ حتى نفهم هذه السورة، ما الموضوع الذي تدور عليه؟

السبب الثاني: أن كثيرين من أهل العلم لم يتناولوا التفسير إلا عبر مدرسة تفسير الآيات، ومدرسة تفسير الآيات منقسمة إلى مدرستين: مدرسة التفسير بالأثر، ومدرسة التفسير بالاجتهاد، وكلها راجعة إلى تفسير الآية، وتفسير الكلمات في الآيات.

أما الربط بين الآيات، فلم يكن من مدارس التفسير المعروفة؛ ولذلك ما صار له ذكر، ولا قوة عند أهل العلم بالتفسير.

والسبب الثالث في عدم اشتهار هذا الموضوع: أن من تجرأ، وكتب من أهل العلم، وقال: إن للآيات تناسبًا، وإن للسور موضوعات، رد عليه

طائفة من العلماء، وغلطوه، بل رموه إلى القول على الله ﷻ بلا علم، فهاب كثيرون أن يدخلوا هذا المضمار؛ لأجل براءة الذمة؛ ولأجل ألا يحملوا أنفسهم ما لا يطيقون، وهذا مقصد صالح، ولغير ذلك من الأسباب، ولهذا نقول العلماء في موضوع ترتيب الآيات، والتناسق بين الآيات، وأن هذه الآية بعد هذه الآية لغرض، وأن هذه القصة بعد هذه القصة لغرض، وأن السورة لها موضوع ومقصد، اختلف العلماء في هذا على ثلاثة أقوال:

أما القول الأول: فهو أنه لا تناسب بين الآيات، بل تنزل الآية بحسب الوقائع، وتوضع في المصحف بحسب ما يأمر الله ﷻ جبريل به، فيأمر به النبي ﷺ أن الآية ضعها في سورة كذا، في موضع كذا، وأن هذا بحسب الوقائع، وحسب الأحوال، ولا يقتضي ذلك تناسبًا بين الآية والآية، وصلة بين الآية والآية.

والقول الثاني: أن سور القرآن لا تخلو سورة إلا ولها موضوع، وليس ثم آية بعد آية إلا وبينها تناسب وصلة، وأنه بين أول السورة وبين ختام السورة تناسب، وأنه بين آخر السورة وأول السورة التي تليها تناسب واتساق في الموضوع... إلى آخر الأسرار واللطائف في علم التفسير، مما جعلوا ذلك لا يخرج عنه شيء البتة، وهذا قول قليلين من أهل العلم، منهم البقاعي فيما صنف في نظم الدرر، والسيوطي وجماعة ممن قبلهم وبعدهم.

والقول الثالث، وهو القول الوسط، وهو أعدل الأقوال: أن سور القرآن منها سور يظهر للمجتهد، يظهر للعالم بالتفسير، يظهر له موضوعها، ويظهر بين آياتها من التناسب، فهذا إذا ظهر، فلا حرج في إبدائه؛ لأن الله ﷻ جعل

القرآن محكمًا: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١ - ٢] فالقرآن كتاب لو بحثت فيه عن خلل، لو بحثت فيه عن عدم اتساق، لن تجد ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [النساء: ٨٢].

فإذا ظهرت المناسبة، وظهر الموضوع، فلا مانع أن يقال: هذه السورة موضوعها كذا، وهذه الآية بينها وبين ما قبلها المناسبة الفلانية، بحسب ما يظهر للعالم بالتفسير وللمجتهد، دون أن يكون الهم تطلب ذلك والتكلف فيه؛ لأن التكلف في الشيء قد يفضي إلى القول في المسألة بلا علم، والاجتهاد فيما لا طائل منه، وقد يكون الاختلاف فيه كثيرًا، وهذا القول الثالث، هو القول المعتدل، الذي سلكه طائفة من العلماء بالتفسير، والعلماء بالاجتهاد، ومنهم ابن تيمية وابن القيم، وجماعة من المحققين في التفسير، ويظهر لك صوابه فيما إذا نظرت إلى الكتب المؤلفة في مقاصد السور، وتناسب الآيات والسور ونحو ذلك، فإن فيها أشياء متكلفة، وفيها أشياء يتضح حسنها، بل إذا نظرت إليها، وتدبرت ما قيل من المناسبات واتصال موضوعات السور، زادك يقينًا بأن هذا القرآن إنما هو كلام الله ﷻ، وإذا قرأت السورة، أحسست بتأثير فيها، ليس كتأثير من لم يعلم موضوع السورة، ولا تناسب الآيات فيما يذكر.

لهذا نقول: إن هذه الأقوال الثلاثة المختار منها الثالث، وهو الذي يهم أن تعتني به من كلام أهل العلم؛ لأن فيه الفائدة المرجوة - إن شاء الله تعالى - والمصنفات في هذا الباب كثيرة، حتى زعم ابن العربي المالكي - وهو من أهل الأندلس، قد اتصل بالمشرق في فترة من عمره - زعم أنه

كتب كتابًا، زعم بمعنى: قال؛ لأن زعم لا تعني التكذيب، زعم في اللغة بمعنى القول؛ كما في الحديث الصحيح: «**أَتَانَا رَسُولُكَ فَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ**»(١)، فقال العلماء: إن الزعم يستعمل بمعنى القول، المقصود من هذا أن ابن العربي المالكي صاحب أحكام القرآن، وعارضة الأحوذي، وشرح الموطأ، وكتب كثيرة معروفة، زعم أنه كتب كتابًا في مقاصد السور وتناسب الآيات والسور، وعرضه على الناس في زمانه، قال: (فرأيت الناس بطلة، لم يقبلوا عليه، ولم يهتموا له مع عظيم علمه وشرف معلومه، قال: فلما رأيت ذلك الإعراض منهم، أحرقته، وجعلته بيني وبين الله ﷻ)، وكتب أيضًا الرازي في تفسيره بعض المناسبات إلى أن وصل الأمر إلى الزركشي، فعرض في كتابه علوم القرآن، الذي هو مسمى بالبرهان، كتب فيه أبوابًا جيدة في التناسب والمقاصد، وهي قصيرة، لكن فيها تأصيلًا لهذه المسألة، ثم جمع ذلك مع تأمل البقاعي في كتابه الكبير في التفسير، الذي أسماه نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، وهو مطبوع في الهند، كتاب كبير في نحو اثنين وعشرين مجلدًا، والتزم فيه بأن يذكر مقصد السورة، وأن يذكر التناسب بين كل آية والتي قبلها والتي بعدها، والتناسب بين آخر السورة وقبلها، إلى آخر ما ذكره مما جعله متكلفًا في كثير من المواضع، حتى قال عن نفسه: إنه ربما مكث شهرًا في تأمل آية بعد آية: ما المناسبة بينها؟ وعلماء عصره منهم من رد عليه؛ لهذا التكلف الذي تكلفه في كتابه، ثم السيوطي كتب أيضًا عدة كتب في ذلك، وذكر في كتابه إعجاز القرآن، الذي هو باسم (معترك الأقران في إعجاز القرآن)، ذكر من وجوه

---

(١) أخرجه مسلم (١٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

الإعجاز العلم بالمقاصد، تناسب الآيات والسور. . . إلى آخر ذلك، فإذًا هذا العلم مبحوث عند علماء التفسير والذين كتبوا في علوم القرآن، ولكن ما بين مجيد فيه، وما بين مقصر في ذلك، وإذا تأملت هذا الموضوع، وجدت أن كثيرين من المفسرين يقولون: هذه السورة فيها الموضوع الفلاني، مثلما قال شيخ الإسلام ابن تيمية مثلًا في سورة المائدة، بأن هذه السورة كلها مختصة بعلم الأحكام: الحلال، والحرام، والعقود بخاصة، حتى قصص الأنبياء التي فيها لها صلة بالأحكام، وحتى قصة ابني آدم لها صلة بهذا الموضوع، سورة الفاتحة سميت أم القرآن؛ لأن مقاصد القرآن التي فيه هي في سورة الفاتحة، وهكذا، فإذًا من أهل العلم من نص على الموضوع والمقصد، ومنهم من عرض له بدون التنصيص، عرض له عمليا.

كيف يمكن أن يفهم المتدبر، أو المفسر الموضوع؟ يعني: إذا أراد أن ينظر: كيف يعرف موضوع الوسائل التي بها يعرف موضوع السورة؟ نذكر من ذلك بعض الأمور:

أولًا: أن ينص العلماء، أو طائفة من العلماء المحققين على أن هذه السورة في الموضوع الفلاني، مثلًا: سورة الإخلاص في توحيد الأسماء والصفات، أو في التوحيد العلمي الخبري: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [الكافرون ١] سورة الكافرون في التوحيد الطلبي - توحيد العبادة -، سورة الفاتحة في بيان محامد الرب ﷻ، سورة النحل في النعم، سورة الكهف في الابتلاء، سورة العنكبوت في الفتنة، سورة البقرة في بيان الكليات الخمس والضروريات التي تدور عليها أحكام الشريعة، وبيان عدو من أعداء الإسلام، وهم اليهود سورة آل عمران في تكميل ذلك مع بيان عدو جديد، وهم النصارى،

والحوار معهم، ثم مجاهدة المشركين، سورة النساء في بيان أحكام النساء والمواريث، وخصص ذلك بالنساء لأجل هضم الجاهلية لحقوق النساء، ونحو ذلك، ثم بيان أحكام العدو الثالث، وهم المنافقون، ثم سورة المائدة في بيان أحكام الحلال والحرام والعقود. . . إلى آخر ذلك، مما هو تفصيل للأحكام الكلية الخمس، وأحكام الشريعة التفصيلية، وهكذا في أنحاء شتى، وهذا ينص عليه طائفة من العلماء، بأن هذه السورة في الموضوع الفلاني.

إذًا نعلم موضوع السورة بأن ينص على هذا الموضوع، أو هذا المقصد للسورة بعض أهل العلم، فيقال هذه هي السورة في الموضوع الفلاني.

كذلك المناسبات بين الآي، بأن ينص بعض أهل العلم المتحققين الراسخين بأن هذه الآية جاءت بعد هذه الآية؛ لأجل كذا، لما بينهما من الارتباط، أو هذه السورة بعد هذه السورة لما بينهما من الارتباط، وهكذا.

الوسيلة الثانية لمعرفة موضوع السورة والمقصد الذي تدور عليه السورة، المقصد نعني به: الغاية، أو الموضوع الكلي الذي تدور عليه السورة، أن يكون موضوع السورة ظاهرًا من أولها، ثم والمفسر يقرأ يظهر له أن كل السورة مبني على أولها، مثلًا سورة القيامة: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [القيامة: ١ - ٢] كل ما فيها ذكر لأحوال القيامة، ثم أحوال الموت، أو وسائل الإيمان بيوم القيامة؛ لهذا بحث هنا، مثلا في سورة القيامة بحث عند من اعترض على موضوع السورة في قول الله ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧﴾ [القيامة: ١٦ - ١٧] قال طائفة من العلماء - طائفة يعني: واحد أو أكثر - قال طائفة من العلماء: إن

هذه الآيات لا صلة لها بموضوع القيامة: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ ما صلتها بموضوع القيامة؟ وما صلتها بموضوع الموت والعاقبة؟ . . . إلى آخره. طبعًا الآخرون ذكروا مناسبة ذلك، وبينوا مما هو ظاهر بين، كذلك مثلًا تأخذ سورة الواقعة: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾﴾ [الواقعة: ١-٧] سورة الواقعة صار موضعها حول تقسيم الناس يوم القيامة، ينقسمون إلى أقسام ثلاثة: السابق، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، ثم بعد ذلك أدلة تتعلق بهذا الأصل، ثم حال الناس عند النزع، وأين تذهب أرواحهم، فتلحظ من السورة أن الموضوع بيّن من أولها إلى آخرها، وهذا يتضح لك من أول السورة، فإذًا السبب الثاني أو الوسيلة الثانية لاستخراج المقصد أن يكون موضوع السورة ظاهرًا من أولها.

الوسيلة الثالثة لإدراك ذلك: الاستقراء، الاستقراء للآي من عالم بالتفسير، إما استقراء كاملًا، أو استقراء أغلبيًا، وقد ذكر علماء الأصول أن الاستقراء الذي يحتج به على قسمين:

١ - الاستقراء الكامل. **٢ - أو الاستقراء الأغلبي.**

لأنه حتى القواعد ما من قاعدة إلا ولها شواذ، فالاستقراء الأغلبي حجة؛ كالاستقراء الكلي في الاحتجاج، ولكن في القوة الاستقراء الكلي أعظم من الاستقراء الأغلبي، فإذا استقرأ الآيات، واستخرج المفسر موضوعًا، ولو لم يسبق إلى ذلك، فإن هذه وسيلة ظاهرة من وسائل إدراك المعنى، سيما إذا

كان مصيبًا فيه غير متكلف في ذلك، وهناك وسائل أخرى، إذا تبين لك ذلك، فنأتي إلى ما قد ينشطكم أكثر بعد هذا العرض النظري العلمي المقعد بعض الشيء، إلى ما ينشط أكثر في بيان مثال لمقصد السورة، ثم النظر في الآيات التي تدور حول هذا المقصد، نأخذ مثالين:

الأول: سورة الفاتحة باختصار.

والثاني: سورة العنكبوت بنوع تطويل.

أما سورة الفاتحة، فهي فاتحة الكتاب، وهي أم القرآن، وتسمى أيضًا سورة الحمد، افتتحها الله ﷻ بحمده، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، وحمده ﷻ هو الذي تدور عليه السورة، بل أول الخلق ابتدئ بالحمد، وآخر ما ينتهي إليه الخلق إلى الحمد، والناس في الأولى والأخرى بل الخلق كله من الناس وغيرهم من المكلفين وغير المكلفين يدورون بين الحمد: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سبأ: ١]، خلق السموات والأرض بالحمد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١]، وحين ينتهي الجزاء: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر: ٧٥] قيل: يعني: قال الوجود، قالت الملائكة، قالت الخلائق، بعد أن دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، واستقرت الأمور، فافتتح الله ﷻ الكتاب بحمده، كما أنه حمد نفسه على إنزال القرآن قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ [الكهف: ١]، فإذا كان كذلك، فالحمد دارت الحياة عليه، والخلق عليه، وإنزال الرسل، وإنزال الكتب، وبعث الرسل عليه؛

ولهذا صار الحمد هو أعظم ما يفتتح به الكتاب الخاتم، قال ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ لهذا إذا تأملت القرآن، وجدت أن الحمد يدور على خمسة معانٍ:

المعنى الأول: أن يحمد الله ﷻ على ربوبيته.

والثاني: أن يحمد على ألوهيته.

الثالث: أن يحمد على أسمائه وصفاته.

الرابع: أن يحمد ﷻ على خلقه سبحانه وتعالى، وإحداثه وإبداعه للكائنات.

والخامس والأخير: أن يحمد الله ﷻ على شرعه وكتابه وما أنزل، الناس الآن يقول فلان: يعني الحمد عندهم ما معناه؟ بمعنى الشكر؟ هل يدخل الحمد بمعنى الشكر في أحد هذه العناصر في أحد هذه الأقسام الخمسة للحمد؟ نعم، وهو الحمد على خلق الله ﷻ للصغير والكبير؛ لأنه ما من نعمة تسدى إليك إلا والله ﷻ هو الذي خلقها، فيحمد على ما أسدى، وعلى ما أرسل.

إذًا سورة الفاتحة تدور في موضوعها على أركان حمد الله ﷻ، والقرآن كله لو استوعب، فإنه يدور من أوله إلى آخره على أنواع حمد الله ﷻ، فإما أن تكون الآية أو السورة في حمده - سبحانه - على ربوبيته، أو على ألوهيته، أو على أسمائه وصفاته، أو على شرعه وكتابه وما أنزل، أو على خلقه وقدره سبحانه وتعالى.

ما معنى الحمد؟ قال العلماء: الحمد هو إثبات أنواع الكمالات للمحمود، إثبات أنواع الكمال للمحمود، بحيث إنه فيما أثبت له من الكمال

لا نقص له فيه بوجه من الوجوه، والله ﷻ هو المثبت له أوجه الكمال في ربوبيته، وأوجه الكمال في إلهيته، وهو المثنى عليه بأوجه الكمال في ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه، وصفاته، وفي شرعه، وتنزيله، وكتابه، وفي قدره سبحانه وتعالى، وفي خلقه.

إذا كان كذلك، قال العلماء: الحمد لله رب العالمين معناه: أي أنواع الحمد؛ لأن الألف واللام هنا للاستغراق، الألف واللام تأتي لثلاثة أنواع في التفسير، الألف واللام للتعريف، للاستغراق، للملك وللاختصاص، الأول للتعريف يشملها أن تقول: للاستغراق، للملك، للاختصاص، متى تكون الألف واللام للاستغراق؟ إذا كانت يصح أن تضع مكانها كل، الحمد لله إذا قلت: كل حمد لله رب العالمين، صح أو لم يصح؟ صح، فإذًا هي للاستغراق، فإذًا هنا نقول: الحمد لله رب العالمين هذه مستغرقة لجميع أنواع المحامد لله ﷻ، أنواع المحامد - أي: الخمسة التي ذكرنا - لله، اللام هنا الثانية هذه لماذا؟ لام للاستحقاق، يعني: كل حمد لله ﷻ فهو مستحق له سبحانه وتعالى، طبعًا (أل) التي في الحمد هذه (أل) للتعريف، واللام هذه لام حرف جر، هي التي تأتي للملك، ولتمام الملك وللاختصاص. . . إلى آخره، تأتي إلى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣] أولًا: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] هذا رجوع إلى أي شيء؟ إلى الربوبية، وقد ذكرنا لك أن من أركان الحمد ما يثني على الله به الربوبية، فقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، ثم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ هذا فيه الصفات، ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ فيه الصفات، وفيه الشرع والكتاب، وفيه أيضًا الخلق والأمر ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ فيه الألوهية ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فيه الربوبية، وفيه أيضًا القدر؛ لأنك

تستعين بمن يعين بما يحدث في ملكوته ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] النعم الدينية هي الهداية إلى الصراط المستقيم، فهو المحمود على كل نوع من أنواع الهداية للصراط المستقيم، ثم وصف قال: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، وهذا نوع من أنواع النعم التي يحمد عليها، وهي راجعة إلى أحد أركان الحمد، ثم أيضًا يفصل في ذلك في الموضوع بأشياء من نظر آخر في أنواع المحامد، وأنواع الصفات، وأنواع العبودية، أنواع الاستعانة، . . . إلى آخر ما هنالك، هذا عرض موجز لما في هذه السورة مما يدور حولها مما ذكره بعض العلماء.

المثال الثاني: سورة العنكبوت، سورة العنكبوت سماها بعضهم أو قال بعضهم: إنها تدور حول الفتنة، الفتنة ظاهرة في أول السورة قال ﷻ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ١-٣] فالفتنة ذكرت نصًا في أول السورة، الفتنة تكون بأي شيء؟ المرء يفتن بعقله، يفتن بالدنيا، يفتن بوالديه، يفتن بأهله، يفتن بطول المكث وطول العمر، يفتن بعدم وجود العذاب، يفتن إذًا عن إدراك الحقيقة بأنواع من الفتن، كلها موجودة في هذه السورة.

فإذًا في هذه السورة - سورة العنكبوت - ذكر الله ﷻ أنواع وأصول الفتن، وذكر كيف ينجو المرء من هذه الفتنة؛ لأن الحقيقة أن الحياة إنما هي ابتلاء وفتنة، وقد قال النبي ﷺ - كما في حديث عياض بن حمار، الذي رواه مسلم في الصحيح - قال ﷺ: «**قال الله تعالى يا محمد إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ**

بِكَ»(١) فحقيقة الحياة أنها فتنة، والفتنة هل هي بالشر أو بالخير؟ هي بالشر والخير معًا: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥] إذا هذه السورة ذكر الله ﷻ في أولها ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ الناس يشمل من؟ يشمل المؤمن، ويشمل الكافر، يشمل الكبير، ويشمل الصغير، يشمل جميع الطبقات في تعاملها مع الجميع: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ [العنكبوت: ٢].

تقول: مؤمن، فمتى يصدق الإيمان؟ إذا عرضت لك الفتنة، فنجوت منها بشرع الله ﷻ، فقد تفتتن بنفسك، هناك واحد يفتتن بجماله، يفتتن بحسنه، امرأة تفتتن بما عندها، رجل يفتتن بماله، أحد يفتتن بوالديه، لذلك تجد أن في هذه السورة ذكرًا لجميع أنواع وأصول الفتن، والجواب على ذلك، خذ مثلًا في أولها قال الله ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ [العنكبوت: ٨] لاحظ الوالدان يفتنان، يجاهدان للشرك، يجاهدان ليشرك العبد، هذه أليست فتنة؟ فتنة عظيمة، وقد ذكر المفسرون أنها نزلت في قصة سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه، لما أرادته أمه على الكفر والشرك، ومع ذلك قال الله ﷻ: أن يصاحب والديه حسنًا؛ لكن لا يطيع، قال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨﴾ [العنكبوت: ٨]، وقال في أولها: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ﴾ [العنكبوت: ٨] هذه فتنة عظيمة فما المخرج منها؟ المخرج منها في تحقيق شرع الله، ألا تطيع في الكفر،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه.

والشرك، أو في معصية الله، لكن تصاحب بالحسنى، ومن الناس من تعرض عليه الفتنة، فيصاحب والديه لا بالحسنى، ولكن بالعقوق، ويكون قد وقع في بعضها، لكن من يصبر على هذا الأمر العظيم، وهو أن يصاحب بالحسنى، وألا يطيع، هذه هي النجاة في الفتنة في هذه الحال.

من أنواع الفتن: أن يكون أناس كثير يكفرون بالله ﷻ، لا يؤمنون، فيأتي المرء، فيظن أنه وأهل الإيمان قليل، أن الكفار، أو المنافقين، أو المجرمين أو العصاة أنهم كثير، كيف هو يستقيم؟ كيف يثبت؟ هذا نوع من الفتنة، يعرض على القلوب، وقل من الناس من يثبت، ينظر الناس كلهم كذا، وفي هذه السورة الخبر، وفيها العلاج، فاقرؤوا وتأملوا.

من الفتن أيضًا التي ذكرت في هذه السورة: أن الإنسان ينظر إلى طول مكث أعداء الله وأعداء رسوله ﷺ، ينظر إلى طول مكثهم في الأرض يتمتعون بالقوة، إلى طول مكثهم، وهم الذين يسيطرون من أعداء الله الكفار والمشركين، فربما يحمله ذلك على أن تزين له الدنيا، وأن يصد عن سبيل الله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [العنكبوت: ٨] ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ﴾ [البقرة: ٢١٢]، هذه في سورة البقرة، وفي هذه السورة في سورة العنكبوت ذكر الله ﷻ:

أولًا: قصة نوح ﵇ في آيتين، ما مناسبة هاتين الآيتين لموضوع السورة؟ هو الفتنة، قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ

إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٤ - ١٥] قصة نوح في آيتين ما مناسبتها؟ طول هذا المكث، تسعمائة وخمسين سنة وهو يدعوهم، والمؤمن قليل كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠] قال بعض العلماء: كان المؤمنون ثلاثة عشر نفسًا، وقال آخرون: كانوا بضعة وسبعين من الرجال والنساء، مكث ألف سنة والشرك بالله ﷻ يعلو، عبادة الأوثان: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، وشرك بالله، وهذا ينصحهم، ويدعوهم ليلًا ونهارًا، وسرًا وجهارًا، ولا مستجيب ألا هذه الفئة القليلة، إلا يحصل للقلوب فتنة؟ يحصل فتنة، ليست مرور عشر، عشرين سنة، خمسين سنة، مائة سنة، مرت مائتان، ثلاثمائة، أربعمائة، خمسمائة، ألف سنة إلا خمسين عامًا، وثم جاء فرج الله ﷻ.

إذًا فقد يفتتن المرء بطول مكث الأعداء، فهذه السورة نبهت المؤمن الصادق: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨] ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١١]، وقال في الآية التي قبلها: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [العنكبوت: ٨] ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ١ - ٣].

متى يعلم؟ إذا عرضت الفتن، فنجا، فإذًا موضوع السورة عندنا الفتنة،

حتى قصة النبي كان مرجعها إلى الفتنة، بما ينجيك أنت من الفتنة التي تطاولت بعض الناس، يظن أن أمر الله ﷻ يحصل له كما يريد، لا، حكمة الله ماضية، الله ﷻ يبتلي كما ابتلى نوحا عليه السلام وقومه بأنه مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، ومع ذلك لم يستجب منهم إلا القليل، هذا نوع من الافتتان المخرج منه في هذه السورة، وهو الصبر ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨] ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٥] قصة إبراهيم عليه السلام يوجد نوع من الفتنة: فيمن يجادل فيمن يحاور، فيمن يذكر، لا يستسلمون، وإنما يكيدون، ويتخذون أشياء للمودة وللدنيا: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [العنكبوت: ٨] ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ [العنكبوت: ٢٥] فإذًا هناك محاولات... إلى آخره، وهذه يحصل فيها نوع افتتان، قل من يصبر على الحق، ويمكث عليه، وألا يتأثر بهذه الفتنة في الشبه التي يلقيها المشركون، أو التي يلقيها الكفار، وهذه الشبه تتجدد بتجدد الأزمان، بعدها ذكر الله ﷻ قصة لوط عليه السلام، وفيها الافتتان بالشهوة، الافتتان بشهوة الرجال، التي هي مناقضة للفطرة، وأيضًا شهوة بأنواعها، والإعلان بها، وأنه لا ضرر منها، ومن نهى عنها، إنما هو الذي يهجن، وهو الذي يرد عليه، نهاهم: ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، ولكن قالوا له: ﴿ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] فتنة بأن زوجة لوط عليه السلام، التي هي في بيته، كانت

ممن وقعوا في شراك أولئك، فتدل الرجال على الرجال الذين يأتون لوطًا، أو نحو ذلك: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٣] هذا نوع من الفتنة بالشهوة، الشهوة ما المخرج منها؟ المخرج منها بأن يعلم الإنسان أنها فتنة، الشهوة التي في جسم الإنسان أرادها الله ﷻ لبقاء النسل، ولأن يختبر العبد: هل يصبر أم لا يصبر؟ هل يتحمل، ويسير على ما أراد الله ﷻ، أم يتبع نفسه هواها، ويطلق الحبل على ما يريد؟ فصارت الفتنة، فأوقع الله ﷻ العقوبة بمن لم ينتهوا عن نهيه ﷻ.

من الفتنة أيضًا أن يكون الناس في علم، وأن يكون المجتمع يعلم، ولكنه لا يأبه بالعلم، الجاهل يعلم، لكن من يعلم، أو من ينتشر، المجتمع الذي ينتشر فيه العلم، ويعلم الناس الحدود، ويستبصرون، ولكن مع ذلك يخالفون أليست هي فتنة؟ العلم لم يكن إذًا في حقهم نعمة، بل كان فتنة، ولهذا ذكر الله ﷻ أن عادًا وثمودَ كانوا علماء، علموا، وكانوا مستبصرين، لكنهم مع ذلك خالفوا فقال ﷻ: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٨] زين لهم الشيطان أعمالهم، وصدهم عن السبيل، وكانوا مستبصرين، هل كانوا يجهلون؟ لا، كان العلم قاصرًا؟ لا، يعلمون، ولكن زين لهم الشيطان أعمالهم، فصدهم عن السبيل، والحالة أنهم كانوا مستبصرين، على بصيرة، وهذه فتنة عظيمة أن يكون المرء على علم، فيطيع الشيطان، ويترك العلم الموروث عن الرب ﷻ وعن نبيه ﷺ.

القوة أيضًا فتنة، المجادلة والحوار فتنة، الآن يطرح في كثير من الأحيان مباحث الحوار: الحوار مع النصارى، الحوار بين الحضارات، الحوار بين

الديانات، الحوار بين المذاهب، الحوار بين الملل. . . إلى آخره، وهذا الحوار نوع من أنواع الفتنة، والآن تبثه بعض القنوات الفضائية؛ لأن فيه تأثيرًا على من قلبه ضعيف، يرى مللًا ونحلًا، وهذا يعبد كذا، وهذا يعبد كذا، قد يشك، ويفتتن، لكن المؤمن الصادق يعلم أن هذا التنوع، وهذا التعدد، وهذا الاختلاف إنما هو دليل من أدلة أن الحق واحد، وأن هؤلاء - كما قال الله ﷻ: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٣-٤] - أرادوا الطريق إلى الله ﷻ، فأخطؤوه، لكن موضوع الحوار يحاور المرء أولا يحاور، يجادل أم لا؟ هذه قد تعرض على المرء هذه الفتنة، ولكن من الذي يجادل؟ من عنده علم، وليس كل أحد؛ لهذا ذكر - كما يعلم بعضكم - أن أناسا جادلوا، إما جادلوا ملحدًا، أو جادلوا غير مسلم، أو نصراني، أو يهودي، أو جادلوا صاحب ملة من الملل، أو مذهب من المذاهب الضالة، أو نحو ذلك، فربما غلبوا، أو ربما كانوا أقوى، فوقع الافتتان في الناس، الله ﷻ في هذه السورة بين أن الفتنة تقع إذا لم يكن الحوار من عالم، وبالتي هي أحسن، فقال ﷻ: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٞ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝٤٦﴾ [العنكبوت: ٤٦] إلى أن قال الله ﷻ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَۚ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

فمثال سورة العنكبوت في أثر فهم المقصد، أو موضوع السورة على العلم بالتفسير.

فذكر ﷻ النهي عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، لكن ممن؟ ممن هو عالم بالقرآن: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَۚ﴾

ولهذا من لم يعلم القرآن، وحجج القرآن، وبينات القرآن، والبراهين التي في القرآن، وكيف جاء في القرآن من الحوار مع الملحد، من الحوار مع المتجبر، ومع الطاغوت، ومع الناس بجميع أصنافهم؟ من لم يعلم ذلك، فإنه لا يصلح للحوار، فليس كل أحد يحاور برأيه وبفكره، وإنما الحوار للعلماء، الحوار كما يسمى، أو المجادلة كما في القرآن، هذه إنما هي لأهل العلم الذين يعلمون حدود ما أنزل الله على رسوله ﷺ.

فإذًا تقع الفتنة بالمجادلة، يقول: جادلني، لماذا أنت ما تجادلني؟ ويبدؤون يبحثون في الجدال والحوار، ويبحثون القضايا، هذا نوع افتتان للعامة، فإذًا لا بد هنا أن ينظر المرء في هذه الحال، أن يكون معتزًا بدينه، وأن يعلم أن القرآن هو الحق، وأنه من كان في صدره، فهو الذي على الحق؛ لأن القرآن حجة ماضية على الجميع، ولهذا قد يكون المرء لا يعلم بعض الحجج، فإذا كان كذلك، فإنه يقول كما قال الله ﷻ: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وهذه المجادلة الإجمالية، ثم التفصيل عند من يعلم القرآن ويعلم الشريعة.

من الفتن التي ذكرت أيضًا في هذه السورة أن يجعل الله ﷻ الحياة جميلة بلهوها، ولعبها، وما فيها من الملذات، حتى ينسى المرء الآخرة، قال ﷻ في آخر السورة: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ﴾ [العنكبوت: ٦٤]؛ لأن كثيرين من الناس افتتنوا بالحياة، لهو ولعب، ويظن أنها ستمتد به، ولا يعلم حقيقة الحياة، قال الله ﷻ بعدها: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤] الحيوان هذا صيغة مبالغة من الحياة، يعني: الدار الآخرة، يعني: الجنة والنار هي ذات الحياة الباقية الكاملة، فمن أراد قمة

النعيم وكمال النعيم والتلذذ، فهو في الجنة في الآخرة، ومن أراد الهرب من المؤذيات، فالمؤذيات كلها في النار، والذي يريد الهرب أن يهرب من النار، ولهذا قال طائفة من العلماء: ما ذكر الله ﷻ في القرآن - هذه ذكرها ابن الجوزي وجماعة -، ما ذكر الله ﷻ في القرآن من أنواع نعيم الدنيا؛ لتنظر إلى نعيم الدنيا، ولتتذكر به نعيم الآخرة، فكل مثال في الدنيا للنعيم أو للتلذذ هو حجة عليك في تذكرك نعيم الجنة، وكل مثال في الدنيا لأنواع المؤذيات، ولو كانت حشرة صغيرة، أو كان حرًا يسيرًا، فهو مثال يذكرك الله ﷻ به لما يكون في الآخرة من النكال، ومن العذاب، ومن الحرمان، فمن أراد حقيقة الحياة والسعادة، فليبحث عن السعادة الأبدية، والحياة الدنيا هذه باللهو واللعب: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ تحدث فتنة، ما افتتن الناس إلا باللهو واللعب في هذه الحياة الدنيا، لماذا قست القلوب؟ لأجل أن الناس أقبلوا على اللهو واللعب، لماذا أعرضوا عن الآخرة؟ لأنهم أقبلوا على اللهو واللعب، لماذا قل نصيبهم من القرآن؟ لأنهم أقبلوا على اللهو واللعب، والجاد العاقل هو الذي ينظر إلى قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ من الفتن التي ذكرت في هذه السورة، وذكر فيها المخرج من الفتنة، الفتنة بالأمن، أمن الحرم؛ أمن ما حوله، يحصل الأمن سنوات، وسنوات، وسنوات، فيغتر الناس بأننا لن يصيبنا ما أصاب غيرنا، الزلازل تصيب الآخرين، أما أهل الحرم، فلا تصيبهم، الموبقات: ضيق المعيشة، النكد يصيب الآخرين، أما أهل الحرم، فيقولون: نحن أبناء الله وأحباؤه، أو يقولون: نحن الخاصة، أو يقولون، أو يقولون، قال ﷻ في بيان هذه الفتنة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا﴾

في آخر السورة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧] هذا لفت النظر إلى هذا النوع من الإنعام من الله ﷻ، وألا يكون هذا الإنعام افتتانًا، ألا يكون هذا الإنعام سببا للافتتان بهذه النعمة، وهذا الرخاء الذي جعل الله ﷻ أهل مكة فيه زمن النبوة، وما شاء الله من الأزمان بعده، قال ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ ما الغرض من هذا؟ ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧] أفبالباطل يؤمنون بعد هذا الإنعام؟ يؤمون بالباطل، وبالشرك، والكفر، وإنكار رسالة محمد ﷺ، وطاعة الشياطين، أو بما هو دون ذلك من المعاصي والموبقات والآثام ﴿وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ من الذي أنعم؟ الله ﷻ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

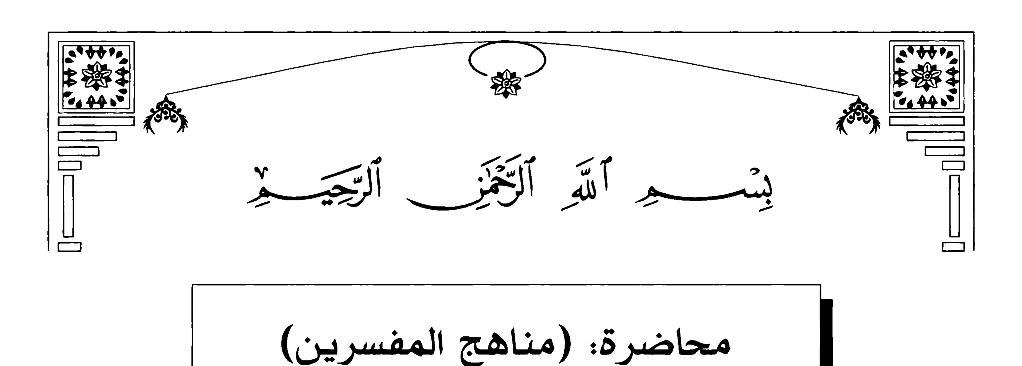
إذًا من الافتتان الذي قد يصيب الله به بعض العباد - كما ذكر في هذه السورة -، أن يظن العبد أن البلاء إنما هو للآخرين، وأما هو، لن يبتلى، نقص الرزق يكون لفلان من الناس، أما هو، لا، المرض يكون لفلان، أما هو، لا، الإصابة بالأمراض الشديدة - أجارنا الله وإياكم منها - إنما يصاب به الآخرون، أما هو، صاحب صحة وعافية، السكتة، الغضب... إلي آخره، يصاب به الآخرون، أما هو، لا يتذكر؛ قال ﷻ في بيان هذا المثال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ هذه أمثلة من أنواع الافتتان وأنواع البلاء، وما في هذه السورة مما يتصل بهذا الموضوع، ثم يتعانق في هذه السورة الابتداء مع الختام، ليدلك علي قول من قال من أهل العلم: إن موضوع السورة يتعانق فيه البداية مع النهاية، فقال ﷻ في بدايتها: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ

مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣] ما المخرج في جميع هذه الحالات؟

الجواب في آخر السورة، في آخر آية: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩] موضوع مقاصد السور، وأثر ذلك في التفسير له شعب من جهة التنظير، وله أيضا شعب من جهة التطبيق، وإذا تأملت ما ذكرت من هذين المثالين في سورة الفاتحة، وسورة العنكبوت يكون لك به نظرة ورؤية إلى ما يذكره العلماء في موضوعات السور، وما تشتمل عليه.

إذًا كما اتضح لك الآن أن فهم آيات سورة العنكبوت الآن تقرؤها، ربما يكون لك تدبر آخر، يكون تأثرك بالسورة، وبالنظر فيها آخر ترى الآيات غير ما كنت تقرأ سابقا، لماذا؟ لأنه اتصل عندك الموضوع، وفهمت هذه الآية، ولماذا أتى بقصة النبي فلان؟ ولماذا أتى بقصة النبي الآخر - عليهم جميعا السلام - ؟ إلى آخر ما هنالك، فإذًا هذا الموضوع - وهو موضوع مقاصد السور - من العلم النادر العزيز؛ لكنه مهم لكل طالب علم التفسير بقدر ما ذكرنا، وهو أن ينص أحد من العلماء على المقصد والموضوع، وأن يكون ظاهرًا في دور آيات السورة عليه، أسأل الله ﷻ أن يبارك لي ولكم فيما سمعنا، وأن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهله وخاصته، وأن يزيدنا منه علمًا، وأن يذكرنا منه ما نسينا، وأن يجعلنا من المحلين لحلاله، المحرمين لحرامه، المعتقدين لما فيه من الغيب، إنه سبحانه جواد كريم، كما أنني في الختام أرجو لكم جميعًا في إقبال هذه الدروس العلمية أن تنتفعوا من أصحاب الفضيلة المشايخ الذين يشاركون فيها - جزاهم الله خيرًا -، وأنا

بهذه المناسبة أشكر كل الأخوة في هذا المسجد من إمام المسجد الأخ خالد الزريقي، وجميع الإخوة الذين معه، وكذلك أصحاب الفضيلة الإخوة المشايخ الذين يشاركون في هذه الدورة على ما يتعبون، ويبذلون، وفي الجلوس للإخوان في طلب العلم؛ لأننا في زمن نحتاج فيه في بذل الدعوة، وبذل العلم إلى جهاد، أما الراحة، الوقت واسع للراحة، لكن نحتاج إلى بذل وبذل، كل في مجاله، وكل فيما يستطيعه، أسأل الله ﷻ للجميع الهدى والتوفيق، وأن يبارك في الجهود، وأن يجعلنا من المتعاونين على البر والتقوى؛ إنه سبحانه ولي ذلك، كما أسأل ربي - سبحانه - أن يوفق ولاة أمورنا لكل خير، وأن يرزقهم البطانة الصالحة التي تذكرهم بالخير، وتدلهم عليه، وأن يبارك فيما يعلمون من الخير، وأن يجعلهم هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين، كما أسأله ﷻ أن يباعد بيننا وبين سبل المضلين، وأن يرد كيدهم إلى نحورهم، إنه - سبحانه - على كل شيء قدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.



محاضرة: (مناهج المفسرين)

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، وهو القائل: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فهذه الدورة متخصصة في التفسير وعلوم القرآن، وإن من مباحث هذه الدورة: الكلام على مناهج المفسرين، والكلام على مناهج المفسرين مهم؛ لأن التفاسير لكتاب الله ﷻ كثرت جدًا، حتى بلغت أكثر من مائة من التفاسير الموجودة بين يدينا اليوم، والتفاسير المفقودة كثيرة، والتي لم تطبع أيضًا كثيرة، وهكذا.

فلا بد لطالب العلم الذي يحرص على معرفة معاني كلام الله ﷻ أن يعلم مناهج أولئك المفسرين وطرائقهم، حتى إذا راجع تفسيرًا لأحد أولئك، يعلم ما يتميز به ذلك التفسير؛ ويعلم منهج المؤلف؛ حتى لا يضيع بين كثرة التفاسير.

مناهج المفسرين: المقصود بها: الطرائق والخصائص التي يتميز بها

التفسير، فمناهج: جمع منهج، والمنهج والنهج هو الطريق الملتزم، يعني: أن مناهج المفسرين هي: الطرق والشروط التي اتبعوها في تفاسيرهم، والمناهج هذه متنوعة متعددة.

والمفسرون منهم من يذكر شرطه في تفسيره، ومنهم من لا يذكر ذلك، فإذا كانت المناهج هي الطرق التي سلكها المفسر في تفسيره، فأصبحت قواعد له في التفسير، أو أصبحت مميزات وخصائص له في تفسيره هذه المناهج كيف تعلمها؟ مثلًا: كيف تعلم منهج ابن جرير في تفسيره، أو منهج القرطبي، أو منهج ابن كثير في تفسيره... إلى آخر تلك التفاسير؟

لمعرفة المنهج أحد طريقين:

الطريق الأول: أن ينص المفسر على شرطه في التفسير في أول تفسيره، أو أن ينص عليه في مواضع متفرقة من تفسيره مع خطبة الكتاب.

فإذا نص على شرطه - كما نص ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ على شرطه وطريقته في التفسير في أول التفسير، وكما نص القرطبي على ذلك بوضوح؛ حيث قال: وشرطي فيه أني كذا وكذا، وكما نص عليه أبو حيان الأندلسي في كتابه البحر المحيط، وهكذا في عدد من التفاسير ينص المفسر على شرطه في تفسيره - فإذا نص المفسر على شرطه في تفسيره، صارت تلك الشروط المنصوصة منهجًا له؛ فنقول: منهجه في التفسير كذا وكذا، بناءً على شرطه الذي نص عليه في تفسيره.

والطريقة الثانية: أن يعلم شرطه في تفسيره، ويعلم المنهج عن طريق الاستقراء.

والاستقراء - كما هو معلوم - قسمان: استقراء تام أو أغلبي، والنوع الثاني: استقراء ناقص.

والاستقراء حجة إذا كان تامًا، أو أغلبيًا؛ لأنه يكون دالًا على صحة ما بُحث بالاستقراء، فإذا استقرأ أحد أهل العلم تفسيرًا من التفاسير، وقسم طريقة ذلك المفسر: في العقيدة يسلك هذا الطريق، وفي الحديث والأثر يسلك هذا الطريق، وفي النحو يسلك هذا الطريق، وفي الإسرائيليات يسلك هذا الطريق، واستقرأ ذلك استقراءً تامًا، بتتبع التفسير من أوله إلى آخره، أو استقرأه استقراءً أغلبيًا، فنقول هنا: منهجه في التفسير كذا وكذا.

أما إذا كان الاستقراء ناقصًا، فتش في التفسير صفحة، وصفحتين، وثلاث، أو مجلد ومجلدين، ولم يستقرئ التفسير بتمامه، فلا يجوز أن يعتمد على ذلك الاستقراء الناقص، ويقال: طريقة فلان في التفسير كذا، أو طريقة التفسير الفلاني كذا؛ إذ لابد لكون الاستقراء حجة، أن يكون استقراءً تامًا أو أغلبيًا، كما هو مقرر في موضعه من علم أصول الفقه.

فإذًا وجدت شروط ومناهج للمفسرين، عرفنا تلك المناهج عن طريق شرط المؤلف، أو عن طريق الاستقراء التام أو الأغلبي.

وإذا لم يمكن الاستقراء، ولم يوجد الشرط، فنستعمل عبارة أخرى غير منهج المفسر في تفسيره كذا، وكذا نقول: تميز التفسير الفلاني بكذا، وكذا، من خصائص التفسير الفلاني كذا وكذا، من خصائص الدر المنثور كذا، وكذا، تميز الدر المنثور بكيت، وكيت من الطريقة، فإذًا: نعدل عن استعمال لفظ المنهج إلى لفظ المميزات والخصائص، إذا لم يكن مشروطًا،

أو إذا لم يكن مستقرأ استقراءً تامًا أو أغلبيًا .

والنبي ﷺ أنزل عليه القرآن على سبعة أحرف، فثبت عنه بالتواتر ﷺ أنه قال: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»(١)، ونزول أي القرآن على سبعة أحرف عليه ﷺ، فإن ذلك يستفاد منه في التفسير فوائد كثيرة.

والنبي ﷺ لم ينقل عنه من التفسير الشيء الكثير، وإنما نقل عنه تفسير كثير من الآيات، ولكنه ليس بالأكثر، والصحابة رضي الله عنهم نقل عنهم من التفسير أكثر مما نقل عن النبي ﷺ، فالنبي ﷺ فسر آيات كثيرة بحسب الحاجة، ففسر مثلًا قوله ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] بأن الزيادة هي النظر لوجه الله الكريم ﷻ، وفسر قوله سبحانه وتعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] بأن المغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارى.

وكذلك فسر ﷺ قوله ﷻ: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] بأن القوة الرمي، ففي الصحيح عنه ﷺ قال: «أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ»(٢)، وهكذا في أشياء من هذا القبيل.

كما فسر الخيط الأبيض والخيط الأسود في قوله ﷻ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] بأن الخيط الأبيض والخيط الأسود هو سواد الليل وبياض الصبح أول ما ينفجر(٣).

الصحابة رضي الله عنهم كانوا يهابون أن يسألوا رسول الله ﷺ عن التفسير، وكانوا

---

(١) سبق تخريجه (ص٣١).

(٢) سبق تخريجه (ص٢٢٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٩١٦)، ومسلم (١٠٩٠) من حديث عدي رضي الله عنه.

يعلمون أكثر معاني كلام الله ﷿، وذلك لأنهم ﵃ شهدوا التنزيل، ومشاهدة التنزيل ومعرفة أسباب النزول تورث العلم بمعاني الآيات، فكما هي القاعدة عند أهل العلم أن معرفة السبب يورث العلم بالمسبب.

ثانيًا: الصحابة ﵃ في عهده ﷺ كانوا يرتحلون معه، يغزون معه، يجاهدون معه، ويسمعون كلامه ﷺ من جهة السنة، فالسنة مفسرة للقرآن، كذلك ما يعلمونه من تنوع الأحرف، وأن هذه الآية أتى تفسير لها في الحرف الآخر من القرآن، أو أتى تفسيرها في موضع آخر من القرآن، كما نقول مثلًا في قوله ﷿: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، في أولها قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ هنا هل يكتفي في جواز إتيان المرأة الحائض أن تطهر أم لا بد أن تغتسل؟ لا بد لهذا من تفسير، في القراءة الأخرى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ في شواهد كثيرة لذلك، يعني: أن القرآن يفسر بعضه بعضًا، والقرآن منه الأحرف السبعة التي أنزلت على النبي ﷺ، ومن الأحرف السبعة القراءات السبع المعروفة، والعشر التي بقيت في الأمة من مجموع الأحرف السبعة.

فإذًا القرآن يفسر بعضه بعضًا، والصحابة ﵃ كانوا يرجعون الآية التي يحتاجون إلى تفسيرها إلى موضع آخر، أو إلى قراءة أخرى، فيتضح المعنى لهم، وهم أهل تدبر للقرآن؛ لأنهم امتثلوا قول الله ﷿: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

بعد عهده ﷺ كثر التابعون، واحتاج الناس إلى أن يفسر لهم القرآن، وسبب زيادة التفسير في عهد الصحابة عن عهد النبي ﷺ أن الحاجة إليه

دعت، وذلك أن الصحابة مع النبي ﷺ كانوا يشهدون التنزيل، ويعلمون كثيرًا من السنة، ويعلمون القرآن والأحرف، وذلك بخلاف زمن التابعين، فإنهم كانوا أقل في ذلك من الصحابة رضي الله عنهم؛ فلذلك احتاج من بعدهم إلى أن يفسر الصحابة رضي الله عنهم لهم ذلك.

أيضًا من المهمات في التفسير التي تميز بها الصحابة رضي الله عنهم في عهده ﷺ وبعد عهده، العلم بلغة العرب؛ لأن القرآن أنزل بلسان عربي مبين، ومن سبل فهم هذا القرآن أن يكون المتدبر له على علم بلغة العرب، فلغة العرب سبيل فهم القرآن؛ لأن القرآن جاء بلسان العرب؛ قال عز وجل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٤]، فاللسان يبين معنى الكتاب معنى ما أنزل الله عز وجل، ولهذا يحتاج الصحابة إلى معرفة موارد الكلمة في القرآن في لغة العرب، فيفسرونها بما دلت عليه في اللغة، وعمر رضي الله عنه - على سبيل المثال في ذلك - لما كان يتلو سورة النحل في يوم الجمعة على المنبر وقف مرة عند قوله عز وجل: ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٤٧] قال عمر: ما التخوف؟ كأنه أشكل عليه معنى التخوف في هذه الآية، فقام رجل من المسلمين، فقال له: يا أمير المؤمنين، التخوف في لغتنا التنقص، قال شاعرنا الكبير الهذلي[(١)]:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرِدًا ... كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ

وابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت لا أعلم معنى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ١٤] حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها

(١) سبق عزوه (ص١٥٤).

- يعني: ابتدأتها - قبله، ففهم منها معنى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني: ابتدأهما على غير مثال سابق لهما، وابن عباس له في الاحتجاج بالشعر وباللغة الميدان الواسع، وبمطالعة قصته مع نافع بن الأزرق وصاحبه(١)، وأسئلة ذينك الرجلين لابن عباس يتضح هذا، فإنهما رأيا ابن عباس رضي الله عنهما يفسر القرآن، ولا يُسأل عن آية حتى يفسرها، وهو في ذلك حري لدعاء النبي ﷺ له بذلك، فقال نافع لصاحبه: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن، نسأله عن مصادقه من لغة العرب، فأتيا ابن عباس، فقالا له: يا ابن عباس، إنا سائلوك عن آي من القرآن لتخبرنا بمعناها، على أن تبين لنا مصادق كلامك من كلام العرب، فقال: سلا عما بدا لكما. قالا: ما معنى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] في سورة المائدة ما الوسيلة هنا؟ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: الوسيلة: الحاجة.

فقالا له: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، ألم تسمعا إلى قول عنترة(٢):

إنّ الرجالَ لهم إليكِ وسيلةٌ ... إنْ يَأْخذوكِ تكحَّلي وتخضَّبي

قالا: فما معنى قول الله عز وجل: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المعارج: ٣٧] ما العزون؟ فقال ابن عباس: العزون الجماعات في تفرقة، جماعة هنا، وجماعة هنا، وجماعة هنا، فقالا له: وهل تعرف العرب ذلك؟ - هما

---

(١) سبق عزوه (ص٣٠).
(٢) سبق عزوه (ص١٥٥).

يسألانه ليس للاستفادة من ابن عباس، ولكن ليحرجاه - فقالا له: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، ألم تسمعا إلى قول الشاعر[١]:

فجاؤوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا

واحتجاج الصحابة ﷺ في التفسير بلغة العرب كثير في ذلك.

فإذًا يكون عندنا هنا أن مصادر الصحابة ﷺ في التفسير عدة، فمن مصادرهم في التفسير القرآن بأحرفه السبعة وبالقراءات؛ لأن القرآن يفسر بعضه بعضًا؛ لأنه مثاني، ومن مصادر الصحابة في التفسير: السنة - يعني: سنة النبي ﷺ -، فإن النبي ﷺ فسر لهم آيًا تنصيصًا، وسنته تفسر لهم آيات كثيرة من القرآن لا على وجه التنصيص.

كذلك من مصادر التفسير عند الصحابة ﷺ أسباب النزول؛ لهذا قال ابن مسعود ﷺ: ما من آية أنزلت إلا وأنا أعلم متى أنزلت، وأين أنزلت، والله لو أن أحدًا على ظهر الأرض عنده علم بالقرآن ليس عندي تبلغه المطى لرحلت إليه، وابن مسعود كان من أعلم الصحابة بأسباب النزول، وهكذا غيره.

فمن مصادر التفسير عند الصحابة أنهم كانوا يعلمون أسباب النزول، كذلك معرفتهم بلغة العرب، فإنهم كانوا أهل علم باللسان العربي، كما ذكرنا لكم شواهد ذلك.

كذلك من مصادر التفسير عند الصحابة ﷺ العلم بأحوال العرب؛ لأن

(١) سبق عزوه (ص١٥٤).

القرآن نزل يفصل أحوال الناس، ففيه حديث عن مشركي العرب، فيه حديث عن أهل الكتاب، فيه حديث عن أنكحة العرب، فيه حديث عن بيوع العرب، فيه حديث عن علاقات القبائل بعضها ببعض، وهكذا في أشياء شتى، فالعلم بأحوال العرب، العلم بتاريخ العرب، بقصص العرب، هذا يورث العمل بمعاني القرآن، مثلًا في قول الله ﷻ: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]، أمر بإتيان البيوت من الأبواب، وترك إتيان البيوت من ظهرها، بمعرفة تاريخ العرب وحال العرب في ذلك نعلم معنى هذه الآية.

كذلك فيما يتعلق بالأنكحة، كذلك فيما يتعلق بأحوال البيوعات والتجارات التي كانت عند العرب، وهكذا في أنحاء شتى.

فمن مصادر التفسير عند الصحابة رضي الله عنهم - يعني: من مراجع الصحابة رضي الله عنهم في التفسير - العلم بأحوال العرب التي كانوا عليها، فإن من لم يعلم أحوال العرب التي كانوا عليها في عقائدهم، وفي دياناتهم، وفي تعبداتهم، وفي علاقاتهم الاجتماعية، وفي تجاراتهم، . . . إلى آخر هذه الأحوال، فإنه لن يحسن التفسير؛ لأنه سيجعل التفسير يناسب قومًا آخرين غير الأوائل، والقرآن نزل للأولين والآخرين، ومعرفة السبب تورث العلم بالمسبب والعبرة - كما هو معلوم - بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

لكن لابد من معرفة ما تشتمل عليه الآية أولًا، ويدخل فيها من جهة المعنى من باب الأولية.

كذلك من مصادر التفسير عند الصحابة: سؤال بعضهم بعضًا، فإن ابن عباس رضي الله عنهما سأل عمر رضي الله عنه عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ في

قول الله ﷻ: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم: ٤]، فسأل ابن عباس عمر رضي الله عنهما، فقال: من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ؟ فقال عمر رضي الله عنه: عائشة وحفصة رضي الله عنهما[1]، فالصحابة رضي الله عنهم يسأل بعضهم بعضًا عن التفسير، فصار من مصادر التفسير عند الصحابة سؤال بعضهم بعضًا، فيسأل الصغير الكبير، ويسأل من لا علم عنده من عنده علم، فصار عندهم احتجاج في التفسير بالقرآن، وبالسنة، وباللغة، وكذلك بأقوال الصحابة، إلى تفاصيل في ذلك يضيق المقام عن بسطها.

الصحابة رضي الله عنهم توسعوا في التفسير، وكان من مشاهيرهم في التفسير عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وكانت ولادته في شعب أبي طالب قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له النبي ﷺ عدة مرات بأن يعلمه الله التأويل، وأن يعلمه الله الفقه، فقال: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**»[2] وقال: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ**»[3] وقال: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**»[4] في حوادث مختلفة وفي رواية مجتمعة؛ قال: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**»، فبرز ابن عباس رضي الله عنهما في التفسير كثيرًا، وكذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وكذلك

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٣٤).

(٢) أخرجه ابن حبان (١٥/ ٥٣١)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٨٣)، والطبراني في الأوسط (٤/ ٢٧٣)، والصغير(١/ ٣٢٧)، والكبير(١٠/ ٢٦٣، ١١/ ١١٠، ١٢/ ٧٠)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٥٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

عائشة رضي الله عنها، وكذلك عمر رضي الله عنه وبقية الصحابة، وكذلك علي رضي الله عنه، فهؤلاء الأربعة أو الخمسة يكثر النقل عنهم في التفسير: ابن عباس، وابن مسعود، وعائشة، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

تميزت تفاسير الصحابة رضي الله عنهم بأشياء منها:

أولًا: أنها تفاسير اشتملت على الألفاظ القليلة والمعاني الكثيرة؛ ولهذا من أتى بعدهم، فإنما يحوم حول كلام الصحابة، ولهذا قال ابن رجب رحمه الله في كتابه (فضل علم السلف على علم الخلف) قال: كلام السلف قليل، كثير الفائدة، وكلام الخلف كثير، قليل الفائدة، فمما يظهر لك في تفاسير الصحابة أنها كلمات قليلة، ولكن تحتها المعاني الكثيرة.

ثانيًا: تميزت تفاسير الصحابة رضي الله عنهم بأنها تفاسير سليمة من البدع، سليمة من الضلال في الاعتقاد؛ لأنهم هم أئمة المتقين، وأئمة السلف، وإليهم المرجع في التوحيد والعقيدة، فتفاسيرهم مضمونة لا غلط فيها، ولا إشكال فيها، فمن أخذها، فهو يأخذ مطمئنًا، وأما تفاسير من بعدهم، فحصل فيها من الانحراف بقدر ما عند من بعدهم.

ثالثًا: من مميزات تفاسير الصحابة رضي الله عنهم: أن تفاسيرهم يكثر فيها اختلاف التنوع، ويقل فيها اختلاف التضاد، واختلاف التنوع معناه: أن يعبر عن تفسير الآية بشيء هو من مفرداتها، لا بشيء كلي يشمل جميع المعاني، ولكن من بعض مفرداتها، كما فسروا مثلًا الصراط المستقيم، فسره بعضهم بالقرآن، وفسره بعضهم بالسنة، وفسره بعضهم بالإسلام، وهذه من اختلاف التنوع؛ لأن القرآن، والسنة، والإسلام، بعضها يدل على

بعض، ولا يتصور قرآن بلا سنة، أو سنة بلا إسلام، فهذا يسمى من اختلاف التنوع في مباحث هذا العلم، وهو اختلاف التنوع، واختلاف التضاد، فصلها الشيخ تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته في أصول التفسير.

بعد زمن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ تكونت مدارس، لا شك أن كل صحابي له تلامذة أخذوا عنه، فابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الكوفة له تلامذة أخذوا عنه التفسير، وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في مكة له تلامذة أخذوا عنه التفسير، فمثلًا: من تلامذة ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: عبيدة السلماني، والربيع بن خيثم، ويوجد غيرهم من علماء التابعين بالتفسير.

من تلامذة ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في التفسير: سعيد بن جبير، وعكرمة، وطاووس، وغير أولئك، فإذًا الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ الذين فسروا القرآن - وكذلك علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في المدينة - كل منهم صار له تلامذة، أخذوا عنه التفسير، من أبرز تلامذة ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في التفسير مجاهد بن جبر، أبو الحجاج، وقد عرض التفسير على ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ثلاث مرات، عرض القرآن من أوله إلى آخره، يسأل ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن التفسير، فيجيبه ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في التفسير، ولهذا قال عدد من أئمة السلف: إذا جاءك التفسير عن مجاهد، فحسبك به؛ لأن مجاهدًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ عرض التفسير على ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ثلاث مرات، كما سبق.

هذه المدارس صار فيها نوع اختلاف، مدرسة ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فيها اختلاف عن مدرسة ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، من أوجه الاختلاف مثلًا: أن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان ينحى كثيرًا في التفسير منحى التفسير بأسباب النزول وبالقراءات، ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا كان ينحى كثيرًا في التفسير، التفسير بالسنة

وباللغة العربية بالاجتهاد، فهنا توسعت، فصار هناك مدرسة، ومدرسة، ومدرسة، كل مدرسة لها خصائصها التي تميزها عن غيرها.

بعد التابعين أتى تبع التابعين، فتوسعوا أيضًا في التفسير، ومن ثم بدؤوا تدوين التفسير، بدأت كتابة التفسير، كان التفسير ينقل حفظًا، ينقله الصحابة ﷺ عن بعض الصحابة ﷺ، ينقله التابعون عن الصحابة ﷺ عن النبي ﷺ ثم نقله تبع التابعين، عن التابعين، عن الصحابة ﷺ، ثم ابتدأ تدوين التفسير فبدأ هناك من يصنف في التفسير؛ كما صنف السدي - مثلًا - تفسيره - أعني به: السدي الكبير إسماعيل بن عبد الرحمن -، وصنف أيضًا عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم تفسيره، وهكذا يُوجد غيرهم.

هذه الكتابات في التفسير انتقلت على شكل كتب، ثم توسعت الكتابة في التفسير إلى أن وصلنا إلى تفاسير جمعت المأثور عن الصحابة ﷺ، وعن التابعين، وعن تبع التابعين في التفسير بالإسناد، مثل: تفسير عبد بن حميد، تفسير عبد الرزاق - تفسير عبد الرزاق مطبوع، وتفسير عبد بن حميد لم يطبع - ومثل: تفسير الإمام أحمد، وتفسير ابن أبي حاتم، ومثل: تفسير ابن جرير الطبري.

هذه التفاسير دونت تفاسير الصحابة ﷺ بالأسانيد، هذه المدرسة تسمى مدرسة التفسير بالأثر، يعني: المدرسة التي يفسر فيها المفسر بناء على ما ينقله من كلام السلف على الآية، فينقل بإسناده عن الصحابة، ينقل بإسناده عن التابعين في تفسير الآيات، ولا تجد في تلك التفاسير كثيرًا من التفسير الخارج عن تفاسير السلف. هناك في خضم هذه الفترة - يعني: إلى نهاية

القرن الثالث تقريبًا - ابتدأت كتابات مختلفة، فيها تفسير القرآن بالنحو؛ لأنه نشأت مدارس نحوية، نشأت مدرسة نحاة البصرة: سيبويه ومن معه، ونشأت مدرسة نحاة الكوفة، ثم بعد ذلك نحاة بغداد. . . إلى آخره.

والنحو معتمد على القرآن، والمدرسة النحوية يؤثر نظرها في النحو في التفسير، فصار هناك رأي في التفسير من جهة النحو، ورأي في التفسير من جهة اللغة، فصنفت عدة مصنفات؛ كمعاني القرآن للأخفش الأوسط سعيد ابن مسعدة، وكذلك مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن مثنى، يوجد كتب على هذا النحو.

أتى ابن جرير - وهو إمام المفسرين -، فصنف كتابه جامع البيان، وهو أعظم كتاب ألف في تفسير القرآن بالإجماع، وبه عد ابن جرير إمام الأئمة في التفسير، ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ محمد بن جرير المولود (**٢٢٤ هـ**) المتوفى (**٣١٠ هـ**) صنف التفسير، وجمع فيه ما تكلم عليه العلماء قبله في التفسير، غلب عليه الأثر، ولكنه اعتنى بالتفسير بالنحو، والتفسير باللغة، يعني أن تفسيره صار فيه غلبة لمدرسة التفسير بالأثر، ولكن المدرسة الأخرى التي حدثت هي مدرسة التفسير بالرأي، ومدرسة التفسير بالأثر كانت قبل ابن جرير وبعد ابن جرير، فمن تفاسير العلماء التي تنتمي لمدرسة التفسير بالأثر - كما ذكرت لك -: تفسير عبد الرزاق، وعبد بن حميد، والإمام أحمد، وابن أبي حاتم، وابن جرير، ثم بعده البغوي، وابن كثير، والدر المنثور إلى غير ذلك.

مدرسة التفسير بالرأي حدثت، ومدرسة التفسير بالرأي اختلف في تعريف الرأي فيها، ما معنى التفسير بالرأي؟ ويجمعها أن يقال: التفسير

بالرأي معناه: التفسير بالاجتهاد والاستنباط، والاجتهاد الذي عمله أصحاب هذه المدرسة قسمان: اجتهاد محمود، واجتهاد مذموم مردود على صاحبه، وقد جاء عن النبي ﷺ في غير ما حديث - حسنها بعض أهل العلم، وضعفها آخرون - أنه قال: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[1] ففيه ذم للتفسير بالرأي؛ لأن الأول أنه إن فسر القرآن برأيه، فليتبوأ مقعده من النار، وفي الثاني أنه إن فسر القرآن برأيه، فقد أخطأ، ولو أصاب، قال العلماء: هذا محمول على المعنى التالي، وهو أن التفسير بالرأي إذا كان عن هوى، وعن انحراف، فإنه يكون تفسيرًا برأي يتبوأ صاحبه مقعده من النار، فحملوا قوله ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» بمن قال في القرآن برأيه الذي نشأ عن هواه، لا عن أدلة صحيحة - كما قدمنا -؛ لأن الصحابة اجتهدوا في التفسير، وقالوا في التفسير بأشياء لم ينقلوها عن النبي ﷺ، فإذا قلنا إنه يذم جميع أنواع التفسير بالرأي، يعني: بالاجتهاد والاستنباط، فإذًا يذم الصحابة على اجتهادهم في التفسير، وهذا باطل قطعًا.

فإذًا يكون قوله ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» محمول على من قال في القرآن برأيه الذي نشأ عن هواه، كقول أهل الفرق المنحرفة والفرق الباطلة، كقول المرجئة والقدرية في القرآن، وكقول الخوارج، وقول المعتزلة، وقول الأشاعرة، وأشباه هذه الأقوال في القرآن فمن قال في القرآن برأيه، وحمل معاني القرآن على رأي حدث بالإجماع بعد

(١) سبق تخريجه (ص٩٥).

زمن النبوة بمائة سنة أو أكثر، فإنه متوعد بأن يتبوأ مقعده من النار، أما قوله ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ»(١) قال العلماء: معناه: من قال في القرآن برأيه، وكان رأيه عن جهل، لا عن علم، فوافق الصواب اتفاقًا، ولم يأت للصواب عن علم ويقين وبينة، مثلًا: واحد يفسر القرآن هكذا بمزاجه، بما يطرأ في ذهنه، يظهر له معنى من الآية، فيفسر، فهذا وإن أصاب الصواب في التفسير، لكنه أخطأ ومتوعد؛ لأنه تجرأ على القرآن وفسر القرآن بغير علم.

فإذًا مدرسة التفسير بالرأي لها اتجاهان: من أهلها من فسر القرآن بالرأي الناشئ عن هوى؛ كما فسر المعتزلة القرآن بآرائهم وأهوائهم، وكما فسرت الخوارج، والإباضية، والرافضة القرآن بآرائهم وأهوائهم، وكما فسر الأشاعرة والماتريدية القرآن بآرائهم وأهوائهم، وتركوا تفاسير السلف إلى تفاسير محدثة، فهؤلاء مذمومون؛ لأنهم فسروا القرآن برأي لا دليل عليه، ولا حجة فيه، وإنما نشأ ذلك التفسير عن هوى منهم في ذلك التفسير، فهذا رأي مذموم ومردود على صاحبه، وتمثله عدة تفاسير من التفاسير المعروفة التي ينتمي أصحابها إلى شيء من الفرق التي ذكرت لكم بعضها.

القسم الثاني: من مدرسة التفسير بالرأي: الذين فسروا القرآن بالاجتهاد والاستنباط، وكان اجتهادهم واستنباطهم صحيحًا، وهذا إنما يسوغ إذا كمل المفسر شروط جواز التفسير بالاجتهاد والاستنباط، وقد تجمع الشروط التي بها يجوز للمفسر أن يفسر القرآن بالاجتهاد والاستنباط، تجمع

---

(١) سبق تخريجه (ص٩٥).

الشروط فيما يلي:

الشرط الأول: أن يكون عالمًا بعقيدة السلف وبالتوحيد؛ لأن العلم بذلك به يأمن المفسر من أن يفسر القرآن عن هوى، أو على نحو من آراء المعتزلة، أو الجهمية، أو الخوارج، أو القدرية، أو المرجئة، .. إلى آخر تلك الفرق.

الثاني: أن يكون عالمًا بالقرآن، يمكنه أن يفسر القرآن بالقرآن، حافظا للقرآن، أو يستطيع أن يرد المتشابه في موضع إلى المحكم في موضع، وحبذا لو كان عنده علم بالقراءات.

الثالث: أن يكون عالمًا بالسنة؛ حتى لا يجتهد في آية التفسير وفيها منقول عن النبي ﷺ.

الرابع: أن يكون عالمًا بأقوال الصحابة؛ حتى لا يفترع تفسيرًا، ويظهر تفسير الصحابة على خلافه، وباليقين أن التفسير الذي أحدث والصحابة على خلافه نقطع ببطلانه، وابن جرير رحمه الله من المهتمين بهذا، فمثلًا عند قوله سبحانه وتعالى في سورة الأعراف: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٩٠﴾ [الأعراف: ١٩٠] نقل عن الصحابة وعن التابعين أن المراد هنا بالضمير في الآية: آدم وحواء، قال: ونقل عن الحسن أنه قال المراد بهما: اليهود والنصارى، يعني: من جهة الجنس، قال: وهذا القول باطل، وإنما حكمنا ببطلانه؛ لإجماع الحجة من الصحابة على خلافه[1]، فيكون القول به محدثًا على خلاف أقوال الصحابة، وهذا من المهم للمفسر أن

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير(٩/ ١٤٨).

يرعى أقوال الصحابة ﷺ؛ حتى لا يحدث قولًا بخلاف أقوال الصحابة ﷺ؛ لأننا نجزم أنه لا يمكن أن يكون ثم تفسير يغيب عن الصحابة البتة، ويكون عند من بعدهم؛ لأن الصحابة هم أولى بإدراك الصواب، فإذا كان تفسير الآية لا يعرف عند الصحابة، والصحابة يفسرون بخلاف هذا التفسير الذي اجتهد فيه صاحبه أو استنبطه، فإنه نجزم بأن هذا التفسير غلط؛ لأن تفسير الصحابة ﷺ والحق لا بد أن يكون محفوظًا في الصحابة ﷺ؛ لأنهم أهل العلم بالقرآن، وأولى من يعلم القرآن.

أيضًا: أن يكون عالمًا بأحوال العرب - كما ذكرنا -؛ حتى لا ينزل آيات القرآن على غير تنزيلها.

كذلك أن يكون عالمًا باللغة العربية في نحوها، وفي مفرداتها، وفي صرفها، وفي علم المعاني من علوم البلاغة، وهذا العلم الأفضل أن يكون بالقوة الذاتية - يعني: بالعلم الذاتي في نفسه -، وإن كان بالقوة القريبة - يعني: بالمراجعة وبالكتب -، فلا بأس إذا استقامت له أصوله، وهناك شروط أخر ذكرها طائفة من أهل العلم.

المقصود من هذا ألا يجترئ من يظن نفسه يحسن التفسير على التفسير بالاجتهاد والاستنباط، ولم تكتمل عنده آلاته؛ لأن القول في التفسير شديد ولهذا حرم جماعة من السلف القول في القرآن بالاجتهاد، وقالوا: لا نفسر القرآن إلا بالنقل عن الصحابة، وبعد الصحابة ليس لأحد حق في أن يفسر القرآن، وهو مذهب جماعة قليلة من التابعين.

هذه المدرسة - مدرسة التفسير بالرأي بقسميها: الرأي المحمود،

والرأي المذموم - يمكن أن نجمل التفاسير التي تنتمي لهذه المدرسة إلى أربع مدارس كبرى؛ وذلك لأن التفسير بالرأي أكثر بكثير جدًا من التفسير بالأثر، التفاسير التي تنقل بالأثر قليلة بالنسبة للتفاسير التي تفسر بالرأي.

التفاسير بالرأي يأتينا الآن في المدارس بيان تلك التفاسير، فلها عدة مدارس:

الأول في التفسير بالرأي: مدارس فسرت القرآن بالنظر إلى العقائد، وهذه متنوعة، فكل أصحاب عقيدة عانوا تفسير القرآن، الرافضة لهم تفاسير للقرآن: تفسير الطبرسي، وتفسير الطوسي، وهلم جرا. المعتزلة فسروا القرآن، يريدون بذلك أن يبثوا عقائدهم في تفسير القرآن، وفي أغراض معلومة، من طالع أوائل كتب التفاسير التي تفسر على هذا النحو، علم ذلك. الخوارج لهم تفاسير على هذا النحو، الأشاعرة لهم تفاسير كثيرة على هذا النحو مثل: تفسير القرطبي، وتفسير أبي السعود، وتفسير الرازي، وأشباه هذه التفاسير. الماتريدية أيضًا لهم تفاسير مثل: تفسير النسفي، وتفسير الألوسي روح المعاني، وغير هذه التفاسير.

هذا قسم فسروا القرآن من جهة العقيدة، وقد يكون لهم اعتناء بأشياء أخر لهم اعتناء بالفقه، باللغة... إلى آخر ذلك.

لكن لهم اعتناء بالعقيدة، يعني: بثوا العقائد في التفسير، وكان لهم هَمٌّ في أن يقرروا عقائدهم في كتب التفسير.

المدرسة الثانية المنتمية لمدرسة التفسير بالرأي مدرسة التفسير الموسوعي، ونعني به: الذي لم يشترط صاحبه في تفسيره على نفسه نوعًا من

أنواع علوم التفسير، ولكنه طرق كل علم من علوم التفسير، فتجده يفسر القرآن بالأثر، ويفسره بأسباب النزول، ويفسره باللغة، ويفسره بالأحكام الفقهية، ويفسره بالأحوال العامة، بالعلوم المختلفة، بالتاريخ، بالفلك، بالرياضيات.. الخ، كل علم عنده يدخله في التفسير، هذا يسمى التفسير الموسوعي، ومن أشهر التفاسير التي تنتمي لهذه المدرسة تفسير (مفاتيح الغيب) لفخر الدين الرازي، وتفسير الألوسي (روح المعاني)، فإنهم جمعوا فيها كل شيء، حتى قيل عن تفسير الرازي: فيه كل شيء إلا التفسير.

وهذه المدرسة تمتاز بكبر تفاسيرها، فمثلًا عندك تفسير الرازي **٣٢** جزءا وعندك تفسير الألوسي **٣٠** جزءا كبيرة.

القسم الثالث أو المدرسة الثالثة:

التفاسير اللغوية أو النحوية: وهذه يعتني أصحابها بالنحو، بالإعراب، باللغة، بالاشتقاق، وهذا مثل: تفسير أبي حيان الأندلسي (البحر المحيط)، ومثل: (إعراب القرآن) للنحاس، وأشباه هذه الكتب.

القسم الرابع والأخير:

التفاسير الفقهية: وهي الموسومة بتفاسير أحكام القرآن؛ لأنهم جعلوا همهم في التفسير أن يقرروا أحكام القرآن، وذلك لأنهم يكونون في الغالب فقهاء، والفقيه يعتني بعلمه، فإذا فسر القرآن، يأتي علمه الذي برز فيه في التفسير، فتجده يطيل، أو يعتني بآيات الأحكام، أو الآيات التي فيها أحكام فقهية، أو قواعد فقهية، أو أصولية.

مدرسة التفاسير الفقهية، أو أحكام القرآن متنوعة بحسب المذاهب،

فالحنفية لهم تفاسير، والشافعية لهم تفاسير فقهية، يذكرون فيها أحكام القرآن على طريقتهم، يعني: على طريقة مذهبهم الفقهي، الحنابلة كذلك، والمالكية كذلك.

فمثلًا من تفاسير الحنفية في ذلك: (أحكام القرآن) للجصاص، ومن تفاسير الشافعية في ذلك: (أحكام القرآن) للكيا، وللمالكية (أحكام القرآن) لابن العربي المالكي، و(أحكام القرآن) للقرطبي، وللحنابلة (أحكام القرآن) لعبد الرزاق الرسعني، و(أحكام القرآن) لابن عادل الحنبلي، فكل مذهب اعتنى بالأحكام الفقهية على مذهبه، وجعلها تفسيرًا للقرآن، هذا مجموع مدارس التفسير بالرأي.

كل تفسير من هذه التفاسير له منهج، يعني: له طريقة اعتمدها في تفسيره، ولو عرضنا لتفسير واحد من هذه التفاسير سواء في مدرسة التفسير بالأثر، أو مدرسة التفسير بالرأي لنبين شروطه وطريقته، لاحتاج إلى درس خاص في ساعة أو ساعتين لنبين شروط فلان في تفسيره، مثلًا (تفسير ابن جرير) نحتاج فيه إلى درسين ثلاثة، (تفسير ابن كثير) نحتاج فيه أيضًا لبيان منهجه في كذا، (أحكام القرآن) للقرطبي نحتاج إلى وقت فيه، لكن المقصود الإشارات التي بها يمكن أن تدخل هذا العلم الواسع علم مناهج المفسرين.

هذه المدارس ظلت تمشي، وفي خضمها ظهر شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم - رحمهما الله -، شيخ الإسلام كان يفسر القرآن، لكنه لم يؤلف تفسيرًا، والذي صنفه وكتبه ووجد في مجلدة مستقلة أنه كان يعتني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التفسير بتفسير آيات أشكلت على المفسرين، يعني: آيات كثر فيها الخلاف

بين المفسرين، ولم يتضح الراجح فيها، فيدخل ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيرها، وقد ندم شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ آخر عمره على أنه لم يجعل النصيب الأوفر في عمره للتفسير؛ لأنه بالتفسير يستطيع المصلح والمجدد، ويستطيع الإمام والعالم أن يقرر ما يريد، يقرر مناهج السلف، يقرر التوحيد، يقرر العبادات يقرب الناس إلى ربهم، يذكر بالآخرة، يعظ، في التفسير يستطيع أن يصل للناس بجميع مشاربهم.

شيخ الإسلام وابن القيم لم يفسروا كل القرآن، وإنما فسروا واعتنوا بآيات أشكلت، وبما يهم تفسيره من آيات، أو سور في التوحيد، مثل: تفسير سورة الإخلاص، تفسير سورة سبح اسم ربك الأعلى، تفسير المعوذتين وأشباه ذلك، آية الكرسي أو آيات أشكل تفسيرها.

إذًا شيخ الإسلام وابن القيم تميزت تفاسيرهما بشيئين:

أولًا: أنهم اعتنوا بتفسير سور فيها التوحيد والعقيدة بعامة، أو اعتنوا بتفسير آيات أشكل تفسيرها على العلماء من قبل.

ظلت هذه المدارس تمشي وتزحف، والخلف يقلدون من قبلهم فيها، وهكذا إلى أن وصلنا إلى مشارف العصر الحديث، أنا سرت بكم تاريخيًا، مرورًا على مدارس التفسير؛ حتى يكون عندك تصور إجمالي للتفاسير، واتجاهات التفاسير منذ نشأة التفسير في زمن النبي ﷺ إلى وقتنا الحاضر.

بدأ العصر الحديث، والعصر الحديث يحتاج إلى ضابط، بداية العصر الحديث هذا متى؟ فبالنظر إلى اختلاف وجهة التفسير يمكن أن نقول: إن العصر الحديث يبدأ في التفسير ببداية القرن الرابع عشر يعني من ١٣٠٠هـ فما

بعد؛ وذلك لأن التفاسير فيما قبل هذا التاريخ سارت على نمط التفسير قبل ذلك، أو في القرن الثالث عشر الهجري ظهر تفسير الألوسي، وقد سار على نحو ما قبله، وظهر تفسير الخطيب الشربيني، وهو على نحو ما قبله، وظهر تفسير صديق حسن خان، وهو على طريقة ما قبله، وظهر تفسير الشوكاني (فتح القدير)، وهو على طريقة ما قبله، يعني: أنه منذ ابتداء تميز التفاسير، مدرسة التفسير بالرأي على نحو ما ذكرنا، لم يظهر اختلاف كبير في مدارس التفسير، حتى ابتدأنا في العصر الحديث.

العصر الحديث ظهرت تفاسير مختلفة، ومتنوعة المشارب، واجتهادات كثيرة في التفسير، وكان لذلك سبب، ولابد من معرفة السبب؛ حتى يتصور لم صارت تلك المدارس؟

لما جاءت الحملة الاستعمارية على البلاد الإسلامية، وبخاصة حملة نابليون على مصر، وصار فيها ما صار من ضرب لأصول العلوم الإسلامية، نشأت ناشئة طلب منهم أن يذهبوا إلى فرنسا، فيدرسوا فيها العلوم والأدب، أو العلوم حديثة، أو ما شابه ذلك، وكان الأزهر إذ ذاك يمانع أن يرسل أحدًا من أبناء المسلمين إلى أوروبا، فصار هناك اقتراح أن يذهب مع كل طائفة عالم من علماء الأزهر؛ حتى يشرف على أولئك الطلبة، وحتى يعلمهم، ويحجزهم من الانحراف إن كان.

فذهب في مقدمة من ذهب بعض علماء الأزهر - من غير تسمية -، وهؤلاء لما رجعوا مع التلامذة تأثروا بما عند الغرب، صار عندهم شيء من الإحراج، الغرب عنده كذا وكذا من التقدمات، وبلاد المسلمين في ذلك الوقت في تأخر وعدم تطور مدني، فصاروا في إحراج من جهة أن سبب

التأخر عزي في ذلك الوقت إلى الدين، وسبب التأخر عزي إلى اتباع الناس للكتب القديمة، وللتفاسير القديمة، والناس ظلوا على ذلك المنحى، وهي التي أخرتهم عن التطور، فظهرت هناك أقوال كثيرة تشكك في الإسلام، وتشكك في القرآن، وتشكك في الدين، وتشكك في السنة، إلى غير ذلك، حتى صار ذلك شائعًا في الناس.

في ضوء ما قلنا ظهرت فئات كثيرة من المسلمين تشككت في الدين، في القرآن، وفي السنة، وبسبب تلك البعثات وخروج مدارس الاعتناء باللغات الأجنبية، والاعتناء بالآداب الغربية، والاهتمام ببحوث المستشرقين إلى غير ذلك.

من العلماء من نظر إلى هذا الداء، فوجد أن سبيل إرجاع المسلمين إلى دينهم أن يعتني بتفسير القرآن، بتفسير عقلي يعظم القرآن في أنفس الناس؛ حتى لا يبتعدوا عن الدين، وظهرت لهذا مدرسة محمد عبده، أحد مشايخ الأزهر الكبار، وأحد الذين اعتنوا بتفسير القرآن، ومن امتداد مدرسته محمد رشيد رضا، والذي كتب تفسير المنار، معتمدًا في كثير منه على تفاسير شيخه محمد عبده.

هذا الوصف الذي ذكرنا أعقب ضعفًا في نفس بعض العلماء، جعلهم يحملون القرآن على ما عند الغرب من العلوم، فمثلًا الآيات التي فيها ذكر لبعض المعلومات الفلكية يجعلونها دليلًا على صحة القرآن، وأن القرآن سبق الغرب لذلك، أو كذلك المعلومات الطبية، أو المعلومات الغيبية، وهكذا، ففسروا القرآن بتفسير عقلي، خرجوا فيه عن التفاسير السابقة، وعن تفاسير السلف، وعَمّا يجوز؛ لأجل ألا يشككوا الناس في القرآن، وأن

يقبل الناس القرآن، وأن يعظموه، فأتى وفسر الآيات التي فيها بعض الكلام مثلًا على الأجنة بما عند الغرب في ذلك، وبعض الآيات الغيبية في الطب مثلًا، أو في الفلك، أو في حال المطر، أو ما أشبه ذلك، أو في العيون في الأرض، أو الأشجار، أو النبات، أو الجبال إلى غير ذلك بتفسيرات توافق ما عند الغرب من العلوم، وانهال الناس على محمد عبده، ويحضرون تفسيره؛ لأنه جعل تفسيره فيه الإصلاح، وجعل فيه جدة عما كان عليه المفسرون من قبل، وضم إليه تلك التفاسير، وانحرف في كثير منها؛ إذ جعل القرآن تبعًا لمكتشفات الغرب، ومن المعلوم أن تلك المكتشفات، أو تلك النظريات تصلح في وقت، وربما أتى ما هو أفضل منها، فأبطل تلك النظرية أو ما هو أعمق بحثًا واستقراء، فصارت الأولى غير صحيحة.

فحمل القرآن على النظريات العلمية، وتفسير القرآن بالنظريات العلمية هذا لا يسوغ؛ لأنه حمل للقرآن الذي هو حق ثابت لا يتغير بشيء قد يتغير. نعم، إن القطعي لا يناقض قطعيا، واليقيني لا يناقض اليقيني، فالعلم اليقيني لا يمكن أن يأتي في القرآن شيء بخلافه، وكذلك العلم القطعي لا يمكن أن يأتي في القرآن شيء بخلافه، لكن تلك النظريات من أجل الضعف حملت عليها آيات من القرآن، فنشأت في العصر الحديث أولى مدارس التفسير في العصر الحديث، وهي تفسير القرآن بطريقة عقلانية يجمع فيها ما بين مكتشفات الغرب، والمكتشفات العصرية، وما بين تفاسير المتقدمين، فجعلوا خليطًا، واهتموا بالأشياء الحديثة، وظهر لذلك تفسير طنطاوي جوهري، وتفسير - كما ذكرنا - محمد عبده، وفي خضم ذلك أنكرت بعض الغيبيات، وفسر القرآن بتفاسير باطلة، وأنكرت أشياء ظاهرة،

وكان في ذلك شيء من الانحراف في التفسير.

هذا نوع من مدارس التفسير التي حصلت في العصر الحديث، وسبب ظهور هذا النوع من المدارس، أو هذا النوع من التفاسير.

المدرسة الثانية من مدارس التفسير المعاصر: هي مدرسة تفسير القرآن على هامش المصحف، وكان هذا ممنوعًا في الزمان الأول أن يجعل التفسير في هامش المصحف؛ لأن القرآن يجب أن يبقى كما هو، وألا يدخل عليه، ولكن لما توسع العصر، وصار الناس بحاجة إلى شيء يبين لهم معاني القرآن مع آي القرآن، فجعلوا تلك التفسيرات في هامش المصحف، يعني: مع المصحف في شيء واحد، فصارت هناك تفاسير مختصرة طبعت مع المصحف.

وهذا نوع انتشر، فصار هناك من اختصر مثلًا تفسير الطبري، وجعله على هامش المصحف في السنوات الأخيرة، ومنهم من ألف تفسيرًا لنفسه، وجعله على هامش المصحف، ومنهم من اختصر، أو طول... إلى آخره بهذا الشكل، وهذا شيء جديد لم يسبق في الزمن الأول.

نوع ثالث من التفاسير ظهرت في العصر الحديث: التفاسير الدعوية، وكان لظهورها سبب، وهو أنه في هذا العصر الحديث - ونعني به ما بعد سنة ١٣٠٠ هجرية - مع ظهور الفساد، وبعد الناس عن الدين، وتسلط الاستعمار، والغزو الثقافي الذي حصل للمسلمين، وإبعادهم عن دينهم وعن القناعة بشرع الله ﷻ ظهرت هناك جماعات مختلفة في العالم الإسلامي، في العربي وغير العربي، فيها الدعوة لإرجاع الناس إلى الدين،

ولا شك أن الداعية يحتاج إلى أن يكون اعتماده على القرآن؛ لهذا احتاجت تلك الدعوات إلى أن يفسر بعض منهم القرآن، فاعتنى بعض كبار أصحاب تلك الدعوات بتفسير القرآن، وتلك التفاسير كان المفسر يفسر فيها مراعيًا شباب الدعوة التي ينتمي إليها، فمثلًا فسر بعضهم التفسير من جهة بتفسير على طريقة جماعة التبليغ، بعضهم فسر القرآن بتفسير على طريقة جماعة الإخوان المسلمين، بعضهم فسر القرآن على طريقة جماعة النورستانيين مثلًا، أو جماعة النور في تركيا، وبعضهم فسر القرآن على طريقة العلماء، جمعية العلماء أو رابطة العلماء في الجزائر، وهكذا، في الباكستان والهند ظهرت مدارس كتفاسير الجماعة الإسلامية، تفاسير أبي الأعلى المودودي وغير ذلك.

هذه التفاسير فيها تفسير بالرأي بجعل الواقع في التفسير، يعني: أنهم نظروا إلى التفسير من جهة التأثير الدعوي في الناس، ففسروا القرآن، وهم ينظرون إلى الواقع؛ لكي يؤثروا على الناس من طريق القرآن.

وهذه الطريقة لا شك أنه لا بد أن يخطئ أصحابها في بعض الأشياء؛ لأن من غلب عليه الواقع في النظر إلى القرآن لا بد أن يحيد عن الصواب في بعض التفسير؛ لأن القرآن ليس لزمن دون زمن، بل هو للأزمنة جميعًا، ولهذا ظهر من خلال هذه التفاسير غرس الجوانب الدعوية في تلك الجماعات المختلفة في تفاسير أصحابها.

هذه مدرسة، ومن أمثلة تفاسير هذه المدرسة تفسير أبي الأعلى المودودي (ترجمان القرآن)، وتفسير (في ظلال القرآن) للأستاذ سيد قطب،

و(الأساس في التفسير) لسعيد حوى، وأشباه تلك التفاسير.

من التفاسير أيضًا التي ظهرت في العصر الحديث تفاسير المعاني للغات أخر، وهي المسماة: ترجمات القرآن، وهي تراجم لمعاني القرآن، فظهر في أغلب اللغات الحية في العالم تفسير، وهنا يقولون: تفسير للقرآن، وهذا غلط؛ لأن القرآن الذي نزل بلسان عربي مبين لا يمكن لأحد أن يترجمه لأي لغة كانت، ولكن الصواب أنها تراجم لتفسير القرآن، فيأتي هذا الذي ترجم ينظر إلى الآية، ويفهم تفسيرها بمراجعة كتب التفسير، ثم يترجم ما فهمه من التفسير، وإلا فإن القرآن لا يمكن أن يترجم إلى أي لغة كانت؛ لأن لغة العرب شريفة، وفوق كل اللغات، فمثلًا خذ آية لا يمكن أن تفسر لأي لغة من اللغات، مثلًا في قول الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] هنا اللباس كيف سيفسر باللغات الأخر، اللغة العربية فيها سعة في أصول الكلمات وكليات المعاني؛ ولهذا إذا أتت الترجمة، فلا بد أن المترجم يترجم بالنظر إلى تفسير الآية، فكل ترجمة للقرآن تعد تفسيرًا، ولهذا ظهرت في التراجم المختلفة تأثر تلك الترجمة بمذهب صاحبها، فإذا كان صاحبها قاديانيًا أثر في ترجمته، وهناك ملاحظات على بعض الترجمات من جهة مذهب صاحبها، فإذا أتى لنعيم الجنة وعذاب النار، فسرها على نحو ما على مشربه، إذا أتى مثلًا إلى الرقم تسعة عشر عظم ذلك، إذا أتى لبعض الغيبيات، فسرها على طريقته ونحلته، وبعضها تراجم لمعاني القرآن سلفية طيبة لبعض اللغات الحية، وبعضها تراجم أشعرية، وبعضها تراجم ماتريدية، وبعضها تراجم دعوية.

فإذًا: تراجم معاني القرآن التي تراها هي شيء محدث في هذا العصر،

وينتمي إلى مدرسة التفسير بالرأي، ويمكن للناظر فيه أن يجعله تفسيرًا، وأن يدرجه ضمن أي مدرسة من مدارس التفسير التي ذكرنا.

من الأشياء التي بقيت في هذا العصر المدارس السالفة للتفسير، فامتدت مثلًا تفسير القرآن بالنظر إلى الأحكام الفقهية، وهذا ظهرت له عدة تفاسير، مثل: تفسير (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)، فإنه اعتنى بالفقهيات جدًا، وتفسير القرآن باللغويات بالبلاغة، أو بالنحو له عدة تفاسير، مثل: تفسير (التحرير والتنوير) للطاهر بن عاشور، والتفاسير الأثرية التي اعتمد فيها صاحبها على الأثر مثل: تفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وغيره، ونشأت تفاسير عقدية مختلفة: تفاسير للرافضة، تفاسير للإباضية، تفاسير للخوارج، إلى غير ذلك.

يعني أن كل التفاسير القديمة جاءتنا من جديد، فهذا العصر صار فيه تفاسير جديدة على غير التفاسير القديمة؛ ولهذا ينبغي لطالب العلم المهتم بالقرآن إذا أراد أن يراجع تفسيرًا، أو أن يجعل في بيته تفسيرًا لكتاب الله ﷻ أن يحرص أتم الحرص على أن يسأل أهل العلم: هل هذا التفسير تفسير مأمون أم لا؟ لأن من التفاسير ما لا يحمد، وربما أضل من ينظر فيه، فلابد أن تسأل، تأخذ تفسيرًا عقديًا منحرفًا: تفسير للمعتزلة، أو تفسير للأشاعرة، مثل: تفسير الفخر الرازي، وتنظر فيه، ربما هنا حصلت عندك شبه كثيرة في التفسير.

التفاسير - كما رأيت - كثيرة جدًا، تبلغ مئات من التفاسير، وأعدادًا كبيرة، هذا من جهة التفاسير التي فسرت القرآن كاملًا.

أما من فسر سورة من القرآن، فسر جزءًا من القرآن، فهذا ليس حديثنا فيه، مع أنه يمكن أن يدرج ضمن مدرسة من المدارس التي ذكرنا.

إذا تبين ذلك، فالترجيح - آخر المطاف - الترجيح بين المدارس المختلفة في التفسير التي ذكرنا: لا شك أن الراجح والمفضل من التفاسير المختلفة التي كثرت في الأمة جدًا التفاسير التي تعتمد على أقوال السلف، وعلى أقوال الصحابة والتابعين، وهي التفاسير المنتمية لمدرسة التفسير بالأثر.

ومدرسة التفسير بالرأي مفيدة؛ لأن فيها استنباط، وفيها لغويات، وفيها نكت ولطائف - والنكت هي الفوائد المهمة -، لكن لا تؤمن؛ لأن أكثر من تعاطى التفسير بالاجتهاد والاستنباط التفسير بالرأي عنده انحراف في العقيدة، أو عنده انحراف في السنة؛ ولهذا لا بد من الانتقاء، وأقل التفاسير بالاجتهاد والاستنباط بالرأي خطأ؛ حتى تكون أخطاؤه معدودة تفسير الشوكاني الذي سماه: (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) الرواية يعني بها: التفسير بالأثر، والدراية يعني بها: التفسير باللغة والنحو، وبالاستنباط، وبتفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بأصول الفقه، إلى غير ذلك من المباحث، أسلم التفاسير هو، فمن احتاج إذًا إلى أن ينظر في تفسير من التفاسير بالرأي، فليكن تفسير الشوكاني (فتح القدير) يتلوه - وهو أصعب منه - تفسير أبي حيان الأندلسي (البحر المحيط)، فإنه في العقيدة يغلب عليه الصحة، وأما غيرهما، ففيها انحرافات كثيرة مع كثرة الفوائد التي فيها، لكن لا تصلح إلا لطالب علم متمكن، يميز الطيب من التفسير من الخبيث فيه.

هذا عرض موجز مختصر يمكن أن تعتبره مدخلًا لمعرفة مناهج المفسرين على جهة التفصيل، ولا شك أن هذا العلم علم مهم وواسع، ولا يمكن طرقه في محاضرة، أو اثنتين، أو درس، أو عشرة، أو عشرين، لا بد له من سعة في الوقت، وأيضًا استعدادات عند المتلقين؛ لأننا إذا دخلنا في التفاسير وفي ذكر مميزاتها ومناهجها، لا بد من التفصيل، ومن التعرض لعلوم متنوعة.

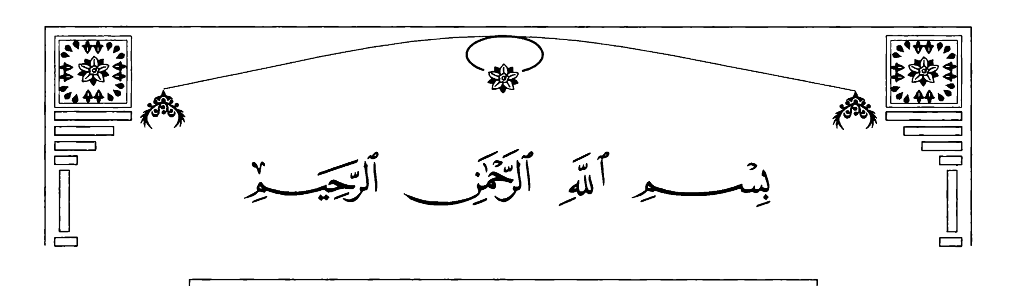
تلحظ مما ذكرت أنه عرض مختصر من بداية نشأة التفسير إلى وقتك الحاضر، أسأل الله ﷻ أن ينفعك وإياي بما ذكرت، وأن يجعلنا من المتبصرين في العلم الجادين فيه، وأن ينعم علينا بالإقبال على القرآن، وأن يتفضل علينا بفهم تفسيره وتدبر آياته، وأسال الله ﷻ لي ولكم العفو والعافية، والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

تنبيه: أحد الإخوة أراد التنبيه على تفسير ينسب لابن عباس رضي الله عنهما مطبوع اسمه (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) وهذا التفسير للفيروز أبادي المشهور صاحب القاموس، ونقل فيه تفاسير ابن عباس رضي الله عنهما المنقولة بطريق واحد، وهذا الطريق موضوع مكذوب؛ لأنه من طريق السدي الصغير - وهو أحد المتهمين بالوضع والكذب -، عن الكلبي - وهو أيضًا أحد المتهمين بالكذب -، وإذا كان كذلك، فنقول: (تفسير تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) هو أوهى التفاسير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ابن عباس رضي الله عنهما أصح الطرق عنه في التفسير صحيفة علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأوهى الطرق عنه في التفسير هذا الطريق، وهو ما روي

في هذا الكتاب، الذي هو من طريق بشر بن مروان (السدي الصغير)، عن الكلبي، إلى آخره.

فإذًا (تنوير المقباس) موضوع مكذوب، لا يجوز أن ينظر فيه على أنه من تفاسير ابن عباس رضي الله عنهما، وإنما هو ملفق، وفيه أقوال مخترعة، وفيه مصائب عظيمة، لا يجوز النظر فيه إلا لمن يعرف حاله من أهل العلم.



محاضرة: (مقدمة في أصول التفسير)

الحمد لله حق الحمد وأوفاه، تبارك الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله.

نشهد أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، فصلوات الله وسلامه على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فأسأل الله ﷻ أن يجعلني وإياكم من أهل القرآن العاملين به، الذين هم أهل الله وخاصته، وأسأله - سبحانه - أن يجعل لنا حظًا من معرفة كتابه، والعلم به، والعمل به، والعمل بما أنزل الله ﷻ فيه، على رسوله ﷺ، كما أسأل المولى - جلت قدرته، وتعاظمت أسماؤه وصفاته - أسأله أن يجعَل القرآن ربيع قلوبنا، وذهاب همومنا وجلاء أحزاننا؛ إنه - سبحانه - جواد كريم.

هذه الكلمة التي ستكون موجزة بالنسبة لعظم موضوعها، وكثرة فروعه وتفاصيله، عنونت بمقدمة في أصول التفسير، وهذا العنوان - مقدمة - يُعنى به: أنه مدخل، إذا تأمله طالب العلم والراغب في معرفة التفسير، أمكنه أن

يعلم التفسير، وأن يعرف طرقه، وأن يتعلم مصادره، وأن يكون على بينة وذكر من أصح الطرق، التي إذا سلكها، صار عالمًا تفسير القرآن على وجه الصواب.

والتفسير علم كبير، وعظيم، ومتنوع؛ ولهذا ترون أن التفاسير في الدنيا بلا عدد، كثيرة جدًا في أنواع من المدارس المختلفة، منها ما هو من مدرسة الأثر، ومنها ما هو من مدرسة الاجتهاد والاستنباط في أنحاء كثيرة من علوم التفسير، ولا شك أن المسلم أعظم ما يعتني به كتاب الله ﷻ؛ لأنه حجة الله الباقية؛ ولأنه النذارة؛ كما قال ﷻ: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩] فمن بلغه القرآن، وكان عالمًا بحججه، عارفًا بمعناه، فإنه قد بلغته الحجة، وأقيمت عليه الحجة، وأقام الله ﷻ عليه النذارة؛ فلهذا أمر الله ﷻ عباده بأن يتدبروا القرآن العظيم، وأن يقفوا عنده متدبرين متأملين، وهذا في آيات كثيرة من القرآن، منها قوله ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [صٓ: ٢٩]، فجعلت هذه الآية من سورة (ص) لإنزال القرآن غايتين:

الأولى: أن يتدبر القرآن.

والثانية: أن يتذكر أولو الألباب. قال ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ يعني: أنزلناه لكي يتدبر الناس آيات القرآن، هذه هي الغاية الأولى: التدبر، والتدبر في حقيقته هو التفسير، هو المعرفة بمعانيه، هو المعرفة بما دلت عليه آيات الله ﷻ العظيمة في كتابه الكريم.

والغاية الثانية: أن يتذكر العباد؛ قال: ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ وهذا يعني أنّ من تدبر أيضًا، فإنه يورث التذكر، ويورث العمل، فالقرآن أنزل لتأمله، ولتدبره، ولمعرفة معانيه، وأنزل أيضًا ليحصل للعبد به التذكر، يعني: أن يعمل به العبد، فيتذكر بذلك حق الله ﷻ عليه، وحقوق الله ﷻ كثيرة، وجُملها وكثير من تفاصيلها في كتاب الله ﷻ؛ لهذا فإن من فاته تدبر القرآن والعلم بتفسيره، فإنه يفوته حظ كبير من الغاية التي لها أنزل هذا القرآن، وجعله الله مباركًا.

وقال ﷻ: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٠﴾ [الأنبياء: ٥٠].

وقال ﷻ حاضًا عباده على تدبر القرآن ومعرفة تفسيره: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾ [محمد: ٢٤] يعني: أن من لم يتدبر القرآن، فإن على قلبه قفلًا حجزه من تدبر القرآن من أقفال الأهواء والشهوات والشبهات إلى آخره.

قال أيضًا ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [النساء: ٨٢]، وقال ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، والآيات في ذلك كثيرة متنوعة، جعل الله القرآن بلسان عربي مبين؛ لكي يتدبر، ويتأمل، ويعلم ما فيه من حكم الله ﷻ وحُكْمه، وأمره، ونهيه، وخبره الصادق، والقرآن تام: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١١٥﴾ [الأنعام: ١١٥]؛ لهذا بعد هذا الحض وهذا الأمر وبيان الغاية من إنزال القرآن، وهو التدبر والعمل بهذا القرآن، بعد بيان ذلك، فلا بد للمرء أن يتعلم التفسير، وأن يقرأ كثيرًا في

تفسير القرآن؛ إذ من غير الحسن لطالب العلم بخاصة، ولعامة الناس بعامة أن يسمع آيات كثيرة من القرآن، وهو لا يعلم معناها، تكرر عليه في الصلاة، وإذا سئل عن تفسيرها، لا يعلم معناها، كررت عليك سنين، ولا تجد في نفسك رغبة في معرفة تفسيرها! كلام هكذا بدون أن تعلم تفسيره، هذا لا شك أنه نقص، ولهذا ينبغي على العبد المؤمن أن يحرص كثيرًا على تفسير كتاب الله ﷻ، فهو النور الذي جعله الله ﷻ لعباده، كما قال الله ﷻ: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦]، فالقرآن نور ورسوله ﷺ المبلغ لهذا القرآن، والمبين لتفسيره نور، فمن أخذ بذلك، فقد أوتي أنوارًا في قلبه، لا يلتبس بعدها عنده الطريق.

القرآن فسره النبي ﷺ، لكن كان ما نقل من تفسير القرآن عن النبي ﷺ قليل، وليس بالكثير، ففسر النبي ﷺ آيات من كتاب الله ﷻ كقوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] فسرها النبي ﷺ بأن الظلم الشرك؛ كما جاء ذلك في الصحيح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: **«لَمَّا نَزَلَتْ الآية شَقَّ ذلك على الْمُسْلِمِينَ فَقَالُوا يا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّنَا لا يَظْلِمُ نَفْسَهُ قال ليس ذلك إنما هو الشِّرْكُ أَلَمْ تَسْمَعُوا ما قال لُقْمَانُ لِابْنِهِ وهو يَعِظُهُ:** ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾»، وفسر النبي ﷺ أيضا الخيط الأبيض والخيط الأسود في قوله سبحانه وتعالى في سورة البقرة: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] فسرها بأن الخيط

الأبيض والخيط الأسود هو طلوع الصبح وذهاب الليل(١)، فهذه جمل من تفاسيره ﷺ، فيما صح عنه كذلك فسر القوة في قوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] بأن القوة: الرمي، فقال في تفسيرها: «**أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ**»(٢).

إذا تبين ذلك، فإن المنقول عنه ﷺ في التفسير ليس بالقليل، ولكنه أقل مما نقل عن الصحابة رضي الله عنهم؛ وذلك لأن تفسيره كان بحسب الحاجة، فإذا احتاج الصحابة إلى التفسير، فسر لهم ذلك؛ كما فسر لهم قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] بأن الزيادة هي: النظر إلى وجه الله الكريم(٣)، وفسر الكوثر في قوله: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: ١]، وقال: «**الْكَوْثَرُ نَهَرٌ فِي الْجَنَّةِ وَعَدَنِيهِ رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ**»(٤)، وجاء في تفسيره أيضًا أنه قال: «**فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّى عز وجل عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي. فَيَقُولُ مَا تَدْرِى مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ**»(٥)، وهكذا في آيات كثيرة فسرها النبي ﷺ بحسب الحاجة، والصحابة رضي الله عنهم كانوا يهابون أن يسألوا رسول الله ﷺ عن تفسير عدد من الآيات، ويفرحون بأن يأتي أحد، فيسأل النبي ﷺ؛ حتى يتعلموا منه، مضى زمن النبي ﷺ، ثم لما كثر الناس، وضعف العلم بأحوال

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٧٩).

(٢) سبق تخريجه (ص٢٢٨).

(٣) سبق تخريجه (ص١٥٣).

(٤) سبق تخريجه (ص١٥٣).

(٥) أخرجه مسلم (٤٠٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

النبي ﷺ، والعلم بسنته ﷺ، والعلم بلغة العرب، احتاج الصحابة رضي الله عنهم أن يبينوا للناس القرآن، فكثرت تفاسير الصحابة رضي الله عنهم بالنسبة إلى تفاسير النبي ﷺ للقرآن؛ لأن داعي الحاجة كان أكثر. أما في زمن التنزيل الصحابة رضي الله عنهم يرون أسباب النزول، ويعلمون أن هذه الآية أنزلت في كذا، الآيات هذه أنزلت في القصة الفلانية في غزوة بدر، أنزلت في القصة لما حدث كذا، وكذا في غزوة أحد، وأنزلت كذا في بني قريظة، وهكذا في عدد كثير من الآيات، فعلموا أسباب النزول، فعلموا التفسير، ولهذا كان ما فسر لهم من القرآن قليلًا بالنسبة إلى كثير من الصحابة رضي الله عنهم؛ لأن علمهم بالقرآن كثير بما يعملون من لغة العرب، وبما شاهدوا من أسباب النزول، وبما يعلمون من سنة النبي ﷺ، وأيضاً كانوا أهل قرآن، فيفسرون بعض القرآن ببعض، ومع ذلك فربما لم يعلم بعض الصحابة رضي الله عنهم - مع جلالة قدرهم - تفسير بعضِ الآيات، فيعلمه الآخرون؛ لأن القرآن كثير الأوجه، كثير المعاني، من ذلك أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لما تلا سورة النحل على المنبر يوم الجمعة، وبلغ قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٤٧] قال ما التخوف؟ فقام رجل من المسلمين، فقال: يا أمير المؤمنين، التخوف في لغتنا: التنقص، قال شاعرنا الكبير الهذلي(١):

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرِدًا ... كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ

يعني: التخوف التنقص: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾، فسرها هذا الرجل باللغة، بأن معنى التخوف التنقص، يعني: يبدأ ينقصهم شيئا فشيئا، وهم

---

(١) سبق عزوه (ص١٥٤).

لا يتوبون، ولا هم يذكرون، يرون أنهم يتناقصون في ذواتهم، في الأفراد يتناقصون، في أموالهم يتناقصون، في صحتهم يتناقصون، في معايشهم، ومع ذلك لا يتوبون، ولا هم يذكرون، وهذا تفسير التخوف أحد وجهي التفسير في الآية آية النحل.

ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت لا أعلم تفسير: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ١٤] حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها - يعني: ابتدأتها من غير أن يكون قبل ذلك مكان للبئر -، قال: فعلمت أن معنى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني: الذي ابتدأهما من غير مثال سابق، وخلقهما من غير أن يكون قبل ذلك مثال(١).

وهكذا فالصحابة رضي الله عنهم استفادوا التفسير، وأفادوا، وكان كلام الصحابة في التفسير المنقول كثيرًا جدًا، فنقل عن أبي بكر رضي الله عنه تفسير آيات كثيرة، كما نقل عنه تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥] نقلت عنه تفاسير(٢)، عثمان بن عفان رضي الله عنه نقلت عنه أيضًا تفاسير، وعلي رضي الله عنه هو أكثر الخلفاء الذين نقل عنهم التفسير، وممن نقل عنهم التفسير من الصحابة رضي الله عنهم، وكانوا أوعية لتفسير القرآن ابن مسعود رضي الله عنه، فكان يقول: «**لو أعلم أن أحدًا في الأرض عنده علم في القرآن ليس عندي، تبلغه المطي لذهبت إليه**»(٣) أو قال: «**لرحلت إليه**»؛ وذلك لأنه صحب النبي صلى الله عليه وسلم زمنًا طويلًا، وشاهد التنزيل، من الصحابة رضي الله عنهم أيضًا ابن

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٢٨٣)، والقرطبي (١/ ٤٤).
(٢) سبق تخريجه (ص١٥٣).
(٣) سبق تخريجه (ص١٦٣).

عباس ﵄ فسر كثيرًا جدًا من القرآن، عائشة فسرت القرآن، أبي بن كعب فسر القرآن، وهكذا في عدد من الصحابة؛ لذلك صار كلام الصحابة في التفسير هو الدرجة الثانية في التفسير المنقول بالأثر. الدرجة الأولى التفسير بالسنة، الذي فسره النبي ﷺ بنفسه، فهذا أغلى وأعلى تفسير، إذا كان النبي ﷺ هو الذي فسر، فلا شك أن قوله في ذلك هو الذي يجب الأخذ به، والذي يجب اعتقاده، والذي يجب قبوله؛ لأنه لا أحد أعلم بمعنى كلام الله ﷻ من رسول الله ﷺ، فتفسير الصحابة كثير.

فمن أصول التفسير أننا نعتمد في التفسير على السنة، يعني: في الآثار تأتي منزلة القرآن في التفسير، ثم بعد ذلك تنظر في تفاسير الصحابة ﵃.

التفسير في مراتبه: النبي ﷺ فسر القرآن بالقرآن؛ كما ذكرت لكم في سورة الأنعام: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢] قال: «**إنما هو الشِّرْكُ أَلَمْ تَسْمَعُوا ما قال لُقْمَانُ لِابْنِهِ وهو يَعِظُهُ**: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾»، فهذا أصل في تفسير القرآن بالقرآن، فما كان مجملًا في آية، يجده أهل العلم بالتفسير مبينًا في آية أخرى، ما كان عامًا في آية، نجده خاصًا في آية أخرى، ما كان مطلقًا، نجده مقيدًا، وهكذا، فأعظم ما يفسر به القرآن القرآن؛ لأن الله ﷻ جعل القرآن متشابهًا، فقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٢٣] فالقرآن متشابه، يعني: بعضه يشبه بعضًا، ففي بعض الآيات نجد أنه ليس ثم تفسير للكلمة، تجد في الآية الأخرى تفسيرًا، مثل: اشتراط الإيمان في الرقبة في قوله ﷻ: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾ [النساء: ٩٢] في دية قتل الخطأ،

وفي أنواع من الكفارة قال: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ نعلم هنا أن الرقبة التي ذكرت في موضع تفسيرها أنها الرقبة المؤمنة، التي ذكرت في آية النساء.

فإذًا القرآن يفسر بعضه بعضًا، وأعلى ما يفسر به القرآن القرآن، ثم يفسر القرآن بسنة النبي محمد ﷺ، ثم بما أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم، ثم بما قاله جمهور الصحابة رضي الله عنهم، الصحابة تميزت تفاسيرهم بأشياء:

١ - أنها تفاسير من علموا القرآن، وعلموا السنة؛ لأنهم شهدوا التنزيل، ويعلمون سنة النبي ﷺ، وهدي النبي ﷺ.

٢ - تميزت تفاسير الصحابة رضي الله عنهم - وهذه هي الميزة الثانية - أن تفاسير الصحابة رضي الله عنهم تفاسير من شاهد التنزيل، وعلم أسباب النزول، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض كلام له: العلم بالسبب يورث العلم بالمسبَّب، يعني: إذا علمت سبب الشيء، عرفت المعنى، عرفت توجيه الكلام، عرفت المراد منه، فعلمهم بأسباب النزول، ومشاهدتهم لأسباب النزول يجعل تفاسيرهم في الغاية؛ لأنهم شاهدوا، وعلموا، فلن يفسروا القرآن بشيء يصادم أسباب النزول، أو يصادم سنة النبي ﷺ.

٣ - تميزت تفاسير الصحابة رضي الله عنهم بأنها تفاسير مأمونة من جهة الاجتهاد في اللغة؛ لأنهم أهل اللسان، ولا خطأ عندهم في اللغة، فإذا اجتهدوا في تفسير القرآن باللغة، فهو اجتهاد العالم البصير بلغة العرب؛ لأنه في زمن الصحابة رضي الله عنهم لم يفش اللحن في لغة العرب، وكان زمنهم زمن احتجاج في اللغة، فلم يأت فيه اللحن، ولم يداخل العرب الموالي من الناس من يمين وشمال، ممن أفسدوا بعد ذلك لسان العرب، فالصحابة اجتهادهم في اللغة

حجة ومقبول؛ لأنه ليس عندهم لحن، وليس عندهم غلط في اللغة.

٤ - أيضًا من مزايا تفاسير الصحابة ﭬ أن الصحابي إذا فسر في الأمور الغيبية، أو فسر في الأمور العملية، فإنه مأمون التفسير من جهة العقيدة؛ لأنهم هم قدوتنا، هم السلف الصالح الذين ﭬ، وأمرنا بالترضي عنهم: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فلهذا تفاسيرهم في الاعتقاد، في التوحيد، في الأمور الغيبية، في ذكر الجنة في النار، في الصفات، في توحيد الله ﻷ هي أعلى التفسير، وأصح التفسير؛ لأنه لم تحدث في عصرهم البدع، ولا الخرافات، ولا الفرق، ولا المحدثات؛ فلهذا تفاسيرهم من هذه الجهة مأمونة، فيتلقاها المسلم بطيب نفس، واتباع، وأخذ دون تردد فيما فسره الصحابة، وصح عنهم ﭬ.

٥ - تفاسير الصحابة ﭬ - أيضًا - تميزت بأنها وجيزة الألفاظ، كثيرة المعاني، وجيزة الألفاظ، قليلة الألفاظ، ولكنك إذا تأملت، وجدت أن فيها معاني كثيرة، يخرج منها العالم بعلم، يخرج منها المربي بأنواع من التربية والإرشاد، يخرج منها المتأمل بأنواع من الفوائد.

لهذا قال بن رجب في ذكر فضل كلام السلف على كلام الخلف قال: (كلام السلف قليل، كثير الفائدة، وكلام الخلف كثير، قليل الفائدة)، وهذا هو الحال، نجد للصحابي أو التابعي كلمتين ثلاث، لكنها تحرك النفوس، تشعل في القلب الإيمان، محبة الله ﻷ، ومحبة رسول الله ﷺ، ومحبة الدين، تشعل في القلب معرفة معاني الكتاب والسنة، وأما كلام المتأخرين

الخلف من أمثالنا - نسأل الله ﷻ أن يسلك بنا وبكم سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار - كلامهم كثير، لكن التحصيل الحاصل منه قليل، كلام كثير، لكنه قليل الفائدة، فهذه مزايا خمس لتفاسير الصحابة رضي الله عنهم، تجعل بعد ذلك منا أن نقول: تفاسير الصحابة رضي الله عنهم لا بد من العناية بها.

إذًا من أصول التفسير أن يفسر القرآن بتفاسير الصحابة رضي الله عنهم، إذا تبين ذلك، فنقول: الصحابة رضي الله عنهم في تفاسيرهم على أنحاء:

الناحية الأولى: أن يجمعوا على تفسير، فإذا أجمعوا على تفسير، لم يحل لأحد ممن بعدهم أن يخالفهم في التفسير، لمه؟ لأنه لا يمكن أن يحجب الصواب في التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم، ثم يدركه من بعدهم؛ لأن العلم بالقرآن لا بد أن يكون موجودًا في كل طبقة من طبقات الأمة، فإذا كان الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على أن تفسير الآية كذا، ثم حدث خلاف بعد ذلك في زمن التابعين، أو بعد ذلك، فنعلم أنه خلاف بعد انعقاد الإجماع، ومعنى هذا الخلاف أن هذا القول إذا قلنا بصوابه، فإنه يعني أن الصحابة رضي الله عنهم لم يعرفوا هذا القول، ومعنى ذلك أن جملة الصحابة لم يدركوا التفسير الصحيح لهذه الآية، وهذا لا شك أنه ظن سوء بخيرة خلق الله بعد رسله، وهم صحابة رسول الله ﷺ، فهذه الدرجة الأولى، أو الناحية الأولى.

الثانية: أن يختلف الصحابة رضي الله عنهم في التفسير، فإذا اختلفوا في التفسير فيكون القول لمن؟ هنا ننظر إلى تفاسير الصحابة، فإذا وجدنا أن التفاسير متفقة في الدلالة، لكن مختلفة في اللفظ، فتحمل بعضها على بعض، فمثلًا: في تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ فسرها بعضهم الصراط

المستقيم هو: القرآن، فسرها بعضهم بالسنة، الصراط المستقيم: محمد ﷺ، الصراط المستقيم: الإسلام[١]، هذه كلها، وإن اختلفت، فهذه كلها مجالها واحد؛ لأن من استمسك بالإسلام، فقد استمسك بالقرآن، ومن استمسك بالقرآن، فقد استمسك بالسنة، وهكذا. . .

فإذًا تارة يختلف الصحابة ﷺ في التفسير، لكن الناظر فيه يحمل بعض التفاسير على بعض، وهذه على القاعدة المعروفة عند أهل العلم بالتفسير أنه يحمل كثيرًا من اختلاف الصحابة ﷺ، بل الأكثر على اختلاف التنوع، لا اختلاف التضاد، يعني: أنه تنوعت عباراتهم، ومرادهم شيء واحد، بعضها يؤول إلى بعض، لا خلاف بينهم في ذلك، تارة يختلفون، ويكون الاختلاف - وهو قليل - اختلاف تضاد، يعني: هذا في جهة، وذاك في جهة، يعني: لا يمكن أن نقول: هذا يحمل على هذا، فإذا وجد هذا الاختلاف - اختلاف التضاد -، فينظر فيه على النحو التالي:

أولًا: ينظر هل صح هذا التفسير عن الصحابي، أم لا؟ فنبحث في صحة التفسير عن الصحابي، فقد لا يكون صحيحًا، فعندئذ يلغى الاختلاف، فلا يكون ثم خلاف في التفسير، أو معارضة بين قول وقول. فنحن نرى مثلًا في تفسير ابن جرير الطبري، أو في تفسير ابن أبي حاتم، أو في تفسير عبد الرزاق، تفاسير منقولة بالأسانيد، فننظر تفسير الصحابي: هل هو صحيح بدراسة الإسناد على طريقة أهل التفسير؟ هل هو صحيح أم ليس بصحيح؟ فإذا لم يكن صحيحًا، الحمد لله استراح الباحث، وقال: القول

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١/ ١٤٧)، وابن كثير (١/ ٥٠)، ومجموع فتاوى ابن تيمية [التفسير (٢/ ٣٢٤)].

في تفسير الآية لا خلاف فيه، يعني: أن المخالف لم يصح عنه ذلك التفسير.

الحالة الثانية: أن تكون التفاسير صحيحة، هذا صحيح، وهذا صحيح فهنا أي شيء يرجح؟ فننظر إلى الترجيح بالكثرة، فما فسره الأكثرون من الصحابة، فهو أولى من تفسير الأقل، هذا وجه.

الوجه الثاني: من أوجه الترجيح، وأوجه الترجيح كثيرة جدًا جدًا، وثم كتب أو بحوث معاصرة جيدة في هذا الموضوع، ربما يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

إذا وجدنا أن الحالة الأولى، ما الحالة الأولى؟ يعني: الترجيح بالعدد، ترجيح بالعدد هذا الأكثر، وجدنا أنه الترجيح بالعدد غير ممكن، أو أن المفسر صاحب جلالة وقدر مثل: ابن مسعود رضي الله عنه، فسرها علي رضي الله عنه، فسرها ابن عباس، فماذا نقول في ذلك؟

هنا ننظر إذا كان يمكن أن يصحح كل من القولين، فيصحح، فنقول: ثم خلاف في الآية، فبعض أهل العلم فسرها كذا - يعني: بعض الصحابة -، وبعضهم فسرها كذا، فإذا أتى المجتهد في التفسير، ورجح، فيرجح بأمور كثيرة، تارة بالقراءات، تارة يرجح بدلالة اللغة، تارة يرجح بالسياق، تارة يرجح بالأصول - أصول الفقه - مثلًا بحمل المشترك على المعنيين جميعًا، إذا كان اللفظ مشتركًا، أو ببقاء العام على عمومه، يعني: في أنحاء يطول الكلام على تفصيلها في أوجه الترجيح عند خلاف المفسرين، الصحابة رضي الله عنهم، - هنا تنتقل إلى المرحلة الثانية - كونوا مدارس في التفسير، نقلت هذه

المدارس إلى التابعين، طبعًا كل صحابي عنده طلاب، نقل لهم التفسير، علمهم التفسير، فستكون مدرسة ابن مسعود رضي الله عنه تمثل تفسير ابن مسعود، مدرسة ابن عباس رضي الله عنهما في مكة تمثل تفسير ابن عباس، مدرسة أبي وعلي رضي الله عنهما في المدينة تمثل تفسير علي وأبي، وهكذا، ولذلك نشأت في الأمور الاجتهادية في التفسير مدارس مختلفة، لها مزايا، فمثلًا: تجد أن الكوفيين من أصحاب ابن مسعود من التابعين ومن تبعهم، تجد أنهم يرجحون بأسباب النزول، أو بتفسير القرآن بالقرآن؛ لأن ابن مسعود كان يعتني كثيرًا بأسباب النزول، وكان يقسم، ويقول: «**والله ما من آية إلا وأنا أعلم متى أنزلت؟ وأين أنزلت؟ وفيم أنزلت؟**»[(١)] فهذا له وجه، فتنظر الآن في مدرسة أصحابها يرجحون، أو ينظرون إلى أسباب النزول؛ لأن صاحب التفسير الذي علمهم ابن مسعود رضي الله عنه، علمهم على ذلك، ابن عباس رضي الله عنهما كان يفسر كثيرًا بالاجتهاد باللغة، ونقل عنه من التفسير بأشعار العرب شيء كثير؛ لأنه يقول: القرآن نزل بلسان عربي مبين، والسنة التي نقل فيها التفسير، أو التي فسر فيها القرآن قليلة، ولذلك كان لا بد من الاجتهاد، بأي شيء يجتهد؟ يجتهد بالنظر في اللغة؛ لهذا تجد أصحاب ابن عباس رضي الله عنهما، مدرسة ابن عباس في التفسير يهتمون بالنظر اللغوي، ابن عباس رضي الله عنه كان عالمًا باللغة حق العلم، كان عالمًا بأشعار العرب، ولما فسر القرآن في صحن الكعبة - يعني: في صحن الحرم -، أتاه رجلان من الخوارج، فقال أحدهما للآخر: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن - يعني: ابن عباس رضي الله عنهما - نسأله عن مصادقه من لغة العرب، فقاما، ثم أتيا ابن عباس، فقالا: إنا

---

(١) سبق تخريجه (ص١٦٦).

سائلوك عن بعض الآي، على أن تخبرنا بمصادق ما تقول من كلام العرب، يعني: أعطنا الدليل بتفسيرها بهذا التفسير، أعطنا الدليل من كلام العرب؛ لأن القرآن أنزل بلسان عربي، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: سلا عما بدا لكما، فلما بدأ السائل قال: أخبرنا عن قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] الآية في سورة المائدة ما الوسيلة؟ ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: الوسيلة: الحاجة، يعني: إذا كان لك حاجة، لك طلب ابتغه عند الله عز وجل، وابتغوا إليه الوسيلة، يعني: الوسيلة: حاجات المرء وطلباته عند الله سبحانه وتعالى، لا عند غيره، فقالا له: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، ألم تسمعا إلى قول عنترة[1]:

إنّ الرجالَ لهم إليكِ وسيلةٌ إنْ يَأْخذوكِ تكحَّلي وتخضَّبي

يعني: لهم حاجة الزواج، فاستعدي: تكحلي، وتخضبي، وحني يديك . . . إلى آخره من التزين، قالا: فما معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج: ٣٧] ما العزون؟ فقال ابن عباس رضي الله عنهما العزون: الجماعات في تفرقة، يعني جماعات حلق، هذه جماعة، وهذه جماعة، وهذا معنى العزين ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ۝٣٧﴾ يعني: متجمعين، يعني هنا مجموعة، وهنا مجموعة، جماعات في تفرقة، قال ابن عباس: العزون الجماعات في تفرقة، فقالا له يا ابن عباس: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، ألم تسمعا إلى قول الشاعر[2]:

فجاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا

---

(١) سبق عزوه (ص١٥٥).

(٢) سبق عزوه (ص١٥٥).

وهكذا في أسئلة تبلغ أربعين سؤالا يحفظها طلبة العلم.

إذا تبين ذلك، فابن عباس ﵁ هذه مدرسته في التفسير.

في المدينة مدرسة التفسير بما ينقل عن النبي ﷺ، وتفسير القرآن بالقرآن، والاقتضاب في ذلك قدر الإمكان، هذه نقلت، ونقلت حتى تدون ذلك في كتب التفسير، لما تدون ذلك في كتب التفسير، صار عندنا نوعان من كتب التفسير:

النوع الأول: من اعتمدوا في تفاسيرهم على الأثر، ينقلون بالإسناد: حدثنا عبد الرزاق، قال: حدثنا معمر، قال: حدثنا الزهري، ثم يكمل إلى النبي ﷺ، أو إلى الصحابي ﵁، فهذا التفسير بالأثر، يعني: اقتصروا في تفاسيرهم على إيراد الأسانيد، دون ذكر أشياء أخر، فهذه بها يعلم طالب العلم ما نقل عن السلف من الصحابة، والتابعين، وتابعي التابعين في التفسير، وهذه يمثلها تفسير عبد الرزاق الصنعاني، وتفسير الإمام أحمد، وتفسير ابن أبي حاتم، وتفسير ابن مردويه، وتفسير ابن المنذر، وتفسير ابن جرير الطبري، وتفسير ابن كثير، وكثير من التفاسير على هذا الغرار.

النوع الثاني: من أثر مدرسة ابن عباس، وهو الاجتهاد بالاستنباط والاجتهاد باللغة نشأت مدرسة أيضًا في تفسير القرآن بالاجتهاد، يعني: ينظرون فيه بالأوجه النحوية، ينظرون إليه بالأوجه العربية، ينظرون ما دلت لغة العرب، ويفسرون بذلك، لكن هذا الاجتهاد والاستنباط لابد أن يكون اجتهادًا واستنباطًا صحيحًا، وهي **مدرسة التفسير بالاجتهاد بالرأي**، يعني: بالاجتهاد والاستنباط، وهذه كثيرة، ابتدأت - كما ذكرنا - من القرن الأول

ثم الثاني، وثم كتب كثيرة في التفسير.

إذًا الأصل الثالث من أصول التفسير، يعني: المقدمة الثالثة أن يعلم طالب العلم أنواع التفاسير، لا بد أن تعرف أنواع التفاسير؛ لأنك ستقرأ في تفسير، هذا التفسير هل هو صحيح أو ليس بصحيح؟ مأمون أو ليس بمأمون؟ نقرأ، أولا نقرأ؟ هذا مبني على أن التفسير لا بد أن يحدد نوعه، فلهذا التفاسير - كما ذكرت لك - في الدنيا بلا عدد، إن التفاسير في الدنيا بلا عدد، التفاسير كثيرة، ولكنها على قسمين:

القسم الأول: تفاسير بالأثر.

القسم الثاني: التفاسير التي يورد فيها الاجتهاد والاستنباط.

طالب العلم أول ما يقرأ في تفسير الآية لابد له أن يهتم بالتفاسير بالأثر، لابد أن يعلم تفسير الآية بالقرآن، تفسير الآية بالسنة، تفسير الآية بكلام الصحابة ﭫ، تفاسير الصحابة؛ لأن هذا - كما قلنا - هو التفسير المأمون، إذا استنفد ذلك، ومضى عليه، ورأى ما في كتب التفسير بالأثر، فهنا له أن ينتقل إلى كتب التفسير بالاجتهاد والاستنباط، كتب التفسير بالاجتهاد والاستنباط كثيرة جدًا - كما ذكرنا -، وتتنوع في أربع مدارس - ذكرناها لكم في محاضرة مضت -: تفاسير الاجتهاد اللغوي، الاجتهاد الموسوعي وتفاسير ماذا؟ أثم أحد يتذكر معنا؟ إذًا لا بد أن نعيدها كلها، التفاسير بالاجتهاد تنوعت، مدرسة التفسير بالرأي إلى أربعة مدارس، وهذه الكتب موجودة.

أولًا: مدرسة التفسير بالرأي العقدية، يعني: تجد المفسر يفسر، ويروم

تقرير عقيدته من خلال التفسير بالرأي: عقيدة المعتزلي مثل: الزمخشري في الكشاف، وجماعات من الأشاعرة في تفاسيرهم مثل: النسفي، وأبي السعود، والرازي، وجماعات فسروا ليقرروا عقائدهم في التفسير، فتجد أنهم ما من آية يمكن أن يستدل بها في مسألة من مسائل العقيدة، أو فيها إشارة إلا ويقرر عقيدته، المعتزلي يقرر عقيدته، والرافضي يقرر عقيدته، والأشعري يقرر عقيدته، والإباضي يقرر عقيدته من خلال التفسير، وهذه مدرسة كبيرة، وحمى الله ﷻ هذه البلاد من كثير من كتب هذه المدرسة في التفسير، وهي مطبوعة موجودة.

ثانيًا: النوع الثاني من المدارس مدرسة التفسير الفقهي: يعني: بالرأي، لكن يروم أن يفسر تفسيرًا فقهيًا، لماذا؟ لأن المفسر همه الفقه، تجده يفسر تفسيرًا فقهيًا، هذا همه، فقيه هو، فأراد أن يقرر الفقه، طبعًا المفسر الذي له العناية بالفقه، إذا أتت المسائل الأخرى كالتفسير بالأثر، التفسير بالاجتهاد من جهة اللغة، ليس هو في منزلة المفسرين الأولين أصحاب التفسير بالأثر، فإذا عرفت أن هذا التفسير تفسيرًا فقهيًّا، فلا شك لا تعتمد عليه مائة في المائة - كما يقولون -، في التفسير، أوالترجيح بين التفاسير فيه عن السلف ونحو ذلك؛ لأنه تميز بالتفاسير الفقهية مثل: (أحكام القرآن) للكيا الهراس، و(أحكام القرآن) للقرطبي وكثير من التفاسير.

ثالثًا: المدرسة الثالثة من مدارس التفسير التفاسير اللغوية، وهذه قد تكون بلاغية، وقد تكون نحوية، مثل: البحر المحيط، وقد تكون بلاغية مثل: الكشاف، وأبي السعود، وغيره، وقد تكون من جهة الاشتقاق يعني: يبين لك أصول الكلمة وارتباطها، أو المفردات مثل: (مفردات الراغب)،

وأشباه ذلك، مثل: (تفسير ألفاظ الكتاب) للسمين الحلبي وجماعة، يعني: أرادوا البحث اللغوي، تجد أنه عنده الآية ممكن يفسر صفحتين ثلاث في خلاف نحوي، هذا ما يحتاجه طالب العلم، ما يروح واحد يقول: أنا أقرأ (البحر المحيط)، (البحر المحيط) ما يصل معه المبتدئ، أو الذي يريد التفسير يصل معه إلى تفسير الآية، هذا للمتخصص في اللغة، وعنده علوم كثيرة؛ حتى يعرف مراد أبي حيان الأندلسي في تفسير الآية، كذلك التفاسير البلاغية والإعرابية ونحو ذلك.

رابعًا: النوع الأخير من مدرسة التفسير بالرأي، وهي مدرسة التفسير الموسوعية، التي فيها كل شيء، يأتي بالعقيدة، ويأتي بالنحو، ويأتي باللغة ويأتي بالفقه، ويأتي بالأثر، يأتي بكل شيء، وهذا من مثل تفسير الألوسي (روح المعاني) وغيره من كتب التفسير.

المقصود من ذلك أن طالب العلم حتى يطلب علم التفسير لا بد أن يحدد المدرسة - مدرسة هذا المرجع -، إذا حدد المدرسة، استطاع أن يتعامل مع الكتاب على وجه الصواب، وإذا لم يحدد المدرسة، يقول: أنا قرأت في التفسير الفلاني كذا، طيب هل هذا كل ما في كتب التفسير صحيح؟ لا، لا بد أن يرتب درجات النظر في معرفة تفسير كلام الله العزيز ﷻ.

إذا تبين هذا، فمن أصول التفسير أيضًا أن التفاسير - كما ذكرنا - كثيرة ومتعددة، وقد يكون في كثير منها خلل في العقيدة، أو ضلال في أبواب التوحيد، أو خلل في أغلاط من حيث المنهج في تقديم تفاسير الصحابة ونحو ذلك، أو عدم العناية بهذا، هذه تفيدك في معرفة أن المفسر كلما كان

أقعد بمعرفة العقيدة وأصول السلف، كان تفسيره أسلم، وكان ترجيحه أقوى؛ لذلك تجد أن شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم - رحمهما الله تعالى - في مدرستهما في التفسير عندهما العلم الوافي الراسخ في التوحيد والاعتقاد، وفي اللغة، وفي معرفة أصول السلف، وتفاسير السلف، فإذا اجتهدا، أو قررا، فإنه تقرير مأمون على التفسير، ولذلك تجد أن العلماء والمحققين أخذوا بتفاسيرهما وبترجيحهما في تفسير آيات كثيرة، تبعهم على ذلك الحافظ عماد الدين ابن كثير، ولهذا تجد أن علماء الدعوة - رحمهم الله تعالى -، والعلماء المعاصرين من أنصار التوحيد والملة، تجد أنهم يوصون بتفسير ابن كثير لمه؟ لأن تفسير ابن كثير جمع تفسير بن جرير، فنظر فيه، وناقشه في مواضع كثيرة، وغلط ابن جرير في مواضع كثيرة، وأيضًا نظر في التفسير على الأصول: تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة وبأقوال الصحابة. . . إلى آخره، كما بين في مقدمته، وفي الترجيح نظر إلى أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية، وكان ذلك أمام عينيه، وترجيحات شيخ الإسلام ابن تيمية ظاهرة في تفسير ابن كثير، مثلًا: عند تفسير قوله ﷻ في سورة الكهف: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾ [الكهف: ٢١] يعني: على قبرهم نتخذ مسجدًا، من هم الذين غلبوا على أمرهم؟ في التفسير قال: المسلمون، يعني: الذين كانوا مسلمين في وقت أصحاب الكهف، وقال آخرون: ليسوا بالمسلمين، وإنما هم المشركون؛ لأن اتخاذ المساجد على القبور والبناء عليها هذا مما نهت عنه الرسل، فلا يمكن أن يكون أولئك من المسلمين، فجاء ابن كثير رحمه الله قال: والصحيح أن الذين غلبوا على أمرهم هم الكبراء، وأهل النفوذ، يعني: الولاة والحكام، رأوا

هؤلاء صالحين، فهؤلاء صالحون، هم الذين غلبوا، هذا أيضًا مفهوم ومدرك من كلمة غلبوا على أمرهم، من صاحب التغلب؟ الذي يلي الأمر هو صاحب التغلب، وصاحب الغلبة فقال: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوٓاْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾ [الكهف: ٢١] فصار التفسير أنهم ليسوا بالمسلمين، فليس فيه حجة لاتخاذ المساجد على القبور، وليسوا بالمشركين أيضًا في زمنهم، وإنما قاله الكبراء وأهل النفوذ فيهم(١)، فهذا نوع من الترجيح في التفسير، يتبع صحة العقيدة، ويتبع صحة التفسير اللغوي، فتلحظ أنه متفق مع أصول الدين، مع أصول الإسلام، وأصول التوحيد، ومتفق أيضًا مع التحليل اللغوي، وهذه مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم - رحمهما الله -، شيخ الإسلام تكلم في مجلد أو مجلدين، طبعت مؤخرًا في (تفسير آيات أشكلت)، حتى لا تكاد تجد في كتاب من كتب التفسير القول الصواب فيها، تكلم عليها شيخ الإسلام في مجلدين في (تفسير آيات أشكلت)، هذا عنوان الكتاب (تفسير آيات أشكلت) حتى لا تكاد تجد في تفسير القول الصواب فيها، وهذه - لا شك - مدرسة، فيها العلم والمعرفة.

من المقدمات المهمة في علم التفسير أن يرتب طالب العلم نظره في التفسير بترتيب منهجي، وهذا سبق أن ذكرناه مفصلًا في كلمة أو محاضرة بعنوان: المنهجية في قراءة كتب التفسير، أو كيفية دراسة التفسير، هذا مهم أن طالب العلم يسمع ذلك، فيه ترتيب مطول، تبدأ بأي شيء حتى تفهم التفسير؟ بأي الكتب؟ وكيف تنمي نفسك؟ كيف تحفظ وتترقى شيئًا فشيئًا في ذلك؟ فيرجع فيه إليه.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٠٦)، وزاد المسير (٥/ ١٢٣).

من المقدمات المهمة في دراسة التفسيرات أن يرتب طلب العلم - ليس الذي يريد معرفة تفسير الآية، ولكن الذي يريد أن يكون عنده معرفة بكلام الله ﷻ - أن يرتبه على منهجية، وعلى خطوات محددة، الواحدة لابد أن تكون تلو الأخرى، بعد هذه المقدمات نأتي إلى أصول عامة في التفسير.

أولًا: الرأي في التفسير محرم، فقد جاء في الحديث: «**مَنْ قَالَ في الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[1] وجاء: (**مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ**)[2] قال أهل العلم: الحديث الأول محمول على من فسر القرآن بهوى، له هوى في أن يجعل الآية كذا، فمن فسر القرآن برأيه، وبدعته المذمومة؛ ليجعل القران ناصرًا لبدعته المذمومة، فإنه متوعد بأن يتبوأ مقعده من النار؛ لأن ذلك قول على الله بلا علم، والله ﷻ قرن القول عليه بلا علم بالشرك والعياذ بالله.

الحديث الثاني: «**مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ**» حتى ولو أصاب، فقد أخطأ، ويأثم؛ لأنه تجرأ على تفسير القرآن دون ملكة، مثل ما يقوله البعض، أو يأتي خطيب مثلًا يتكلم، أو محاضر ما يتعلم تفسير الآية، وليس عنده ملكة في التفسير، فيجتهد فيها من ساعته، وهو لا يعلم التفسير - تفسير الآية -، ولا يعلم كلام أهل العلم فيها، وليس عنده معرفة راسخة بالعقيدة وباللغة، حتى يمكن أن يكون اجتهاده على وجه صواب، فلهذا هنا من فسر القرآن برأيه، يعني: الذي نشأ عن جهل بأدوات التفسير، فإنه أخطأ، ولو أصاب، حتى لو وافق قوله الصواب، يقول لك: أرجع إلى كتب

---

(١) سبق تخريجه (ص٩٥).

(٢) سبق تخريجه (ص٩٥).

التفسير، راجعت كتب التفسير، وجدت هذا القول، لكن حين تكلم هل تكلم بعلم أو برأي؟ تكلم برأي لا بعلم. هذا هو الذي جاء الحديث فيه: أخطأ وإن أصاب؛ لأنه فسر برأيه، ولم يفسره بحجة، وإنما برأيه المجرد.

فإذًا يجتنب طالب العلم، وهذه من المقدمات المهمة أن يجتنب تفسير القرآن بالرأي، الذي ليس ناشئًا عن علم؛ لأنه جرب أن من فسر القرآن بذلك مع كونه يأثم، وأنه وإن أصاب، فهو مخطئ، فكيف إذا أخطأ، لكنه يحرم بركة التفسير، ولا يعلم التفسير؛ لأنه يتجرأ، وكلام الله ﷻ لا بد أن تأخذ القلوب هيبة من بيان معانيه إلا بعلم وحجة، هذا كلام من؟ كلام الله ﷻ وتقدست أسماؤه وصفاته.

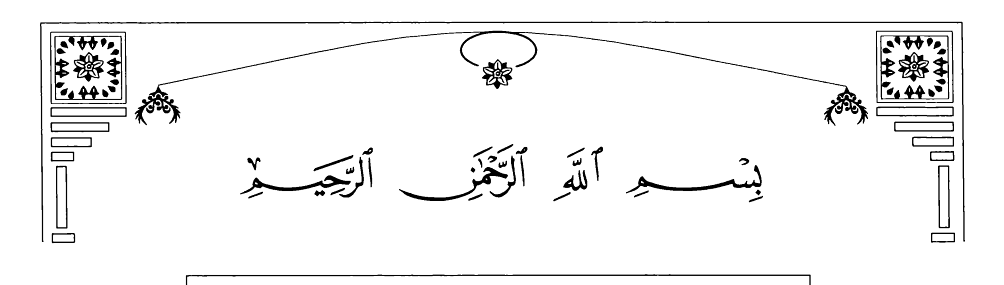
فإذًا من المقدمات المهمة أن يسعى طالب العلم في معرفة التفسير على ما قاله أئمة التفسير، أن يعرف ما أجمع فيه من التفاسير، والخلاف كيف ينظر إلى الخلاف؟ على ما ذكرنا من التفصيل المقتضب، ثم بعد ذلك يمكنه أن يتهيأ له بعد دراسته، وطلبه لعلم التفسير أن يتكلم في التفسير بعد معرفة كلام أهل العلم.

من المقدمات المتصلة بذلك أن التفسير ليس مجال إصلاح للنفوس بالجهل، هو مجال لإصلاح النفوس بالعلم؛ لأن القرآن يهدي للتي هي أقوم: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، فإذا فسر القرآن عالم، فإنه يهدي به النفوس والقلوب؛ لأن القرآن كتاب هداية، لكن يأتي كل أحد، خاصة من الشباب مثلًا، أو في الجلسات، أو يقرأ القرآن، وهذا يفسر، يقول: والله هذا الذي ظهر لي من الآية، أو يجتهد في أمور عاطفية،

أو دعوية، ويستخرجها من القرآن، هذا باب ضلال، ومن تجرأ على ذلك، فقد تجرأ على أمر عظيم، يخشى عليه معه أن يكون مرتكبًا لإثم عظيم، فليس القرآن مجال رأي وتجارب ونظر، يقول: يظهر لي من الآية كذا، والآخر يقول، يظهر لي كذا، وهذا يطبق معلومة نحوية عنده ضعيفة، درسها في الكلية، ويطبقها في التفسير، وخذ من الكلام الذي يدل على عدم الهيبة من كلام الله ﷻ، هذا كلام من؟ كلام الله سبحانه وتعالى، إذا كان الناس - ولله ﷻ النعت الأعلى -، إذا كان الناس لا يرضى بعضهم أن يفسر الآخر كلامه على غير وجه الصواب، فكيف يتجرأ أحدنا على تفسير كلام الله ﷻ بخواطر - كما يسمونها - خواطر دعوية، أو خواطر إصلاحية، أو نحو ذلك مما ليس له مرجع وتأصيل جيد في معرفة التفسير.

فإذًا التفسير علم صعب، وليس بالسهل، ولهذا قال قائل من أهل العلم: العلوم ثلاثة، منها ما لم ينضج، ولم يحترق، وهو التفسير، قال: العلوم ثلاثة، علم نضج واحترق، وعلم نضج ولم يحترق، وعلم لم ينضج ولم يحترق، وهو التفسير، ليس معنى ذلك أننا نجتهد، وكل واحد يتكلم بما يظهر له، لا، لكن كلام أهل العلم، فإذا أتى العالم والعارف بالتفسير، فإنه يتكلم كلامًا حسنًا على تفسير الآية؛ لهذا نقول: إصلاح الناس إنما هو بالقرآن، إصلاح الناس إنما هو بالتفسير، إصلاح الناس ببيان معاني الكتاب والسنة، فإذا نظر الناظر - طالب العلم - في المعاني، ونظر في التفسير، وكان عنده دربة في ذلك، وراجع التفسير، فإنه يمكن طالب العلم أن يدعو الناس بعلم، وبتفسير الآي تفسيرًا صحيحًا، وهذا يكون أدعى إلى قبول كلامه، وإلى النور على كلامه، كما ذكرت لك هذه كلمات موجزة تناسب

هذا المقام المختصر، وإلا فإن أصول التفسير ومعرفة علوم التفسير هذا أمر عظيم وطويل، ويحتاج إلى محاضرات ومحاضرات كثيرة، ودروس متنوعة فأسأل الله ﷻ أن يجعل هذا القليل فاتح خير لسامعه، وللمتكلم به، وأن يجعلنا وإياكم من الهداة المهتدين، وأن يوفقنا، وأن يجعل القرآن حجة لنا لا حجة علينا، وأن يعلمنا منه ما جهلنا، وأن يذكرنا منه ما نسينا؛ أنه - سبحانه - جواد كريم، وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد.



أيهما أفصح دِلالة، أم دَلالة؟

س ١٩٣: هل الأفصح دِلالة، أم دَلالة؟

الجواب: هناك من يقول هذا، ومن يقول هذا، لكن لعل الصواب أن كلا التعبيرين، كلا الضابطين صحيح، لكن دِلالة تكون في شيء، ودَلالة تكون في شيء، منهم من قال: إن دِلالة بالكسر في الماديات، والدَلالة بالفتح في المعنويات، نقول: هذا الحديث فيه دَلالة على كذا، لكن إذا كانت ماديات نقول: دِلالة على مكان، ودِلالة على الفهم كذا، ومنهم من يعكس، فيجعل الكسر كذا، ومنهم من يجعلها متساوية، وهي مبحوثة في أول أصول الفقه في الأدلة. [**شرح مسائل الجاهلية**].

حكم ادعاء المجاز في الغيبيات

س ١٩٤: يقول القائل عن المجاز: بل هو أسلوب من أساليب العرب، والقائلون به يقولون: هو مجاز، وعليه فالخلاف لفظي، ولا مشاحة في الاصطلاح؛ لأن الخلاف لا أثر له، فما قولكم؟

الجواب: هذا القول باطل، وغلط كبير؛ لأن المجاز - كما عرَّفته لك

بنقل تعريف الأصوليين - هو: نقل اللفظ من وضعه الأول إلى وضع ثان لعلاقة بينهما.

إذا كان النص في أمور غيبية مثل: صفات الله ﷻ، أو صفات الملائكة، أو صفات الجنة والنار، أو صفة ما يحدث يوم القيامة، أو ما في البرزخ في القبور، ونحو ذلك، إذا كان اللفظ في أمور غيبية، فإنه لا يجوز دعوى المجاز فيه، ومن ادعى المجاز فيه، فهو من جملة أهل البدع، لمه؟ لأن المجاز في تعريفه: نقل اللفظ من وضعه الأول إلى وضع ثان لعلاقة، لم نقلوه؟ لعدم المناسبة، فالوضع الأول لابد أن يكون معلومًا، ثم ينقل من الوضع الأول إلى الوضع الثاني لعلاقة بينهما، لعدم مناسبة الوضع الأول.

نقول: هذا لو طبقوه، لرجع عليهم بإبطال كل ما ادعوا فيه المجاز من المسائل الغيبية؛ لأن كل من قال بالمجاز في آية، أو في حديث، في أمر غيبي، قل له: لمه؟ سيقول: لأن هذا اللفظ ليس لائقًا، وننقله عن ذلك. فتقول له: وما أدراك عن الوضع الأول؟ الوضع الأول يعني: اللفظ الذي وضعته العرب أول ما وضعت الكلام لهذا المعنى، فمثلًا: لفظ الأسد هو للحيوان المفترس، نقل من الحيوان المفترس إلى الرجل الشجاع، فإذا قلت: رأيت أسدًا. احتمل الكلام أن تكون رأيت الحيوان المفترس المعروف، أو رأيت الرجل الشجاع، لكن إذا قلت: رأيت أسدًا، فكلمني. هذا انتهى الأول، هذا ظاهر، لمه؟ لأن دلاله السياق حددت لدلالة الشيء، وحددت لك المراد، لكن في مثل قوله جل جلاله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١] قالوا: الرحمة مجاز عن الإنعام، يعني: أن الرحمة لها معنى في أوله، وهو الذي يحس به المخلوق حين يرحم، ثم نقل إلى وضع ثان، وهو الإنعام؛

لعدم مناسبة الوضع الأول لله ﷻ، فتسأل هذا الذي ادعى المجاز، تقول له: ومن قال لك: إن الرحمة وضعت أولًا في كلام العرب للرحمة التي يحس بها الإنسان؟ هذه دعوى لا يمكن لأحد أن يقول: الوضع الأول في المعاني هو كذا، هذا من العسير أن يقول: الوضع الأول هو كذا، تقول له: ما الدليل على أن الوضع الأول هو كذا؟ ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾، قال: هذا مجاز، لمه؟ قال: لأن الجناح للطائر، فنقول بأنه مجاز؛ لأن الجناح للطائر، فننقله من الوضع الأول إلى الوضع الثاني بالاستعارة، كما يقولون: الآية فيها استعارة، نقول: ومن قال: إن العرب وضعت لفظ الجناح للطائر؟ ما الدليل؟ نقف معك، لا دليل، وهكذا في مسائل كثيرة في الصفات والغيبيات، . . . إلى آخره، فالمقصود من ذلك أن دعوى المجاز في الصفات باطلة، ولا دليل واضح علمي بتطبيق ما قرروه في تعريف المجاز على ما ادعوه، فمن قال: إن في آيات الصفات، أو الآيات الغيبية مجازًا. فنقول: هذا باطل مخالف للعقيدة (عقيدة السلف الصالح) إذا قال في غير آيات الصفات: إنه مجاز، نقول: الخلاف هنا أدبي، من قال في لفظ من الألفاظ في غير القرآن: إن هذا فيه مجاز، نقول: المسألة سهلة؛ لأنه لا تعرض فيها للصفات، ولا للغيبيات، فمن قال: هذه الكلمة فيها مجاز، أو بيت الشاعر هذا فيه مجاز، ونحو ذلك. نقول: الأمر سهل؛ لأنه ما ينبني عليه خلل في العقيدة، فإذا ادعى المجاز في المسائل الغيبية في الصفات، أو الغيبيات، فهذا مخالف للعقيدة، إذا قيل بالمجاز في غير آيات الصفات والمسائل الغيبية، فنقول: هذا خلاف أدبي، منهم من يرجح أنه لا مجاز، ومنهم من يرجح أنه في اللغة مجازٌ، وهل القرآن فيه مجاز، أم لا؟

أيضًا ثم خلاف: من القواعد المقررة عند القائلين بالمجاز أن كل مجاز يصح نفيه، فإذا قلت: رأيت أسدًا، فكلمني. جاز أن تقول بعدها مباشرة: ولكنه ليس بأسد، تعني الوضع الأول، ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ يصح أن تقول بعدها عندهم: ولكنه ليس بجناح، تريد جناح الطائر، ومن المجمع عليه أنه لا يجوز أن ينفى شيء في القرآن، وهذا من المرجحات لعدم جواز المجاز في المنزَّل للتعبد والإعجاز.

كل مجاز يصح نفيه، إذا كان في غير آيات الصفات والغيبيات، يصير سهلًا، لكن في القرآن كله لا، ليس لفظيًا، النزاع حقيقي؛ لأن هل تؤول الآيات والصفات، أم لا تؤول؟ **[شرح العقيدة الواسطية]**.

مذهب أهل السنة في المجاز

البلاغة ثلاثة أمور: المعاني، والبيان، والبديع.

المعاني: جيد وسليم؛ لأنه من باب لطائف الكلام، وهو معروف عند العرب، ويقره أئمة أهل السنة.

والبديع: محسنات لفظية مثل: الجناس، والطباق، . . . إلى آخره، وهذه أيضا لا إشكال فيها، وإن كان قد غلا فيها الأعاجم، فحولوا الكلام إلى محسنات بديعية متكلفة، فحرفت الكلام عن وجهته اللغوية الغضة اللينة إلى تكلف في الكلام لا ينبغي؛ لذلك انحط كلام المتأخرين، سيما من الأدباء، انحط إلى تكلف في الصناعة البديعية، حتى صار الكلام صعبا فهمه، صار الكلام لا يستلذ له سامع.

بقي البيان: البيان قائم على ثلاثة أشياء: قائم على التشبيه، والكناية، والمجاز.

التشبيه صحيح، ولكنه ليس من المجاز، التشبيه مستقل، تشبيه الشيء بشيء آخر، المماثلة بين الشيئين، أو تشبيه الشيء بشيء آخر، نقول: هذا صحيح، والعرب تشبه، وفي القرآن أمثال كثيرة وتشبيهات كثيرة، وهو حق في نفسه، وله فوائد أيضا كثيرة في اللغة وفي البلاغة.

الكناية: هو أن تكني عن شيء بشيء آخر، أيضًا صحيح، ومن جهتين: من جهة العرب أحدثت ألفاظًا مفردة؛ لتكني باللفظ عن شيء آخر؛ كما أحدثوا لفظ الغائط، مع أنه المكان المنخفض؛ ليكنوا به عن قضاء الحاجة، وكذلك كنوا عن جماع الرجل لأهله بإتيان الرجل أهله، أتى الرجل أهله، وأشباه ذلك مما هو معروف، فالكناية صحيحة، بقي المجاز.

المجاز: مبناه - في تعريفهم - على أن الألفاظ فيها حقيقة، وفيها مجاز، وأن الحقيقة هي: إرادة الوضع الأول باللفظ، والمجاز: إرادة الوضع الثاني باللفظ، فإذا نقلنا اللفظ من حقيقته الأولى لحقيقته الثانية لقرينة، سموا هذا مجازًا، وهذه القرائن، القرينة هذه يعدونها في علم البيان إلى نحو من ثلاثين أو أكثر من أنواع القرائن التي يحكم بها المجاز، منها: الزيادة، والحذف، . . . ، إلى آخره مما هو معلوم.

نحن ذكرنا لكم في عدد من الشروح في الماضي أن المجاز ليس صحيحًا اللغة العربية على التحقيق كلها حقيقة، ليس فيها مجاز، وهذا البحث بحث بلاغي، وليس عقديًا، قلت لكم عدة مرات: لا يحوَّل مبحث المجاز إلى

مبحث عقدي؛ هو أصله مبحث بلاغي، المجاز لفظ استعمل، فاستغلته المعتزلة، يعني: جعلوه خادمًا لهم في مسائل الاعتقاد، لكن أصله بحث بلاغي.

هنا الحقيقة أو المجاز في لغة العرب على التحقيق كلها حقيقة، لكن الحقيقة تارة تفهم من أول الأمر، أو من أول ما تسمع الكلمة، وتارة تفهم من التركيب، فهي في تركيب الكلام ما يفهم، ما يسمونه: الوضع الثاني، فهم ما أرادوه من الأمثلة التي في القرآن، أو في كلام العرب صحيح؟

نقول: صحيح أن هذا ما أرادوه مما هو معروف في كلام الناس، نقول: هذه صحيحة، هذه نقل للفظ إلى وضعه الثاني، لكن هذا الوضع الثاني مدرك بالتركيب، وليس مدركا بما تسمونه المجاز في هذا.

الخلاصة: أن هذه ذكرناها عدة مرات، أن المجاز غير صحيح، لكن من قال: إن هناك مجاز، نقول: لا بأس سواء كان في اللغة، أو في القرآن، هذا شيء فيه الخلاف، والعلماء يقولون به، ما نتشدد نقول: لا، إن هذه مسألة عقدية، لكن ما نتشدد في هذا الأمر، وإنما إذا دخل المجاز في الأمور الغيبية هنا صار الكلام على أمور عقدية، نقول: لا، ليس صحيحا، حتى ولو قلت بوجود المجاز في اللغة، جعل المجاز في الأمور الغيبية ليس صحيحا، لماذا؟ لأن مبنى المجاز على أنه فيه نقل للفظ من الحقيقة من الوضع الأول التي هي الحقيقة إلى وضع ثان، لماذا نقله؟ لأجل عدم مناسبة الحقيقة الأولى، أو الوضع الأول ما ناسبت عنده، فلذلك نقلها إلى الثاني للقرينة، والأمور الغيبية من يقول: أنها لا تناسب؟

الأمر الغيبي: أمر الجنة، أمر الميزان، من يقول: إنه لا يناسب الميزان حقيقة، الصراط من يقول: إنه لا يناسب أن يكون صراطا حقيقيًا؟

فهم إذن جعلوا هذه كلها من باب المجاز، والجنة وما فيها من نعيم، . . . وإلى آخره، جعلوها لأجل أنها غير مدركة بالعقل؛ لذلك جعلوها مجازًا.

القائلون بالمجاز في الأمور الغيبية يتباينون، فالمعتزلة ينفون بالمجاز الكثير من الأمور الغيبية، فينفون الصراط، وينفون الميزان، وينفون، وينفون، وينفون.

الأشاعرة يقولون: لا، هذه لا يدخلها المجاز؛ لأن هذه ممكنة أن تكون عقلا: الميزان، والآخرة، ونعيم الجنة، ووجود ما فيه، فحتى القائلون بالمجاز تناقضوا في الأمور الغيبية: هل هذه يدخلها المجاز، أو لا يدخلها المجاز؟

وإذا كان هم أصحاب هذا القول - وهو القول بالمجاز -، وهم الذين أصلوه، وقالوا به، تناقضوا في بعض المسائل. فنقول: الأصل أن نجري الباب بابا واحدا، وأن نجعلها حقيقة، وأن كل ما فيه غيب لا يدخله المجاز؛ لأنه لا دليل عندنا يمنع من إرادة الحقيقة، أو إرادة الوضع الأول، ليس هناك ما يمنع، والتناقض دليل على ضعف التأصيل في هذا الباب.

مداخلة: يعني: يقال يا شيخ: يكفي في رد المجاز أن معايير صحتنا فيه هذا.

الشيخ: هذا كلام دارج، لكن لما يأتي التحقيق، هذا الرد الذي أصله، وقرره في المجاز الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ، أن المجاز يصح نفيه إلى آخره،

لكنهم لهم أجوبة عليه، على هذا لهم أجوبة، فما يستقيم من كل جهة، لكن الذي ذكرته لك أَقْعَدُ.

س ١٩٥: والمجاز أحسن الله إليك، مسألة المجاز، فرع من فروع المجاز في القرآن، يقول: لعلها أهم شيء في المجاز يتطرق إليه، خاصة عند أهل السنة، أورده أئمة الدعوة بعد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله إلى علمائنا في هذا العصر، هل لهم قاعدة، أو منهج، أو رأي موحد متفق عليه؟

الجواب: لا، هم يتبعون كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم في هذا الباب، ما لهم فيه اجتهادات، خاصة والمجاز في القرآن خلاف لغوي بلاغي، ما هو عقدي، قلت لكم كم مرة، ما تناقشون أحدا، تحولون مسألة المجاز إلى قضية عقدية، لا، لكن إذا دخل في الغيبيات، يعني مثلا: قال: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، قال: وهذا مجاز حذف، اعترض أكثر المفسرين على هذا، وليست محل نزاع قوي في المسألة، نقول: الصحيح هو كذا، واحد يقوله، لكن عندما يقول: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، وجاء أمر ربك، هذا دخل في الغيبيات، فآيات القرآن التي فيها ذكر للغيبيات إذا حذفنا منها المجاز، ورفعنا عنها المجاز، بقي الخلاف لغويًا سهلًا، يعني: يسهل فيه، مع أن هناك أجوبة عن كل ما أوردوه من قبيل المجاز، توجد أجوبة عنه. [مجلس ١٠/ ٢/ ١٤٢٤هـ].

س ١٩٦: هذا يقول: وجود المجاز في اللغة العربية، وكيف نرد على من قال بالمجاز مثل: قوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]؟

الجواب: هذه بحثتها بحثا مطولا - أظن ساعة ونصف - في شرح الواسطية، الواسطية أول ما تكلمنا بدأنا في آيات الصفات، كلمتكم عن التأويل والمجاز، وتفصيل الكلام فيه طويل، فلابد أن يُرجع إليه؛ لأن الاختصار يُخل فيه كثيرًا، ولكن مع ذلك يمكن أن أختصر في كلمتين، أقول: إذا قيل المجاز في اللغة، هذا أهون، وخلاف أدبي، وليس الأمر فيه كبير، يعني: ما بين صواب وغلط، وما بين راجح ومرجوح، ولكن أن يُقال: مجاز في آيات في الأمور الغيبية، مجاز في الصفات، مجاز في ذكر الجنة والنار، في الأمور الغيبية، هنا ندخل في بحث عقدي مع المعتزلة والأشاعرة ومن نحا نحوهم، إذا جاءك مثلًا أستاذ أو واحد جاءك، وقال: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] هذه الآية فيها مجاز، الأمر قريب، يعني: إذا قاله، قال به جمهور أهل العلم، قالوا بذلك، ولكن قال الآيات التي فيها الغيب، ذكر الصفات: الرحمن، الرحيم، هذا مجاز عن الإنعام، هنا دخلنا في البدعة، التي هي القول بالمجاز في الأمور الغيبية، لماذا قُبل الأول، ولم يُقبل الثاني؟ قُبل لأن فيه خلاف، ولكن الثاني ما يُقبل؛ لأن المجاز في تعريفه، ما تعريف المجاز؟

طالب: صرف اللفظ عن ظاهره.

الشيخ: هذا التأويل، صرف اللفظ عن ظاهره المتباين منه، هذا التأويل المجاز: استعمال اللفظ في غير ما وضع له، أو نقل اللفظ من وضعه الأول إلى وضع ثانٍ لعلاقة بينهما، واضح؟ إنك تجد المجازيين يتكلمون عن أنواع من العلاقات: ثلاثين علاقة، أو أربعين، في كتب أُلفت في أنواع العلاقات

فقط في المجاز؛ لأجل هذه الكلمة (لعلاقة بينهما)، المجاز فيه وضع أول ووضع ثان، (استعمال اللفظ في غير ما وضع له) من الذي حدد؟ هذا السؤال تسأله أي واحد يتكلم في المجاز في الأمور الغيبية: من الذي حدد الوضع الأول؟ العرب اجتمعت وعقدوا مؤتمرًا، وقالوا: هيا نأتي بكل ما حولنا، نبدأ نسميه، ونعتبره وضعًا أول، ما معنى الوضع الأول؟ يعني التسمية الأولى للشيء، حتى نقول التسمية التي جاءت عقب مائة سنة هذه وضع ثان «مجاز»؟ ما حصل هذا، وإنما العرب نقلت لغتها بالاختلاط، تولدت بعض الألفاظ بالسماع، بالرؤية، بالنقل من لغات أخر، يعني تولدت اللغة من أشياء كثيرة، والأسماء أنزلها الله ﷻ على آدم عليه السلام: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] باللغة التي عُلمها آدم عليه السلام، ولا شك أن هذه الأسماء بقيت بشكل أو آخر في الناس، فنُقل بعضها إلى اللغة العربية، ولكن بعض الأسماء تجدها مشتركة في اللغة العربية، والسريانية، والعبرية. . .، وإلى آخره، اللغات تجد فيها الألفاظ متقاربة، هي نفسها، فهذه تكون من الموروث الأول؛ لهذا مسألة المجاز دقيقة جدًا في تعريفها وفي نشأتها، ومن لم يدرك كيف نشأت اللغات والمعاني الكلية التي ذكرنا لكم الكلام عليها، وصلتها بالتخصيص والإضافة في الخارج، هذا لا يُدرك معنى كلام السلف في الصفات وفي المجاز ومعنى هذه المسائل. [**تعليقات على تحفة الطالب والجليس**].

علاقة المجاز بالمعاني الكلية

س ١٩٧: يا شيخ إذا نظر إلى مسألة اللفظ المفرد، هو نظر إلى معاجم اللغة؛ ليتوصل الباحث أن هذا اللفظ لا يستطيع أن يجزم به، هل هو مشترك أو بين حقيقتين كما تفضلتم، ألا يكون هذا موردا يورد على المتكلمين في مسائل المجازعندما نسحبه على مبدأ اللغة؟

الجواب: نعم، هذا صحيح، هو أصلا الآن اللغة، كيف نشأت اللغة؟ كيف تكونت هذه الألفاظ، وهذه المعاني، . . . إلى آخره؟

هذا أيضًا علم طيب، هناك عدة كتب في نشأة اللغات وتطورها، وممن درسها جيدًا على خلل عنده في المنهج المستشرقون، علموا بحروف، المهم أن اللغات نشأت منها، أن اللغات يستفيد بعضها من بعض، يعني وجدت لغة بالاتفاق مع الإنسان، لكن هنا كيف تفرعت اللغات؟ يكون هناك تأثيرات في تفريع لغة الإنسان، نقول نحن: لغة آدم عليه السلام محدودة، ثم كثرت الألفاظ، وكثرت المعاني بحسب الحاجات، وهذا صحيح؛ تجد من يعيشون في السهول عندهم ألفاظ ومعان تتعلق ببيئتهم، وليست عندهم أشياء تتعلق بالجبال، وأهل الجبال عندهم أشياء ألفاظ ومعانٍ تتعلق ببيئتهم، أهل الصحراء عندهم ألفاظ تتعلق بالصحراء، ليست موجودة عند أهل الأنهار، وهذا مقتضى الحاجة التي ولدت هذا الفرق.

هنا المعاني الموجودة، المعاني في الواقع معان تخصيصية، يعني: معان إضافية، مثلا تأخذ: العقل، السمع، الشجاعة، وتأخذ الكرم، وتأخذ

الطول، وتأخذ الضخامة، تأخذ المشي، تأخذ الغنى، هذه كلها ماذا؟

ألفاظ لها معانٍ، لكن معانيها هنا تختلف باختلاف الإضافات، فلما نأتي مثلا نقول: والله العقل، نقول عقل ماذا؟ تختلف؛ فلذلك يتوجب هنا أن نقول: إن هناك معان كلية هي أساس اللغة التي تجمع الكلمات، وإن كان أصحاب اللغات استعملوها إضافية.

يعني مثلا: عندك الآن السمع، تقول: أنت مدرك ماذا؟ إن السمع هو، مباشرة السمع جاء في بالك الأذن، هو الحاسة التي تدركها بالأذن، لكن هذا ليس بالسمع، السمع أكبر؛ لذلك لما نعرف السمع، نقول: إدراك ماذا؟ إدراك المسموع، لكن كيف تكون الحاسة هذه كيف؟ ما تعريفها بالضبط؟

فإدراك المسموع هو السمع، يختلف سمعك، سمع العصفور، سمع الصغير، سمع البعوض، سمع النملة، نأتي للكلام، النملة تتكلم، الإنسان يتكلم، النملة تتكلم بنص القرآن ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨] ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦] منطق، هل النملة حينما تكلمت كان لها شفاة تتحرك ولسان؟ فلذلك لما نثبت لله ﷻ صفة الكلام، لا يوجد عاقل يعرف اللغة ومدركات النصوص يقول: إنه يلزم منه إثبات اللهاة واللسان، ولننته من الكلام هذا، نحن نثبت الصفة على ما وردت، لكن كيف الاتصاف بهذه الصفة؟ لا نعرف، وكل ما خطر ببالك الله ﷻ بخلافه ﷻ.

فالمعاني كلية، لكن الإنسان هو الذي جعلها مخصصة، لماذا؟ لأنه ما يدرك منها إلا التخصيص، فلما يأتي مثلا يقول: والله لما نأتي نقول لواحد قبل ثلاثمائة سنة، أو مئتي سنة، أو مئة سنة، تقول له: حرب النجوم، ماذا؟

لكن هو عارف ماذا؟ حرب النجوم، اللفظ من حيث استيعاب اللغة له صحيح، اللغة مستوعبة لكلمة حرب النجوم، بدلالاتها، لكن الأول ما استوعبها؛ لأنه لا يمكن أن يستوعب لفظ إلا بوجود مخصص عنده رآه حوله.

القارئ: يعني مثال؟

الجواب: نعم، مثال أو ما يشابه، أو إلى آخره، جئنا نحن، وقلنا: والله حرب النجوم عرفنا ما معناها؛ لأجل تفسير الإنسان لها بهذا التفسير، إذًا فالصفات والغيبيات غلط إنك تحدها، في اللغة معان كلية، جاء تخصيص الإنسان للطير إلى آخره. **[مجلس١٠/ ٢/ ١٤٢٤هـ]**.

علاقة المشاكلة بالمجاز

س ١٩٨: هل المشاكلة من القول بالمجاز؟

الجواب: نعم، المشاكلة من القول بالمجاز، يقولون: أنه يأتي بلفظ يشاكل لفظا آخر، وهو لا يريد هذا اللفظ، يريد شيئا آخر مثل:

فقلت: اطبخوا لي جبةً وقميصًا.

قال: نطبخ لك شيئا، قال: اطبخوا لي جبة وقميصا.

فهو يريد جبة وقميصًا، يريد لباسًا، لكن استعمل لفظ الطبخ بما لا يناسب، اطبخوا لي جبة وقميصا، يعني: اكسوني جبة وقميصا، استعمله لأنهم استعملوا لفظ الطبخ في كلامهم.

ومثل هذا يدخلونه في قوله ﷻ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥ - ١٦].

يقولون: كل هذه وأمثالها إنما جاءت لمشاكلة اللفظ، وليس المراد بها الصفة، والمشاكلة نوع من المجاز.

بقي إيراد المشاكلة في حديث الهرولة، وهو إيراد مهم، يوردونه، وهم من أقعد المتكلمين إيرادات على السنة، الرازي في كتابه تأسيس التقديس، ومن أقعدهم ابن فورك، مرة يجود على أصوله، ومرة لا يجود، لكن الرازي في كتابه تأسيس التقديس كان قويا جدا في الإيرادات، ومن ضمنها جاء ذكر الهرولة، فقد ذكر الحديث، وقال: معلوم أن الله ﷻ يقول: «وإن تقرَّب إليَّ ذِرَاعًا اقْتَرَبتُ إليه باعًا»[1] الله ﷻ ما يقرب ذراعًا، ولا يقرب باعًا، الله ﷻ أجل من ذلك، وهذا بالاتفاق، وأن الذراع والباع أنها غير مرادة.

فهل يدخل هذا في المشاكلة والمجاز أو التأويل، أو لا يدخل؟

وهذا الحديث هل هو من أحاديث الصفات، أو ليس من أحاديث الصفات؟

فيه تنازع، من أهل العلم من يعده من أحاديث الصفات، من أهل السنة يعتبرون فيه إثبات الهرولة، ومنهم من لا يعده؛ لأن ما جاءت الهرولة إلا في هذا الحديث، وهنا بحث فيه من جهة المجاز والتأويل إلى آخره، أن الشيء يأتي بمقابله، فهنا قال: «وإن تَقَرَّبَ إِليَّ شِبْرا تَقَرَّبتُ إِليه ذِراعًا» حديث

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢) (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أبي هريرة ﷺ المشهور في الصحيحين: «وإن تَقَرَّبَ إِليَّ شِبْرا تَقَرَّبتُ إِليه ذِراعًا، وإن تقرَّب إِليَّ ذِرَاعًا اقْتَرَبتُ إِليه باعًا، وَإِنْ أتاني يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» هنا الأول الذراع، الشبر والذراع، العبد ما يتقرب إلى الله ﷻ شبرا، بما ظاهره المساحة، فظاهر المساحة ما يتقرب هنا الأساس، الله ﷻ قال: «اقْتَرَبتُ إِليه باعًا» هذه نتيجة لأي شيء؟

نتيجة لتقرب العبد شبرًا، هل تقرب العبد شبرًا ظاهره التقرب بالمساحة؟

إن كان ظاهر الأول التقرب بالمساحة، فما ترتب عليه يكون تقربا بالمساحة؛ لأن هذا ظاهر الكلام، ولما كان الأول ليس التقرب فيه ظاهره المساحة، كان ما رتب عليه ليس ظاهره المساحة، وهل هذا تأويل؟

لا، هذا هو الظاهر؛ لأن الأول ظاهره ليست المساحة، فما ترتب عليه من الصفة ليس ظاهره المساحة، وكذلك ومن تقرب إلي ذراعًا، تقربت إليه باعًا، ومن أتاني يمشي، أتيته هرولة.

الله ﷻ لا يأتيه العبد، يأتي لذاته العلية، يمشي مرة، يهرول مرة، يأتي إلى الله ﷻ، «من تقرب إليَّ»، فلذلك وجب حمل الحديث هنا، والظاهر ليس فيه إثبات لصفة من العبد حتى ما ترتب عليها، هذا قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الرد على الرازي، وهو قول صحيح، ومتفق مع القواعد في تعريف الظاهر والحقيقة والمجاز، ومتسق معه.

هنا هل تثبت الصفة، أو ما تثبت الصفة؟ هذا بحث آخر لأدلة أخرى، وإن كان هذا الحديث لا يكفي بمفرده لإثبات الصفة، لكن من أثبتها؟ نقول: أثبتها بعض أهل السنة، على أساس أنه قال: أتاني هرولة، قال: أتيته

هرولة، في الحديث هنا من قال: إن فيه مشاكلة؟

نقول: لا، هذه ليست مشاكلة؛ لأن المشاكلة فيها الأول مثل الثاني، وليس الأول مختلفًا عن الثاني، مثل ما قالوا؛ ماذا أول البيت؟

السائل:

قالوا اِقتَرِح لَونًا يُجادُ طَبيخُهُ ... قُلتُ اِطبُخوا لي جُبَّةً وَقَميصا[1]

لأنها موجودة في سؤال عن المشاكلة.

الجواب: فقلت اطبخوا لي جبة وقميصا.

هم عندهم هذا البيت يستدلون به، جعلوا الطبخ مكان...، الأول طبخ، والثاني ليس بطبخ، لكن في الحديث: «**وإن تَقَرَّبَ إِليَّ شِبْرا تَقَرَّبتُ إِليه ذِراعًا**»، «**وإن تَقَرَّبَ إِليَّ شِبْرًا تَقَرَّبتُ إِليه ذِراعًا**» هنا ما هو، هل هذا فيه شبر إن الواحد يتقرب شبرًا.

إذًا الظاهر هنا ليس على الحقيقة الأول، فما رتب عليه ليس على الحقيقة، فلا يدخل في المشاكلة، فإدخالهم أصلا في المشاكلة لا ينطبق على تعريف البلاغيين للمشاكلة أصلا، فهذا الحديث ليس فيه مشاكلة،

---

(١) انظر الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني باب المشاكلة، وخزانة الأدب (٢/ ٢٥٣) ذكر المشاكلة.

هذا البيت للشاعر جحظة البرمكي، أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي أبو الحسن. شاعر عباسي، وكان قبيح المنظر، ناتئ العينين، فلقب بجحظة.

انظر: البداية والنهاية (١١/ ١٨٥)، ولسان الميزان (٧/ ١٦٣)، ومعجم الأدباء (١/ ٣١٤)، والأنساب (٥/ ٣٥٤).

وليس فيه تأويل، وليس فيه مجاز، بل هو جار على ظاهره، الأول ظاهره والثاني تقرب إلي شبرا، ليس هو الظاهر الذي هو الشبر المعروف، وإنما هو الظاهر التركيبي له، وهو التقرب إلى الله جَلَّ وَعَلَا بشيء من التقرب غيره أعظم منه، والله جَلَّ وَعَلَا رتب العباد في أنواع التقربات لأمثلة، مثَّل، وشبَّه، فجعل المتقرب بشيء يسير متقربًا بشبر، والمتقرب بشيء أكبر متقربًا بذراع، والمتقرب بهذا ممن أتاه يمشيه، فجعلها مراتب، فهذا هو الظاهر، فما رتب عليه من الصفات يكون ليس من باب المشاكلة، ولكن من باب الظاهر الذي يقابله ظاهر، إن مسائل المجاز كثيرة جدًا، التي جرى عليها تأويل الصفات في القرآن والسنة، وكلها لها أجوبة واضحة في بابها - إن شاء الله - جَلَّ وَعَلَا.

س ١٩٩: قوله: «**إنَّ الله لا يَملُّ حتَّى تملُّوا**»[١] هل هذا من باب المشاكلة

الجواب: عندهم أن هذا من قبيل المشاكلة، ونحن نقول ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ إنها من قبيل المقابلة، لكن على تعريف أنها ليست بالمقابلة المجازية، المقابلة ما معناها؟

ليست مقابلة اللفظ باللفظ، مقابلة الفعل بالفعل، فإذا جعلت المقابلة للألفاظ، أدخلتها في المجاز، وإذا جعلت المقابلة للأفعال، صارت حقا، يعني: قابِلْ هذا الفعل بهذا الفعل.

مثل: (**لا يَملُّ حتَّى تملُّوا**)، ففعله جَلَّ وَعَلَا مقابل لفعلهم، كذلك ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾، ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: ١٤٢] هذا قابل فعلهم بفعل، أما

---

(١) أخرجه النسائي في المجتبى (٧٦٢)، وأحمد في مسنده (٦/ ٣٣)، والطبراني في الأوسط (٤/ ٣٢٥) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أخرجه الطبراني في الأوسط (٤/ ١٠٧) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إذا قال اللفظ، وهو يريد المجاز، يعني: صرف اللفظ، أو نقل اللفظ إلى شيء آخر.

س ٢٠٠: من أدخل لفظ المشاكلة؟

الجواب: ما أعرف والله، ادخل علم السنة، ما يُستعمل لفظ المشاكلة، وهو ما يعرف ما دلالتها، لكن المشاكلة يراد بها اصطلاح مجازي تؤول به الصفات، ما تستعمل.

القارئ: حد المشاكلة، أقرؤه؟

الشيخ: اقرأ حد المشاكلة.

القارئ: قال: المشاكلة هي لغةً: المماثلة، واصطلاحًا: أن يذكر الشيء بلفظ ليس له، بل لغيره، فيشمل الجناس التام والمجاز.

الشيخ: الجناس ما فيه إشكال، لكن المجاز هو الذي فيه، لكن قوله: (المشاكلة هي المماثلة) ليس صحيحا؛ لأن المشاكلة مأخوذة من الشكل، والشكل هو الوصف، أطلق عليها مشاكلة لماذا؟ لأن صفات اللفظ حروفه (طبخ) هذه حروف، وهي صفات اللفظ، صار مشاكلة من جهة أن الصفات اجتمعت، ولكن الشكل أصلها راجع إلى الصفات، وقد تكون الصفات للذات، وقد تكون الصفات للمعاني، بذلك يقال: شاكلة فلان كذا، يعني صفاته، شاكلته العجلة، شاكلته العقل.

ومنه قول الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤] والشاكلة هنا: الصفة، يعني كل يعمل على صفته.

المماثلة ليست تعريف المشاكلة.

الفرق بين المقابلة والمشاكلة

س ٢٠١: يا شيخ أحسن الله إليك بالنسبة للمقابلة هل هي ذات المشاكلة أم تختلف؟

الجواب: لا، المقابلة صحيحة، المقابلة بمعنى: قابل هذا بهذا، صحيحة، لكن هذا تعريف المجازيين، المقابلة منها ما يدخل في المجاز، ومنها ما لا يدخل، لكن المشاكلة أن يكون اللفظ شكلًا، مشاكلًا، مماثلا للفظ، وليس مرادًا به هذا اللفظ، مثل: (**اِطبُخوا لي جُبَّةً وَقَميصا**)، فهذا واضح، وذلك: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِى نَفۡسِى وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِى نَفۡسِكَۚ﴾.

قالوا: الله ﷻ ليس له نفس، لماذا؟

قالوا: لأن هذا جاء من قبيل مشاكلة اللفظ للفظ، وهكذا.

مفرد قراريط

س ٢٠٢: قراريط جمع قرط؟

الجواب: وقد تكون جمع قيراط، ما الذي يمنع من حيث اللغة؟ هذا صحيح الذي تذكره. [**تعليقات على صحيح البخاري**].

❀ ❀ ❀

معنى (إنْ) اللغوي

س ٢٠٣: فإن كنت تعلم (إن) شرطية؟

الجواب: (إن) هنا، نعم إن شرطية من حيث اللغة، من حيث النحو شرطية. [**تعليقات على صحيح البخاري**].

الفرق بين الحمد والشكر

س ٢٠٤: ما الفرق بين الحمد والشكر؟

الجواب: الحمد هو: الثناء باللسان على كل جميل، أما الشكر، فمورده اللسان والعمل، فيقال: فلان شكر الله بفعله؛ لأن الشكر يمكن أن يكون بالفعل واللسان، قال ﷻ: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣] فمن حيث المورد يكون الشكر أعم من الحمد؛ لأنه يشمل الثناء والمدح باللسان والعمل، والحمد أخص؛ لأنه لا يكون إلا باللسان، ومن حيث ما يُحمد عليه، فإن الحمد أعم، أي بينهما عموم وخصوص، يجتمعان في شيء، ويفترقان في شيء آخر. [**شرح لمعة الاعتقاد**].

اللغات بين التوقيف والاصطلاح

س ٢٠٥: هل اللغات توقيفية، أم اصطلاحية؟

الجواب: تولدت اللغة من أخرى، هل ثم مرة حصل مواطأة؟ أنت ستصل بك المسألة إلى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، ثم تقف؛ ولهذا العلماء اختلفوا هل اللغات توقيفية، أم اصطلاحية؟

فيها عدة أقوال، والصحيح أن الأسماء المطلقة توقيفية، الأسماء اللغوية بدون أن نقول بلغة فلان، بلغة العرب، أو باللغة السريانية، وهكذا، الأسماء مطلقًا توقيفية؛ لقوله ﷻ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ أما بعد ذلك التداخل، والتوسع فما يوجد برهان واضح.

واللغة تنمو، وإذا كان المعنى الكلي موجودًا، فكل ما يذكر مثال؛ لأن المعنى الكلي يختلف باختلاف الإضافة، مثلًا: عندك السمع، السمع كلمة عامة، السمع معروف، لو أردت أن تُعبر عن السمع تقول: إدراك المسموعات، واضح؟ وأيضًا فيه إشكال، لأنك رجعت بتعريف السمع إلى المسموع، واضح؟ والمسموع: رجعنا بالمسموع إلى السمع، صار فيه دور؛ ولذلك لا يصح تعريفًا على طريقة المناطقة، وإنما هو تقريب.

إذا قلنا: السمع هو إدراك المسموعات، سمع الإنسان يصح أن يُطلق عليه سمع، سمع البعوضة يصح أن يُطلق عليه سمع، الإنسان في سمعه تلحظ فيه أذن، وفيه صماخ، وفيه الغضاريف الزائدة هذه التي يجتمع فيها الصوت، تتلقى، وهذا وسيلة حصول السمع، لكن البعوضة ما فيها شيء،

عندها سمع، إذًا فالكلية الحاصلة - وهي إدراك المسموع - موجودة، لكن تمام المعنى بالنسبة للإنسان يناسب ذاته، الكيفية مختلفة، ما يناسب البعوضة أو الذبابة من السمع يناسبها بقدرها، آلة السمع عندها مختلفة عن آلة السمع عندنا، البصر في بعض الحيوانات تبصر بأي شيء؟ بالذبذبات، يعني: بإرسال أصوات، يعني: عندها إحساس آخر، وتقول: إنها تبصر؛ لأنها تدرك المبصرات، إذا جاءت إلى الشيء مالت عنه، وهي ليس لها ما تبصر به، لكن كيف؟ إذًا كيف الاتصاف بالصفة؟ كيفية الاتصاف بالصفة هذا لا يجوز أن يُجعل حكمًا على المعنى الكلي، فالمعنى الكلي ما يشمل هذه الصفات المشتركة بين الكائنات، بل المعاني المشتركة العامة، فهي تأتي في الإنسان تطبيقًا، ويطبقها الإنسان على نفسه، يطبقها على الحيوان، يطبقها بالزائد، بالناقص، وإنما تختلف من حيث كمال المعنى، ومن حيث الكيفية ومن حيث ما مثلت لك؛ ولهذا قال طائفة من أهل العلم في قوله جل جلاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]: إن الله جل جلاله نبه على السمع والبصر في هذا؛ لأجل اشتراكه بين كل الكائنات الحية، الكائنات الحية التي لها سمع، ولها بصر، ومع ذلك أثبته لنفسه مع قاعدة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ﴾؛ لأنه موجود، ووصف الله به نفسه، فمعنى ذلك أنه إثبات صفة، لا إثبات مشابهة أو كيفية. [**شرح الطحاوية**].

❀ ❀ ❀

الفرق بين قدس الله روح فلان وقدس الله سره

س ٢٠٦: ما معنى قول القائل: قدس الله روح فلان؟

الجواب: التقديس معناه: التطهير، قدس الله روح فلان يعني: طهر الله روح فلان من الذنوب، أو أثر الذنب من السيئات ومن المعاصي، وهذا التطهير يكون بمغفرة الله لذنبه، أو بمنِّ الله ﷻ عليه، بأن يجعل ما أصابه كفارة، أو بغير ذلك من الأسباب بتهيئة دعاء المؤمنين، المقصود أنه دعاء بأن يطهر الله روح فلان، وهذا لا بأس به (قدس الله روح فلان) لا بأس به؛ لأن معناه: طهر الله روح فلان، ومن أسماء الله (القدوس) يعني: المطهر من كل عيب ونقص، لا في الذات، ولا في الأسماء، ولا في الصفات، ولا في الأفعال، ولا في أمره الكوني القدري، ولا في أمره الديني في هذه الخمس.

وهناك عبارة أخرى لا تجوز، وهي قول بعضهم: (قدس الله سره) كلمة (سره) هذه هي المنكرة؛ لأن هذه اللفظة يستعملها من يعتقد في الأموات، بأن روح فلان لها سر، ولذلك يطلقون على من له السر (السيد)، على اعتقاد أنه الذي فيه السر، فيخصون بعض الأولياء الذين يعتقد فيهم بأنهم يجيبون، أو أن الدعاء عند قبورهم مستجاب، أو أن الاستشفاع بهم يحصل به المقصود ونحو ذلك، ويخصونه بقولهم: (قدس الله سره)، وهذا غلط ومنكر؛ لأن الروح ليس فيها سر، روح الناس، روح المؤمنين ليس فيها

أسرار، وهذا بالإضافة إلى أن هذه الكلمة لم تأت لا في اللغة، ولا في الشرع.

س ٢٠٧: ذكرت أن لفظة قدس الله سره لفظة منكرة، وقد أكثر منها الإمام السفاريني عند ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية فهل لذلك معنى؟

الجواب: أحيانًا العالم أو المؤلف يستعمل عبارة على حسب ما درج، ولا يعني حقيقة العبارة، ولذلك يفرق بين من يستعملها يقصد المعنى، وبين من يستعمل العبارة مشاركة، فالحكم يختلف، فالذي يقصد المعنى أن روح فلان لها سر، وأنها تغيث، هذا شرك أكبر، والذي يستعمل اللفظ من غير قصد لما يستعمله الآخرون منها، فإنه يقال تستبدل تلك بغيرها، كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا﴾ [البقرة: ١٠٤]، فنهاهم عن قول راعنا؛ لاستعمال اليهود لها بمعنى الرعونة والإيذاء، ووجههم إلى غيرها، مع أنها تحتمل أن تكون من المراعاة، فقال ﷻ: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا﴾، فأبدلهم بكلمة لا إشكال فيها، ولا شبهة، ولا يشتركون فيها مع من يحرفون الكلم عن مواضعه. [**شرح الطحاوية**].

حكم الشعر

س ٢٠٨: إني أقول الشعر، وأكثر ما أخوض فيه الفخر، فأفخر بنفسي ومكارم أخلاقي، إلا أني أبالغ في بعض الأحيان، وما ذلك إلا لأفعل هذا الأمر الذي أوعيته في شعري، فما الحكم في ذلك، والشعر بعامة؟

الجواب: الشعر حكمه في الشرع: أنه كسائر الكلام: حسنه حسن، وقبيحه قبيح؛ لهذا تندرج على ما يورد الإنسان في الشعر الأحكام الشرعية؛ لأنه محاسب على كلامه: إن قال نثرًا، أو قال شعرًا، ولهذا نبينا ﷺ قال لحسان رضي الله عنه: «**اهْجُهُمْ - أَوْ هَاجِهِمْ - وَجِبْرِيلُ مَعَكَ**»[1] واستنشد لأمية بن أبي الصلت إلى مائة بيت، أبيات فيها توحيد الله، توحيد الربوبية، وذكر بعض آثار الربوبية في خلق الله جل جلاله، فقال لما سمعها ﷺ قال: «**كَادَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسْلِمَ**»[2]، أو كما قال ﷺ فيما هو مروي في الصحيح، وحسان رضي الله عنه شعره سائر، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه شعره سائر، وكثير من الصحابة رضي الله عنهم من الشعراء، فالشعر محمود، ولما قيل للنابغة - وكان قد أسلم، وهو من الشعراء المشهورين، وأحد أصحاب المعلقات - لما قيل له: ألا تنشد الشعر؟ قال: ألهاني عن الشعر سورة البقرة وآل عمران، فالشعر ينبغي أن يتقي الله جل جلاله فيه المرء، فهذا الذي يقول الشعر يستخدم هذه

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢١٣، ٤١٢٣، ٤١٢٤، ٦١٥٣)، ومسلم (٢٤٨٦) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٤١، ٦١٤٧، ٦٤٨٩)، ومسلم (٢٢٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

الملكة التي آتاه الله ﷻ إياها بنظم الشعر فيما فيه خير له، أما الفخر بالنفس ومكارم الأخلاق، والمدح الذي يكون في الوجه، والذي لا يكون معه مصلحة شرعية، فإن هذا مما يُرغب عنه؛ ولهذا حسن أن تكون شاعرًا، ولكن لا تكن غافلًا عن أن الشعر يحاسب عليه المرء. [**شرح الطحاوية**].

معنى الجار والمجرور في أول سورة قريش

س ٢٠٩: ما الصواب في الجار والمجرور، في أول سورة قريش، هل هو متعلق بالسورة التي قبلها، أم هو كما قال ابن جرير: إنه لام التعجب، يعني: اعجبوا لإيلاف قريش؟ أفيدونا جزاكم الله خيرا.

الجواب: هذا سؤال جيد، وسورة الفيل وسورة قريش في ترتيب المصحف الذي رتبه الصحابة ﷺ، جاءت سورة قريش بعد سورة الفيل، وسورة الفيل فيها ذكر منّة من الله ﷻ على قريش؛ كما قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ [الفيل: ١-٥] هذا قبل أن يولد محمد ﷺ، فالفضل في صد أبرهة ومن معه، والفيل، وذاك الجيش عن استباحة مكة، الفضل فيه لله ﷻ، والمتفضَّل عليه قريش، ولهذا كان لما جاء أبو طالب إلى أبرهة، وسأله عن إبله، قال له: ظننت أنك تدفع عن البيت، قال: للبيت رب يحميه، وأنا رب هذه الإبل، فالفضل من الله ﷻ، والنعمة تمت على قريش أن منع هذا المعتدي من أن يستبيح مكة، هذا الفضل الذي يعرف من قراءة سورة الفيل، والإنعام الخاص على قريش بصد الفيل وعقوبة أهله، لماذا؟ ما العلة فيه؟ هنا جاء من قال من أهل العلم: إن

اللام في ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ [قريش: ١] أنها تعليلية لما تضمنته سورة الفيل، هذا الإنعام، وهذا الفضل، وهذا الصد، وهذه الحماية لأي شيء؟ لإيلاف قريش، لأجل أن يألفوا ما ألفوه من التجارة، ومن النعمة، ومن الراحة في هذا البيت ونحو ذلك، هذا توجه لطائفة من أهل العلم، وهذا التوجه وإن كان من حيث التعليل له حق من النظر، لكن الأصل في السور الانفصال، ثم إن الترتيب ليس ترتيبًا توقيفيًا؛ كما هو معلوم، ترتيب السور إنما هو اجتهادي على الصحيح، وسورة قريش نزلت بعد الفيل، ونزول السورة بعد السورة لا يقتضي تعلق الآخرة بالأولى؛ لهذا القاعدة: أن كل سورة مستقلة عما قبلها، من جهة تعلق الآية إعرابًا وتركيبًا بالآية التي في السورة قبلها، وهذا يظهر به أن اللام في قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ أنها ليست متعلقة بما قبلها، وليست تعليلية، وإنما يقدر فعل يتعلق به الجار والمجرور؛ لأن الجار المجرور في النحو يتعلق بفعل، أو بمصدر، أو ما أشبه ذلك؛ فلهذا قدر ابن جرير وغيره من المحققين بفعل محذوف، هذا الفعل المحذوف يقدر بحسب اجتهاد المقدر، والعرب تعرف أنه إذا حذف الفعل، وبقي المتعلق، فإنه يعطي سعة (هذا من جهة البلاغة)، يعطي سعة في تقدير المحذوف، بحيث يكون أعم من أن يقال فعل، من أن يذكر فعل واحد، يعني: لو قال الله ﷻ: «تعجبوا لإيلاف قريش»، «اذكروا لإيلاف قريش»، أو «اعجبوا لإيلافهم»، أو «اعتبروا لإيلافهم»، لصار هناك حد من سعة تقدير المحذوف، فلما حذف الفعل، وأبقي الجار والمجرور، الذي هو متعلق بالفعل المحذوف، كان في هذا سعة في التقدير، وأبلغ في الاعتبار؛ لهذا نقول: الصحيح أن قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ وأمثاله فيما

يكون في السور أنه لا يتعلق بالسورة التي قبل، وإنما يقدر له محذوف يناسب المقام، هذا يختلف عن بحث عند أهل التفسير وعلوم القرآن بحث آخر، وهو أن تكون سورة لها صلة بالسورة التي قبلها من حيث المقاصد، من حيث مقاصد السور، وهذا هو التناسب، وهذا فيه ألف طائفة من العلماء، ألفوا تناسب السور، يعني: مناسبة مجيء السورة بعد السورة، هل فيه مناسبة؟ هذه المناسبة تكون لأجل الترتيب، لا لأجل أنها أنزلت لأجل ذلك، فمثلًا نقول في هذا المقام: أن جعل سورة قريش بعد سورة الفيل؛ لأنها أنزلت بعدها، ولمناسبة تذكر النعمة بدفع الفيل، وبحصول إيلاف قريش وإلفهم، وبحصول هذه الرحلة، والمنة عليهم بذلك، ثم تحقق النعمتين: دفع الفيل في الماضي، وإلف قريش للتجارة، ودون معارض لهم في الشتاء وفي الصيف، وما كانت عليه مكة من الغنى، لابد أن يعتبر به؛ لأجل عبادة الله وحده: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝﴾ [قريش: ٣ - ٤] أطعمهم من جوع بالتجارة، وآمنهم من خوف في الحاضر وفي الماضي بدفع الفيل، والجيش الذي أراده، والله أعلم. **[شرح الطحاوية]**.

حكم رثاء العلماء والمبالغة في ألفاظه

س ٢١٠: تكثر المراثي والأشعار فيمن يموت من العلماء، ويحصل من المبالغة في ذكر المحاسن والتباكي عليه، فثم سؤالان: الأول: هل هذا من النياحة؟ الثاني: يرد في كثير منها بعض الألفاظ الشركية، أو قريب منها، والمبالغة الشديدة إلى آخره، وذكر أمثلة من ذلك، وأظنه يقول: والقصائد

كانت في رثاء الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وثم مدخل لأهل البدع؟

الجواب: لا شك أن ما رُثي به سماحة الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيه قسم من حق هو طيب، وجزى الله الراثين خيرًا، والعلماء يرثون العلماء، والشعراء يرثون العلماء، ومن في فقدهم على الإسلام والمسلمين الأثر، لكن القسم الثاني من تلك المراثي - كما ذكر من الأمثلة - فيها من الغلو ووسائل الشرك ونداء الميت ما فيها، وهذا مما يبين لك غربة التوحيد، وأن الناس لا يصح أن يقولوا: التوحيد علمناه، والحمد لله الناس على الفطرة، ولا يحتاجون للعقيدة والتوحيد. هذا في موت سماحة الشيخ لما سير بجنازته، من الناس من تمسح به، وألقى عليه غترة، ومسح من الجهلة، ولما جاءت القصائد فيه من يشار إليهم، من ناداه في قصيدته: يا أبا عبد الله، وغوث الملاهيف، ونحوه من المبالغات، وهذا يدلك على أن رسالة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حياته، والدعوة التي أقامها في ملازمة السنة، وترك البدع، ورد وسائل الشرك، ووسائل البدع، فيمن هو أفضل من الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو النبي ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ إلى آخره. الشيخ أقام حياته لتقرير السنة، والرد على البدع، ووسائل الشرك، فيأتي من يغلو فيه، إما لغرض صالح، أو لغرض غير صالح أيضًا، لا شك أن هذا ذنب وإثم على من قاله، ويجب عليه التوبة، وسحب هذه القصائد، وأن يراجعها أهل العلم إذا كان فيها شيء منكر، وجب عليه أن يتبرأ منها، وهذه نتبرأ منها، نحن نتبرأ ممن غلا في مدح الأولياء، الصحابة، في مدح النبي ﷺ، غلا فيه الغلو الذي أوصله إلى مقام لم يجعله الله جَلَّ جَلَالُهُ له، فكيف بمن هو دون النبي ﷺ، ودون الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من العلماء، والأولياء، ومثل سماحة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لا شك أن الواجب

الإنكار، ولا نقر شيئًا من ذلك، ونبرأ منه، وليس لأهل البدع حجة في ذلك؛ لأن أهل التوحيد فيهم جهلة أيضًا، مثل ما في أهل البدع جهلة، فمن أهل البدع جهلة يبالغون في المدح. . . إلى آخره، ويطرون، كذلك في المنتسبين إلى التوحيد إلى أهل التوحيد، وإلى أهل العقيدة، فيهم من يجهل كثيرًا، فيخطئ، ويتجاوز، وذكرني هذا حينما رأيت بعض الأشياء، ذكرني هذا بحياة شيخ الإسلام ابن تيمية الذي عاش حياته للعقيدة، وللتوحيد، ولنصرة السنة، ولرد البدع ووسائل الشرك والغلو في الأموات، ثم بعد ذلك جنازته صلي عليها الظهر، وظلت تمشي إلى المقبرة، والناس يلقون عمائمهم، ويلقون أرديتهم على جثمان شيخ الإسلام تبركًا به، فما حياته إذًا؟ هؤلاء الجهلة الكثيرون، حتى ولو انتسبوا إلى الثقافة وإلى العلم، هؤلاء الجهلة بحاجة إلى أن يدرسوا العقيدة، ويعلموا ما يحل وما يحرم، هو يريد أن يرثي إماما وعالمًا مثل سماحة الشيخ رحمه الله، ويقع في الإثم، ويجعل الإثم أيضًا ينتشر في الأمة، والبدعة ووسائل الشرك، وبدلًا من أن نسير بدعوته وما عاش في حياته له نخالفه بعد وفاته! وهذا لا شك أنه مما يسرُّ الشيطان، ويأنس له، والغلو شر، الغلو شر، وهدي الصحابة في ذلك هو الهدي الكامل، فكم المراثي في أبي بكر! وكم المراثي في عمر! وفي عثمان! وكم المراثي في ابن عمر رضي الله عنهما! وابن عباس رضي الله عنهما! اجمعوها، أليس في زمانهم من الشعراء والعلماء من فيه، لكنها قليلة، محفوظة؟ لا، ليس لأنهم لا يستحقون، لكن خشية من الغلو، وأحيانًا بعض المسائل يعامل فيها الإنسان الناس بنقيض القصد؛ حتى لا يتوسعوا في الشرك والبدع.

ولهذا ينبغي عليكم جميعًا أن تستدلوا بما حصل من هذه التجاوزات على

غربة التوحيد، ويعطيكم دليلًا على أنه في هذا البلد والذين هم قريبون من الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، ويعلمون دعوته، ويعلمون الكتب التي شرحها ودرسها وفتاواه التي يرد فيها على أقل البدع، وعلى أقل وسائل الشرك، كيف أن الناس يخالفونه، وهم عاشوا معه سنين عددًا؟ فما أشد الغربة! وما أشد حاجة الناس إلى التوحيد، والعقيدة، والعلم الصحيح، والالتزام بالسنة! أسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يرفع درجة شيخنا في عليين، وأن يجزيه عنا خير الجزاء، وأن يجعله مع الأئمة السابقين ممن أحبهم واقتفى أثرهم، إنه جَلَّ وَعَلَا على كل شيء قدير. **[شرح الطحاوية]**.

مفرد أشراط ومفرد شروط

س ٢١١: ألا يكون مفرد أشراط هو شَرَط؟ أما شَرْط فجمعه شروط؟

الجواب: هذا صحيح، لكن هو يصح شرْطٌ وشَرَط، وهذا كثير، الشَرْط وشَرَط في المفرد يتبادلان من حيث القياس، ومن حيث النقل، مثل نهْر ونَهَر، وسمْع وسَمَع، وفي القرآن في القراءات في كثير تناوب بين فَعْلٌ وفَعَل في المفرد الذي جمعه أفعال، فالنهر ﴿وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهْرًا﴾ وفي القراءة الأخرى: ﴿وفجرنا خلالهما نهرا﴾ التي هي قراءتنا، وجمع النهر أنهار وأنهر، فالمسألة صحيحة، شَرْط وشَرَط، ولا يعني استعمال الشرط فيما ذكر أنه المقصود أنها صحيحة شَرْط وشَرَط كلها. **[شرح الطحاوية]**.

نوع (الـ) في ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

س ٢١٢: أشكل عليّ قول بعض المؤلفين في كتب القرآن وغيرها: أن (ال) في قوله ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢] للاستغراق عند أهل السنة، خلافًا للمعتزلة، بناءً على خلافهم في خلق أفعال العباد، فلا يقولون بأنها للاستغراق؟

الجواب: تحتاج إلى نظر، يعني معنى الاستغراق، هل فعلًا المعتزلة ينكرون الاستغراق هنا؟ أنا لا أعلم، لكن ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ الألف واللام هنا لاستغراق الجنس، يعني: جنس أو أجناس الحمد جميعًا لله رب العالمين، يعني: مستحقه لله ﷻ، وأجناس الحمد خمسة: حمدٌ لله في ربوبيته، وحمدٌ في الألوهية، وحمدٌ في الأسماء والصفات، وحمدٌ في الشرع، وحمدٌ في الكون والقدر، فأجناس الحمد كلها لله، مستحقة لله ﷻ، ما علاقة هذا بخلق أفعال العباد؟ ما أعلم، وأظن إن ما خانتني الحافظة، أظن الزمخشري يقول: إنها للاستغراق في فاتحة التفسير، قال: و(ال) للاستغراق، أظنه يقول ذلك، فيحتاج إلى مراجعة. [**شرح الطحاوية**].

إعراب (أحد) في قوله: «أحد إلا الله»

س ٢١٣: ما إعراب (أحد) في قوله: «أحد إلا الله»؟

الجواب: فاعل يعلم، يعني تركيب الكلام: ولا يعلم أحدٌ متى يأتي المطر إلا الله، لكنه أخر الفاعل. [**شرح أصول الإيمان**].

الفرق بين الجهل والجهالة

س ٢١٤: هل هناك فرق بين الجهل والجهالة؟

الجواب: نعم الجهالة تعدٍّ، والجهل عدم العلم. [شرح كشف الشبهات]

أهمية علم النحو

س ٢١٥: ما نصيحتكم لطلبة العلم الذين زهدوا في تعلم علم النحو؟

الجواب: لا علم شرعيًا إلا بنحو؛ لأن العلم الشرعي عربي، نفقه النصوص: الكتاب والسنة، وفهم السلف لها، وفهم العلماء لها، وهذا لا يكون إلا بفهم اللغة، وأول درجات فهم اللغة فهم النحو، تُفهم معاني الكلام إذا تركب، فمن لم يفهم النحو، لا فهم له في الشريعة. [شرح كشف الشبهات].

جملة الترضي عن الصحابة بين الإنشاء والخبر

س ٢١٦: الترضي عن الصحابة بقول: ﷺ، هل هذه الجملة خبرية أم إنشائية؟

الجواب: إنشائية وخبرية، إنشائية في الدعاء في أن الله ﷻ يرضى عنهم، وخبرية لأن الله أخبر بأنه رضي عنهم: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقال ﷻ: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ

وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فقولنا في الصحابة: رضي الله عنه أو عنهم، هذه إنشائية في الدعاء وأيضًا خبرية؛ لأن الله أخبر أنه رضي عنهم، بخلاف الدعاء لغيرهم بالرحمة، نقول: فلان رحمه الله، هذه دعاء، يعني يرحمه الله، (رحمه الله) دعاء، وليست خبرًا، وهو إنشاء طلب دعاء. [شرح زاد المعاد].

سبب مجيء ضمير الفصل، وعلاقته باسم كان من حيث ظهوره واستتاره

س ٢١٧: ألا نقول إذا ظهر اسم كان لنفصل بين أن يكون ما بعد اسم كان خبرًا أو صفة نأتي بضمير الفصل؟ وإذا استتر اتضح المعنى.

الجواب: أنت قصدك الضمير أم إذا لم يستتر؟

السائل: إذا كان اسم كان ظاهرًا، سواء كان ضميرا أو اسما ظاهرا.

الجواب: هذا شرط مختلف فيه، وليس عليه دليل؛ لأنه ما الفرق بين الظهور والاستتار هنا؟ والظهور وعدم الظهور؟ وأصله (هم) بنوه على أن (هو، وهم) الذي هو ضمير الفصل والعماد، أتى للفرق ما بين الصفة والخبر، وهذا هل يُسلم أم لا يُسلم، وبناء عليه جعل البصريون بعض الشروط التي ذكرها ابن هشام في المغني، وذكرها غيره، وبقاؤها على ما جاء في القرآن أولى في أنه إذا جاء ضمير الفصل، فإنه يستوي أن يكون ما قبله ظاهرًا أو غير ظاهر.

السائل: هل ورد في القرآن ما قبله غير ظاهر، وهو ضمير منفصل؟

الجواب: ما ورد، ولكن ما الفرق؟ أنا ما أستحضر الآن.

السائل: اسمه الفصل ليفصل بين الخبر والصفة، لكن إذا ما ظهر الاسم ما يحتاج للفصل.

الجواب: من الذي سماه فصلا؟ سماه البصريون، والكوفيون يسمونه ضمير عماد؛ لأن الكلام يعتمد عليه، لا محل له من الإعراب، على كل حال هذا بحث جيد، وجزاك الله خيرًا. **[شرح زاد المعاد]**.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في كتابه التوضيح المبين (فإنه يستحيل، ويمتنع أن يكون هو نَفْسَ المخلوقات).

فقال فضيلة الشيخ تعليقًا على هذا:

نَفْسَ، عرفت لماذا نَفْسَ؟ (أن يكون هو نَفْس) لأنها خبر كان، و(هو) ضمير عماد لا محل له من الإعراب، أو ضمير فصل، يعني أن يكون الله هو نفس المخلوقات، و(هو) ضمير يُسمى عند النُحاة ضمير فصل، وعند الكوفيين يسمى ضمير عماد، يقربها لك قول الله ﷻ في سورة الأنفال: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٢﴾ [الأنفال: ٣٢] هو ضابطه أن يكون بين مبتدأ وخبر، وهناك أحوال أخرى، مثل: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ [النجم: ٥٢] يعني: هذا لا محل له من الإعراب، ليس مبتدًا وما بعده خبر، يعني: (هو) مبتدأ، ونفس (خبر) تكون مرفوعة، لا.. هذا يسمى ضمير فصل، أو ضمير عماد. **[شرح التوضيح المبين]**.

الفرق بين الوَلاية والوِلاية

س ٢١٨: ما الفرق بين الوَلاية والوِلاية؟

الجواب: الوَلاَية بالفتح المحبة والنصرة، محبة الله ونصرته؛ كما قال: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّۚ﴾ [الكهف: ٤٤]، يعني: المحبة الكاملة والنصرة الحقيقية هي لله ﷻ ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾، أما الوِلاية بالكسر بمعنى السلطان والتولي، بعض العلماء يعكس بينهما، لكن ليس بجيد، الصحيح والظاهر عند أهل اللغة والمعتمد هو الذي ذكرت لك: أن الوَلاية بالفتح المحبة والنصرة، وبالكسر الملك والسلطان وتولي الأمور. **[شرح التحفة العراقية]**

معنى: (الإسلام متعدٍ ولازم)

س ٢١٩: ما معنى: الإسلام متعدٍ ولازم؟

الجواب: يعني أسلم أنت، هذا لازم لك أنت، مثل أن أقول لك: ذهب سعد، هذا لازم لك أنت، لكن: ضَرَبَ سعدٌ، أَنَّبَ سعدٌ، . . . ما تجيء عليك لازم، ضرب سعد لازم تروح لغيره، ضرب سعد فلانًا، أَنَّب سعد فلانًا، فاللازم الذي ما يحتاج لثانٍ، ما يحتاج أن يتعدى، يعني شيء يروح له: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ [البقرة: ١٣١]، ما قال: أسلم وجهك، أسلم نفسك، أسلم، فهذا لازم، ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، وفي الآية الثانية: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾ [البقرة: ١١٢]، فهو أسلم، أنت أسلمت وجهك وفي الآية هذه أسلمت، قال أسلِمْ يعني فلان أسلَمَ، ظاهر؟ يعني في المتعدي الذي يذهب إلى الغير. **[شرح التحفة العراقية]**.

فائدة في معنى موجَب وموجِب

لماذا قلت: (موجَب)، ولم تقل: (موجِب)؟ لأن موجَب الأثر مقتضى الكتاب والسنة، الموجِب يكون قبل، موجِب الشيء يعني: ما كان قبله، فأوجب وجوده، وأما موجَب الشيء، فهو: أثره والمقتضى له، يعني: ما نشأ عنه، فموجَب الكتاب والسنة: التوحيد، موجَب الكتاب والسنة: الإيمان بالرسالة، موجَب الكتاب والسنة: البعد عن طريق المشركين أهل الاختلاف والبدع الذين فرقوا دينهم، هذه كلها موجَبات، أوجبها الكتاب والسنة، نشأت عليه، وهذه يُنتبه للفرق بينها؛ لأن لها أثرًا في التنزيه، ما يقال موجِب الكتاب والسنة هو كذا، كأن هذه الأشياء التي أوجبت مجيء الكتاب والسنة، لا . . . هذه موجَبات؛ لأنها مقتضيات من الكتاب والسنة. **[شرح الاستقامة]**.

معنى الريب

س ٢٢٠: قول ابن تيمية رحمه الله في كتاب الاستقامة: لأن الريب عدم العلم. فهل الريب هو عدم العلم؟

الجواب: الريب ليس هو عدم العلم، الجهل هو عدم العلم، إلا أن يعني عدم العلم اليقيني، يعني العلم المتيقن، إذًا تقول: يُحمل كلامه على العلم المتيقن، أما الريب فيه تردد: ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥] الريب

فيه عدم اليقين بالعلم، يعني: شك، عدم يقين، المسألة ما هي واضحة، ما هو مقتنع، هذا هو الريب، مرتاب أي: متشكك. [شرح الاستقامة].

حكم إضمار المخصوص بالمدح أو بالذم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الاستقامة: (فإن المخصوص بالمدح والذم في هذا الباب كثيرًا ما يكون مضمرًا، إذا تقدم ما يعود الضمير إليه، والمدح يراد به الرجل، كما تقول: نعم رجلًا زيد، وزيدٌ نعم رجلًا).

وقال فضيلة الشيخ تعليقًا على هذا:

ما إعرابها (نعم رجلًا زيد)، كلها ما إعرابها؟

الشيخ: لوقلنا زيدٌ رجلًا؟ ما يستقيم الكلام هكذا.

طالب: في هذا الأصل كما يريد، تقدم ما يعود الضمير إليه، كما تقول نعم رجلُ زيد، والنقص المراد به الرجل، ونعم رجلًا زيد، ولعل ما أثبته يستقيم.

الشيخ: هو كله واحد، يعني المقصود: إن زيدًا في مثل هذا المرفوع إذا تأخر هنا الأحسن أن يكون مبتدأ متأخرًا، تكون الجملة الفعلية قبله خبر، يعني: زيدٌ نعم هو رجلًا، لماذا؟ لأن الجملة الفعلية فيها التجدد، والجملة الاسمية فيها الثبات والاستقرار، الثبات والاستقرار هنا أحسن لدوام وصف المدح.

سؤال: هل هي مثل جملة المدح أو الذم المعروفة؟

الجواب: نعم، مثل: بئس الرجل أنت، أو نعم الرجل أنت، ما إعرابها؟ نعم الرجل أنت.

الطالب: أنت مبتدأ مؤخر.

الشيخ: والذي قبله جملة فعلية؟

الطالب: نعم.

الشيخ: هذا ما هو استطراد لا محل له، متعلق بفهم التقدير، تقدير الآية، الإخوان إذا جاء النحو ناموا أو سرحوا، إن النحو مهم لا علم بلا نحو ولا لغة. **[شرح الاستقامة]**.

معنى الشركة؟

الشَرِكة: يعني الاشتراك، ويجوز أن يقال: الشِرْكة فيها، وفيما هو من نظائرها، مثل - يعني مما يستعمله طلاب العلم -: طِلْبة وطَلِبة، فيها كتاب لبعض الحنفية (طَلِبة الطَلَبة) ويقال أيضًا: (طِلْبة الطَلَبة)، والشَرِكة يقال: هذا بيننا شَرِكة، يعني: اشتراكاَ، أو يقال: هذا بيننا شِرْكة يعني: اشتراكًا، فيصح فِعْلة وفَعِلة. **[شرح التوضيح المبين]**.



فائدة عن لغة أكلوني البراغيث

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في كتابه التوضيح المبين: وقول المصنف: (نسبوا إليه عابدو الصلبان) هذا على لغة من يُلحق الفعل المسند إلى الظاهر علامة التثنية والجمع، وهي لغة ضعيفة، تحمل عليها الضرورة، واللغة الفصحى أن يفرد الفعل المسند إلى الظاهر، فيقال: (نسب إليه عابدو الصلبان).

فقال فضيلة الشيخ تعليقًا على هذا:

أما هذا البحث اللغوي، فكلام العلامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيه نظر من جهة أن يقال: إن هذا لغة ضعيفة؛ لمجيئها في صدر سورة الأنبياء، وهي قوله ﷻ: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأنبياء: ٣] بعض أهل العلم يستعمل في كلام في اللغات القليلة بأن يقال لغة ضعيفة، هذا لا يسوغ، إذا كانت جاءت في قراءة من القراءات، أو كانت محفوظة عن العرب، فالأنسب أن يقال: في لغة قليلة؛ لأنه ما جاء في القرآن، فهو كلام الله ﷻ، وهو محمول على أفصح اللغات وأبلغها، لكن قد يقال إنها لغة قليلة.

ولهذا عبَّر ابن مالك في الألفية في آخر باب الفاعل، يقول[1]:

وَجَـرِّدِ الـفِـعـلَ إِذا مـا أسـنِـدَا ... لاثـنَـينِ أو جَـمعٍ كـفَـازَ الـشُّـهَـدَا

وَقـد يُـقـالُ سَـعِـدَا وَسَـعِـدُوا ... وَالـفِـعلُ لِـلـظَّـاهِـرِ بَـعـدُ مُـسنَـدُ

---

(١) انظر: شرح ابن عقيل (٢/ ٧٩).

هذا قوله: (قد يقال) هذا من التقليل، لكن ليست لغة ضعيفة.

ومنهم من قال: إن الجمع إذا كان قبله الفعل، فإن جمع الفعل مراعاة لجمع الفاعل ضعيف، ويسميه بعضهم: لغة أكلوك البراغيث، ما يقول: أكلوني، أكلوك.

هذا التضعيف أيضًا من هذا الوجه بناء على قول بعض النحاة: (فيه نظر)؛ لمجيئه في القرآن كما ذكرنا، ولمجيئه في سنة صحيحة عند البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في قوله في الحديث الصحيح: «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ**»[1]، وفي تعليق العلامة ابن مالك صاحب الألفية على صحيح البخاري وما فيه من الفوائد في النحو في هذا الحديث، ذكر الشواهد الكثيرة التي تدل على صحة ذلك، وعلى استعماله، وعلى أنه ليس من اللغات الشاذة أو الضعيفة، وإنما لغة قد تقال: يعني: لغة قليلة لبعض العرب، لكن ليست هي الفاشية، لهذا قال في الألفية: (وقد يقال) هذا هو الصحيح، فلا ينبغي أن نقول: هي ضعيفة. أولًا، ثم لا ينبغي أنه تحمل عليها الضرورة وقوله: (تحمل عليها الضرورة) كأن ابن القيم راعى الوزن، ورعاية الوزن من أوجه ما تدعو إليه الضرورة؛ كما قرره علماء العروض، وذكره الألوسي في كتابه: (الضرائر فيما يجوز للشاعر دون الناثر)، لكن هذا ليس بجيد؛ لأن القرآن والسنة ليسا فيهما ضرورة، وليست مستعملة فيهما اللغات الضعيفة، فإذًا نقول: كلها لغة فصحى، لكن بعضها مشهور، وبعضها قليل.

[شرح التوضيح المبين].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٥، ٣٢٢٣، ٧٤٢٩، ٧٤٨٦)، ومسلم (٦٣٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فائدة حول استخدام (لاسيما)

لاسيما أهلُ، لماذا قلت أهلُ، أو على السليقة؟ (لاسيما) بعدها يصح الرفع على أنها خبر (لا)، ويصح الجر، ويصح النصب، ثلاثة، وأوجهها الرفع، ثم الجر، ثم النصب، وبها رُوي قول الشاعر:

(وَلا سِيَّما يَومٍ بِدارَةِ جُلجُلِ)، (ولا سيما يومٌ بدارةِ جُلجُلِ)، لها توجيهات، المقصود أن هذه ما يُخطئ فيها أحد، ما تريده تكتبه. **[تعليقات على قرة عيون الموحدين]**.

نوع الاستثناء في كلمة التوحيد

س ٢٢١: ما معنى الاستثناء المنقطع في كلمة التوحيد؟

الجواب: المنقطع، تفسير معنى الانقطاع يعني: أن يكون ما بعده ليس من جنس ما قبله، وما قبل (إلا) آلهة باطلة، وما بعد (إلا) الإله الحق.

المعنى هو لا إله حق، يعني: لا معبود حق إلا الله، فيكون ما بعده ليس داخلًا في جنس ما قبله؛ لأن ما قبله منفي، وما بعده مثبت، فالأول الآلهة الباطلة التي يُنفى عنها العبادة، وما بعده يكون الإله الحق المستحق للعبادة، لهذا قال من قال: (إلا) هنا أداة استثناء منقطعة، ولكن هذا ليس بجيد، فـ (إلا) هنا تقول: إنها استثناء، استثناء مُفرغ، تقول: إن الاستثناء هنا للحصر، لا بأس، مُفرغ: يعني فُرغ ما قبله للعمل فيما بعده.

لم يأت إلا محمد: (محمد) فاعل، فإلا هنا استثناء، والخبر هو مرفوع بالابتداء، على خلاف في النحو؛ لأن الخبر، هل الرافع له الابتداء، أم ماذا؟ الخبر ما الذي يرفعه المبتدأ، أو الابتداء؟ خلاف: هل هو المبتدأ الذي يرفع الخبر، أو الابتداء؟ والأظهر أنه الابتداء، الابتداء هو علة رفع المبتدأ، وهو علة رفع الخبر، والأمر قريب. [**تعليقات على قرة عيون الموحدين**].

الفرق بين الرجل والقدم

س ٢٣٢: هل هناك فرق بين الرجل والقدم؟

الجواب: الرجل من حيث اللغة تشمل ما بين أطراف الأصابع إلى اتصال الفخذ بالحوض، هذه كلها رجل، وهي تشمل: الفخذ، والركبة، والساق، والقدم، فإذا قيل: الرجل، فتشمل هذا جميعًا، القدم: خصوص القدم، ففي الحديث: «**فَيَضَعُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدَمَهُ عَلَيْهَا**»(١)، وفي رواية رجله(٢)، المقصود منها: القدم بتفسيرها بالرواية الأخرى؛ لأنه يطلق الكل، ويراد به الجزء، مثل قول الله ﷻ في السارق والسارقة: ﴿فَاقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا﴾ [المائدة: ٣٨]، أيديهما ليس إلى العضد، وإنما الكف فقط... إلى آخره. [**محاضرة الفرق بين كتب الفقه وكتب الحديث**].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الفرق بين العلم والمعرفة

س ٢٢٣: ما الفرق بين العلم والمعرفة؟

الجواب: العلم والمعرفة هذا تفريق تقرؤه في شروح الكتب والحواشي، وفي التفسير أيضًا، العلم والمعرفة ليسا بمترادفين؛ لأنه على التحقيق في اللغة لا ترادف في اللغة العربية ألبتة، بل تختلف الألفاظ، تشترك في أصل المعنى، ويزيد لفظ على لفظ في بعض المعنى الذي دل عليه اللفظ.

فالمعرفة والعلم لفظان يجتمعان في إدراك المعلومة، ويفترقان في أن العلم قد لا يسبقه جهل، والمعرفة قد يسبقها جهل؛ ولهذا أطلق العلم في صفات الله ﷻ، ولم تطلق المعرفة، **هذا من جهة**.

والجهة الثانية في التفريق: أن العلم والمعرفة يتواردان في أن كلا منهما أدرك به الشيء، بطريقة من طرق الإدراك، (يتواردان يعني: يتفقان)؛ لأنهما يدرك بهما الشيء بطريقة من طرق الإدراك، قد يدرك بالحواس، قد يدرك بالكتابة، قد يدرك بالتعلم... إلى آخره، فهذا وهذا يشتركان في أن وسيلة إدراك العلم ووسيلة إدراك المعرفة واحدة، وأقول هذا تبعا لما قاله أهل العلم في ذلك؛ لأن المناطقة بل الفلاسفة يسمون إدراك المعلومات بنظرية المعرفة، نظرية المعرفة هذه عندهم يعني: تلقي المعلومات، ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨].

الناحية الثالثة التي يعرض فيها إلى العلم والمعرفة: أن العلم في

القرآن محمود، وأما المعرفة، فإنما وصف بها أهل الإنكار، وصف بها اليهود، وصف بها أهل الكتاب، وصف بها أهل الكفر والإشراك، فقال ﷻ ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وقال ﷻ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣]، فجاءت لفظة المعرفة في الكتاب مذمومة، إذ نسبت المعرفة لحال مذمومين، فكان المعرفة في القرآن علم أُنكر، أُدرك ثم أُنكر، فعرف ثم أنكر، لهذا قال: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾، وأما العلم، فهو محمود في القرآن، في السنة جاءت المعرفة في بعض الأحاديث بلفظ عرف، في نحو قول النبي ﷺ في حديث معاذ رضي الله عنه: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ ﷻ فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ**»(١) في (مسلم) الحديث، فهنا قال: «**فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ**» يعني: أدركوا وجوب عبادة الله؛ لهذا قلنا في الفروق لك أولا: أن المعرفة قد يسبقها جهل، والعلم قد لا يسبقه جهل.

على العموم التفريق هذا أقول يطول الكلام عليه، هذه تأخذها من الشروح المطولة. [**محاضرة الاعتصام بالكتاب والسنة**].

الفرق بين الرهبة والخوف

س ٢٢٤: هل الرهبة لها حد لغوي؟

الجواب: هي لها حد من جهة اللغة، فالخوف شيء، والرهبة شيء آخر،

(١) أخرجه البخاري (١٤٥٨، ٧٣٧٢)، ومسلم (١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

يعني: الرهبة خوف، وزيادة نوع من أنواع الخوف، وكذلك الرجاء والرغبة الرغبة رجاء وزيادة، وهذه ذكرتها لكم في «ثلاثة الأصول» كلها تعريفاتها بالتفصيل. [مجلس١٩/ ٥/ ١٤١٧هـ].

تعلق الجار والمجرور في قول الله ﷻ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وعلاقته بصفات الله ﷻ

س ٢٢٥: أحسن الله إليك يا شيخ عندك الجار والمجرور الصحيح يتعلق باثنين يعني مثلًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣] قاعدة نحوية مضطردة.

الجواب: هذا مبني على أن الجار والمجرور شبه جملة، وشبه الجملة لا تقوم بنفسها، لا بد لها من متعلق تتعلق به؛ ليتم الأمر، هذا أصل البحث، فشبه الجملة لا بد لها من متعلق تتعلق به، المتعلق يتعلق به الجار والمجرور وهو المصدر، المصدر الذي هو مصدر، أو المصدر المستكن في الفعل، سواءً كان فعلًا ماضيًا، أو مضارعًا، أو أمرًا؛ لأن كل فعل فيه مصدر كما هو معلوم.

س ٢٢٦: يعني أصلًا حصول الفعل مشتق من المصدر؟

الجواب: لا، ليس لأجل هذا، نقول كل فعل مستكن فيه مصدر؛ لأن الفعل عبارة عن شيئين، عبارة عن زمن وحدث، الحدث المحرر عن الزمن هو المصدر، فكل فعل فيه زمن وحدوث، فكل فعل فيه مصدر، ولذلك

الصحيح أنه لتعلق، وبعض أهل العلم يعبر بأن التعلق بالفعل أو ما قام مقام الفعل، أو نقول التعلق بالمصدر المستكن في الفعل، أو المصدر الظاهر، فإذا كان هذا هو المراد، فكون أنه تتعلق شبه جملة واحدة أو اثنتين، تعلق جار ومجرور اثنين، لكن المثال الذي أنت ذكرته إنما فيه جار ومجرور واحد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

س ٢٢٧: عفا الله عنك هذه الرأفة والرحمة هل لها علاقة بالمتعلق؟ يعني هذا مثلًا الذي يرى أن الفرق بين الرحمن والرحيم في وصف الرحيم بالمؤمنين، يعني: الاعتراض عليه بمثل هذا: إن الله تعالى علق الرحمة وضعفها بالناس جميعًا، أو جعلها متعلقة بالجار والمجرور؟

الجواب: لا، لا ليست هكذا، أصل سبك الكلام: إن الله لرؤوف رحيم بالناس، واضح؟ لرؤوف رحيم بالناس، تقديم بالناس على الخبر هذا لأجل مقتضيات بلاغية معروفة، الاسم من أسماء الله ﷻ إذا أخبر به، فيجوز أن تخبر باسم ثانٍ عن الابتداء نفسه، تقول: (الله هو الكريم المتعال)، (الله هو الرؤوف الرحيم) واضح؟ فالرؤوف خبر أول، والرحيم خبر ثانٍ، هذا على اعتبار أن كل اسم مشتمل على صفة غير الصفة المشتمل عليها الاسم الثاني، فبينهما تباين، فيصبح الأول فيه دلالة على الذات وعلى الصفة، والثاني فيه دلالة على الذات وعلى الصفة، ولذلك نقول: الأول خبر أول، والثاني خبر ثان، إذا نظرت إلى دلالتها على صفات مجردة، الأول على الذات، والثاني على الصفة، صار الثاني نعتًا، وهذا يعبر به جمع من أهل العلم في الإعراب (الله هو الرؤوف الرحيم)، و(إن الله لرؤوف رحيم) فالرحيم خبر ثان، ونعت لرؤوف باعتبار دلالة رؤوف على الذات، ودلالة رحيم على الصفة،

واضح لك؟ وهذا يجوز، وهذا يجوز، إذا صح هذا لا يعترض عليه بكون رؤوف رحيم كلها تعلقت بالناس.

اتضح لك؟ لأننا نقول الرحيم تكون نعتًا لرؤوف، أو تكون خبرًا ثانيًا، إذا صار كذلك ما تعين أن تكون في هذا المقام خبرًا ثانيًا؛ حتى تصير متعلقة بالناس، فيكون التعلق فيها هنا رؤوف هنا الرأفة، أو بالفعل المحذوف، تكون رحيم صفة للرؤوف، لكن ما لها تعلق بالناس.

س ٢٢٨: على ورود الاحتمال هذا؟

الجواب: نعم، طبعًا إذا ورد الاحتمال، ما تقدر توجهها لأحد، ما تقدر توجه التعلق لأحدهما؛ لأننا نقول: يجوز هذا الإعراب، ويجوز هذا الإعراب، فإذا جاءت نصوص تحدد أن الرحمة بالمؤمنين، وصحت من جهة الاستدلال، ما فيها منازعة، صحت من جهة الاستدلال، لم يصح تعليق بالناس بكلا الخبرين.

س ٢٢٩: عفا الله عنك ومعنى الآية تدل على هذا، أن الرحمة علقها بالناس، ولفظ الناس في استعمال القرآن يشمل الكافر والمؤمن؟

الجواب: وهنا تستطيع أن تقول في مجال التخصيص، قد تقول: (بالناس) يعني المؤمنين، فتكون هنا من العام المراد به الخصوص، يعني على هذا القول تستطيع أن تقول: إن (رؤوف) هنا الرأفة عامة، و(رحيم) هذه جاءت نعتًا لرؤوف، لا يراد به تعلقه بالناس، يعني في مخارجها كثيرة، لكن الأوضح في هذا أن نقول في هذا المقام: هي التعلق بالمؤمنين، وأنه بالناس هنا المراد به الخصوص، لكن أول سؤالك كان عن تعلق الجار والمجرور

بأكثر من فعل، لا يوجد ما يمنع أن يتوارد للفعل الواحد أكثر من متعلق، مثلا: نقول: قرأ في الكتاب من الطلاب في المدرسة محمد. يكون هنا في الكتاب، ومن الطلاب، كلها متواردة على القارئ.

إذا فهمت التعليل ترى؛ لأن النحو قواعد جاءت بعد السماع، يعني قواعد مستنبطة؛ ولذلك ما يتجه المحقق إلى مذهب البصريين في أن كل شيء لا بد من أن يكون موافقًا للقاعدة؛ لأن القاعدة اجتهادية، قواعد النحو اجتهادية؛ ولهذا رجح المحققون من أهل العلم مذهب الكوفيين في مسائل، إن مذهب الكوفيين مبني على السمع، والبصريون يعتمدون على التقنين، على التقعيد، والتقعيد ليس لازمًا؛ لأنهم استنبطوا، لاحظوا الموجود، واستنبطوا منه أحكامًا، هذا لا يعني أن يقضى على النصوص بقواعد، مثل ما تعرف البحث المشهور في قوله مثلًا: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [المائدة: ٦٩]، ومثل في قوله: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٦٢]، وأشباهه، ومثل في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣] على قراءة عدد من القراء: منهم أبو عمرو، وأبو عمرو كان يُخَطِّئُ من قرأ بـ(إن هذان لساحران)، وهذا بحثه النحوي كله راجع الإشكال على مذهب البصريين، لكن على مذهب الكوفيين ما فيه إشكال، هذه لها نظائر كثيرة في النحو، في التفسير لها نظائر. **[مجلس ٦/ ١٤١٨هـ]**.

حكم الاستشهاد بالحديث الضعيف على القواعد النحوية

س ٢٣٠: أحسن الله إليك، يا شيخ الاحتجاج بالحديث الضعيف في الأمور اللغوية، هل يصح؟

الجواب: هذه مسألة كبيرة، وأصلها الاحتجاج بالحديث، هل يسوغ الاحتجاج بالحديث في اللغة أم لا؟ هذا أصل المسألة، وهذه فيها مذاهب كثيرة لأهل العلم، وأصحها قول من قال: إن الحديث إذا نقلته من ذوي النقل باللفظ لا بالمعنى، ومن أهل العربية لا من الأعاجم، فلا بأس بهذين الشرطين، وحتى الحديث الصحيح ما يحتج به في اللغة إذا نقلته أعاجم أو ما يعرفون اللغة. [**مجلس ٦/ ١٤١٨هـ**].

أصل اشتقاق العقيقة

مداخلة: اسم العقيقة يا شيخ مأخوذ من العق؟

الشيخ: العقيقة من الشق.

مداخلة: من العق لأن العقيقة فيها قطع يعني: أصلها اللغوي فقط.

الشيخ: العقيقة هي أصلها الشق، لغويًا يقولون: العق هو الشق. [**مجلس ١٤/ ٧/ ١٤٢٣هـ**].

فائدة عن مطلق الإيمان والإيمان المطلق

الباحث: الإيمان المطلق هو الكامل الكمال المأمور به، ومطلق الإيمان هو الكامل والناقص.

الشيخ: كيف مطلق الإيمان هو الكامل والناقص؟ فسر لي هذه ما فهمت.

الباحث: يعني أنه يُطلق الإيمان هكذا فيشمل الإيمان الكامل، والإيمان الناقص.

الشيخ: إذًا الكلام على لفظ الإيمان، أو على لفظ مطلق الإيمان؟

الباحث: على لفظ مطلق الإيمان.

الشيخ: مطلق الإيمان غير الإيمان المطلق، الوضوء المطلق غير مطلق الوضوء، واضح؟ فمطلق الشيء: أصله، وليس كماله، الكمال هو: الإيمان المطلق؛ ولهذا يقال: فلان عنده مطلق الإيمان، يعني: عنده أصل الإيمان الذي به يكون مسلمًا، فإذًا تقول: مطلق الإيمان هو أصله، ما يقال كامل ولا ناقص، ولا أدري أنت فهمت هذا الكلام من أين؟! **[مناقشة رسالة ماجستير]**.



فائدة عن بعض العبارات التي تكتب في نهاية الحديث أو الآية أو العبارة

الآن (إلى قوله) هذه التي تكرر في كتب أهل العلم و(الآية)، يقولون: (الآية) أو (الحديث)، يقولون: (إلى قوله) متعلقة بماذا؟ ما معنى (الآية)، أو (الحديث)، أو (إلى قوله)؟ اقرأ، يعني: هي متعلقة بفعل محذوف تقديره اقرأ، اقرأها، يعني: الآية اقرأها، الحديث اقرأه، اقرأ إلى قوله، ونحو ذلك، لذلك تجد أن أهل العلم قد يقولون: (إلى قوله)، ثم يستدلون بأشياء، أو يفسرون أشياء لم يذكروها من الآيات التي هي في ضمن المحذوف الذي قال فيه: (إلى قوله)، فتنتبهون إلى هذا؛ لأن الأصل أنه إذا قال: (إلى قوله) يعني أنت تقرأ؛ لأن طالب العلم حافظ للقرآن يتمها قراءة، ثم يذكر المؤلف الفوائد منها. [**شرح القواعد والأصول الجامعة**].

فائدة في جزم المضارع المضعف الآخر

الشيخ: اضبطها؛ لأن هذه يكون فيها خطأ، ولم يَحِدَّهُ، حَدَّ يَحِدُّ، لم يَحِدَّهُ، لماذا قلنا: يَحِدَّهُ، وما قلنا: يَحِدُّه؟

الطالب: مجزوم بـ (لم).

الشيخ: حسنًا وعلامة الجزم؟

الطالب: السكون.

الشيخ: أين السكون؟

الطالب: حذفت.

الشيخ: لماذا حذفت؟ أنا أستخرج منك المعلومات، كملها، هي الأفعال المضعفة الآخر، يُقال مضعفة الآخر، أو مشددة الوسط، يعني: لام الفعل هي التي يدخلها التضعيف، نقول مثلًا كَرَّ هذا يسمى مضعفا، مَرَّ مضعف، حَدَّ مضعف، إذا صارت في الوسط يقول أهل اللغة ربما قالوا مشدد، يعني: مثل مارِّين، كارِّين، فالراء هنا ما نقول مضعفة نقول مشددة؛ لأنها صارت في الوسط، المقصود أن الفعل المضعف، الفعل المضارع المضعف إذا دخلت عليه أداة جزم، فإنه يجزم بالحرف، طبعًا بالأداة، ويكون علامة جزمه السكون، ولكنه ما دام أنه مضعف فأحد الحرفين ساكن، والحركة تكون في الحرف الأخير، والحرف الأخير إذا صار ساكنًا صار عندنا ساكنان، العرب فتحته لالتقاء الساكنين، صار الفعل المضعف، تكون علامة الجزم السكون، ولكن السكون المقدر وليس بالظاهر، لماذا لم يجعلوه مضموما؟ لأجل أَلَّا يشتبه بالفعل المضارع الذي لم تدخل عليه أداة جزم، طبعًا لا يمكن أن يكون مكسورًا؛ لأن الكسر ليس من صفات الفعل، صارت مفتوحة تقول: لم يمرَّ، لم يكرَّ، لم يحدَّ، لم يسدَّ، وعلى هذا... **[شرح القواعد والأصول الجامعة]**.

❀ ❀ ❀

الأعداد المركبة تبنى على فتح الجزأين، ويقدر محلها من الإعراب

الشيخ: ما إعراب: القاعدة الثالثة عشرة؟ ما المبتدأ؟ وأين الخبر؟

طالب: القاعدة مبتدأ.

الشيخ: والخبر أين؟

طالب: خبر لمبتدأ محذوف.

الشيخ: هذه القاعدة، حسنًا ما إعراب الثالثة عشرة، التمييز نكرة، الثالثةَ كيف أتى هنا؟

طالب: هي أعداد تنصب.

الشيخ: الثالثةَ عشرةَ، هذه الأعداد المركبة تُبنى على فتح الجزأين ﴿رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [يوسف: ٤] أحد: منصوبة أو ماذا؟ مبنية، يعني أحد عشر هذا مبنى على فتح جزأيه، يعني أحد جزء، وعشر جزء كل جزء مبني على الفتح في محل رفع، هنا: القاعدة الثالثة عشرة، هذا العدد مبني على فتح جزأيه، وهو نعت للقاعدة. [**شرح القواعد والأصول الجامعة**].

الفرق بين يَحتمِل ويُحتمَل

س ٢٣١ : هل مُحتَمَل أحسن من مُحتمِل؟

الجواب : نعم مُحتمَل أحسن من محتمِل، طبعًا في مثل هذا السياق، ولكن أحيانًا مثل أن تقول مثلًا : وهذا مُحتمِل عند العلماء يصلح ؛ لأن هذا يقول: العلماء حملوه على كذا، ولكن إذا كان المقصود التقسيم (وهذا مُحتمَل)، يعني : هو نفسه فيه وجهان، هو نفسه قد يدل على هذا، وقد يدل على هذا، يعني ليس العلماء الذين حملوه، إذا جاء هذا اللفظ، حمله طائفة على كذا، وحمله طائفة على كذا مثلًا، نقول هذا حُمل على كذا، وحُمل على كذا، يُحتمَل أن يكون كذا، يعني : حمله أناس، ويحتمل أن يكون، أما إذا صار تقسيمًا مجردًا، نقول هذا دلالته تَحتمِل أن تكون كذا، أو تكون كذا، إذا قلت يُحتمَل، أقول لك: من الذي حمله على هذا؟ فالأكثر أن يَحتمِل التقسيم، ويُحتمَل إذا كان هناك من حمله على هذا.

يَحتمل أحسن من يُحتمل، لماذا؟ لأن يَحتمل تقسيم، ولكن يُحتمل يعني : أنك ستحمله على كذا، يعني : يمكن أن يُحمل على كذا، ويُمكن أن يُحمل على كذا، يعني : غيره يحمل، و(يَحتمل) تقول: أن نفس العبارة قد تدل على هذا، وقد تدل على هذا، يعني: هي نفسها الإجمال فيها، الإجمال في العبارة نفسها، ليس حمل العلماء عليها. **[شرح القواعد والأصول الجامعة]**.

فائدة في إعراب «لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ»

هذه القاعدة مأخوذة من نص الحديث: «**لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ**»[١] وكلمة (لا) هذه هي النافية للجنس، واسمها (ضرر)، (لا ضرر)، وعطف عليها (الضرار)، (ولا ضرار)، ولكن أين الخبر؟ لا ضرر: ماذا يعني؟ ولا ضرار ماذا؟ الخبر حذف، ويُحذف الخبر في اللغة لأحد سببين (خبر لا النافية للجنس):

الأول: إذا كان مقصودًا معروفًا.

والثاني: إذا كان حذفه أبلغ في الدلالة من إبقائه.

وهذان السببان مجتمعان فيما حذف من الخبر في نصوص كثيرة: (لا إله إلا الله) هنا حذف خبر (لا) لدلالة المقام عليه؛ ولأجل الاهتمام به، والتنبيه عليه (لا إله) ماذا؟ حق، (إلا الله)، «**لاَ عَدْوَى، وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ**»[٢] الحديث، (لا عدوى) ماذا؟ محذوف الخبر، (لا طيرة) محذوف الخبر، حذفها النبي ﷺ لهذين الأمرين، من هذا الباب «**لاَ ضَرَرَ**

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٣٤١)، وأحمد (١/ ٣١٣). قال البوصيري (٣/ ٤٨): هذا إسناد فيه جابر (يعنى الجعفي) وقد اتهم. والطبراني (١١/ ٢٢٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
أخرجه ابن ماجه (٢٣٤٠)، قال البوصيري (٣/ ٤٨): هذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع. والبيهقي (٦/ ١٥٦) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.
أخرجه الطبراني (٢/ ٨٦) من حديث ثعلبة بن أبى مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٠٧، ٥٧٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٢٢٢٠) من حديث السائب بن يزيد ابن أخت نمر رضي الله عنه.

وَلاَ ضِرَارَ»، فهنا الخبر اختلف العلماء في تقديره، مع اتفاقهم أنه محذوف، (فلا ضرر) ماذا؟ (ولا ضرار) ماذا؟ فهنا قالوا: لا ضرر مقبول في الشرع، فالضرر باطل، ومنفي شرعًا، ولا ضرار: يعني: مضارة مقبولة شرعًا، بل هي باطلة شرعًا. [**شرح القواعد والأصول الجامعة**].

تنبيه على بعض مواضع همزة القطع وهمزة الوصل

س ٢٣٢: هل همزة (أسقنا) قطع أم وصل؟

الجواب: قطع، همزة الوصل لها أحوال، ليست هذه منها، هذا فعل أمر، هو يروى، ولكن على اعتبار أنها مثل كتب اكتب، قرأ اقرأ، كلها همزات وصل، ولكن إذا جاء في القطع في مثل هذا الموطن قال: (أسقِ) وفي الرواية الثانية عندك بهمزة الوصل، القطع هنا ظاهر، وهذا له أمثلة ليست بالكثيرة فيما يكون بالقطع وظاهره بالوصل، مثل مثلًا في الأسماء كلمة (ألبتة)، (ألبتة) ظاهرها أن الألف واللام (ال) المعتادة تكون الألف للوصل، ولكن هذه للقطع اتفاقًا، تقطعها، تقول: ألبتة؛ لأن الألف واللام هنا خرجت بسبب. [**تعليقات على تحفة الطالب والجليس**].

فائدة: في الحصر والقصر

(إنما) للحصر، وألفاظ الحصر معلومة، وهو من مباحث علم المعاني من علوم البلاغة، من أيضًا مباحث علم النحو، والحصر والقصر بمعنى واحد، فما معنى الحصر والقصر؟ معناه - كما قال المؤلف هنا -: إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه، فإذًا يكون قوله: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»(١) فيها إثبات الحكم للمذكور، وهو أن العمل بالنية، ونفيه عما عداه، عما عدا ذلك، وهو أن العمل الذي ليس منشؤه نية غير واقع أصلًا، أو غير مقبول، أو غير معتبر شرعًا على اختلاف التقديرات.

ثم ذكر هل المنفي مأخوذ من اللفظ، أم من المفهوم؟ قال: (فيه بحث)، وهو بحث معروف عند الأصوليين، والأظهر أنه مأخوذ من المفهوم، لا من المنطوق، لا من اللفظ، فإن قول القائل: إنما العالم محمد مثلًا، أو كما في هذا الحديث: «**إِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**» هذا فيه إثبات للحكم بما ذكر، ولكن نفي صحة العمل إذا لم تكن فيه نية، هل هو مأخوذ من الحصر لفظًا، أو من مفهوم الحصر؟ الظاهر أنه من مفهوم الحصر، مع احتمال كونه من لفظه، ولهذا قال: (فيه بحث).

الحصر له أقسام معروفة في علم المعاني من علوم البلاغة، وله أدوات، ومن أدواته (إنما) المذكورة في هذا الحديث، ومن أدواته (ما) و(إلا) ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤] هذا حصر وقصر، من أدواته (إن) النافية مع

---

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(إلا)، (إن) النافية مع (لما)، التي هي بمعنى إلا: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤]، ومن أدواته أيضًا مجيء النافي (لا) مع (إلا)، ونحو ذلك، فله ألفاظ، ومما يُستفاد منه القصر مجيء الخبر معرفًا بـ (ال)، وهذا له بحث معروف في علوم البلاغة.

الحصر عند علماء المعاني نوعان: حصر حقيقي، وحصر إضافي، وهو الذي عبر عنه هنا بالحصر المطلق والحصر المقيد، الحصر الحقيقي والقصر الحقيقي هو: القصر المطلق، يعني الذي لم يُنظر فيه إلى حال من الأحوال، وأما القصر المقيد (القصر الإضافي)، فهو الذي نظر فيه إلى حال من الأحوال، مثلًا: في قول النبي ﷺ: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ**»(١) هو ﷺ بشر، لكن ليس بمعنى الحصر المطلق له ﷺ في البشرية، بل إنه ﷺ بشر كالبشر، لكن يزيد عليهم بأشياء، فإذًا يكون حصره ﷺ نفسه في البشرية لهذا الحديث يكون لفائدة، وتلك الفائدة - وذلك مستفاد من سياق الكلام - وهي أنهم يختصمون إليه، ويكون بعضهم ألحن بحجته من بعض، فقال ﷺ: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ**» يعني: في هذا الموضع، فأنا لم أخرج عن البشرية في هذا الموضع، وهو الحكم بين الخصوم، والبشر لا يطلعون على بواطن الخصوم وعلى الغيب الذي أكنه الخصم؛ من كونه كاذبًا في دعواه، أو صادقًا في دعواه.

فإذًا الحصر إما أن يكون حقيقيًا مطلقًا بدون قيد، وإما أن يكون مقيدًا، وقوله ﷻ مثلًا: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ [الرعد: ٧] جاء في آيات أخرى أن الله ﷻ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٨، ٢٦٨٠، ٦٩٦٧، ٧١٦٩، ٧١٨١، ٧١٨٥)، ومسلم (١٧١٣) من حديث أبي هريرة ﵁.

وصفه بأنه نذير وبشير، فها هنا لا يقصد الحصر المطلق، وإنما الحصر الإضافي، الذي قدره الشارح هنا بأنه منذر لمن آمن به، أليس منذرًا للكفار؟ هو نذير للعالمين، فلما قدرها المؤلف أنه نذير لمن آمن به؟ ذلك لأنهم هم الذين انتفعوا بالإنذار، والمنتفع بالشيء يُنسب إليه الشيء، والذي لم ينتفع به لا يُنسب إليه في بعض الاعتبارات، قال ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ [فاطر: ١٨]، (إنما) للحصر ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ مع أنه ﷻ أخبر بأنه نذير للعالمين؛ وذلك لأن الذين آمنوا به، وخشوا ربهم بالغيب هم الذين انتفعوا بالإنذار؛ لهذا قيدها هنا بأنه نذير لمن آمن به كقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ﴾.

القصر هنا أيضًا المستفاد من قوله: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» قصر موصوف على صفة، وهو نادر، ولكن هذا مثاله واضح، وسيأتي تقدير الكلام «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»، الأعمال: موصوفة، والنية: صفة، فهو قصر العمل على النية، قصره من أي وجه؟ سيأتي تفصيله فيما يأتي من المسائل.

س ٢٣٣: ألا يقال هنا: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ أنها للحصر المطلق؟

الجواب: لا، لمن آمن، لمن يؤمن به، وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ هو نذير لمن يؤمن، يعني في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]. **[تعليقات على إحكام الأحكام]**.

فائدة: في الشرط والجزاء

من المتقرر في النحو أن الشرط والجزاء لابد أن يتغايرا؛ حتى يتم المقصود من الكلام، مثلًا: لو قال قائل: (من ذهب ذهب)، لم يحصل المقصود، أو قال: (إن رأيت فلانًا، رأيت فلانًا)، لم يحصل المقصود من الكلام؛ لأن أدوات الشرط ترتب الجزاء على حصول الفعل فعل الشرط، ترتب جملة الجواب على جملة الشرط، فإذًا لابد من تغايرهما، هنا في هذا الحديث ثم إشكال، وهو أنه قد وقع الاتفاق بين الجواب وبين جملة الشرط، قال ﷺ هنا: «**فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ**»[1] من كانت هجرته إلى الله ورسوله، يعني: من وقعت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، لابد أن تكون الجملة الأولى مختلفة عن الجملة الثانية؛ حتى يستقيم المعنى لغة، قال: (إن التقدير فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله نية وقصدًا، فهجرته إلى الله ورسوله حكمًا وشرعًا)، يعني: أن من كانت هجرته ينوي بها أنها لله ولرسوله، فهجرته لله ولرسوله حكمًا وشرعًا، يعني: يُثاب على ذلك، فهذه الجملة كالتفصيل، أو ذكر بعض الأفراد لما سبق من التعميم، فإن قول النبي ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**» يدخل فيها هذا المثال الذي ذكر ﷺ، فقوله: «**فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ**» هو بعض أفراد الجملة التي سبقت، فيكون التقدير هنا: فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله نية وقصدًا؛ لدلالة السياق عليها، يعني: ما سبق من الجمل عليها، فمن كانت هجرته

---

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

إلى الله ورسوله نية وقصدًا، نوى بذلك، فهجرته إلى الله ورسوله حكمًا وشرعًا، أو حكمًا وثوابًا، أو حكمًا وأجرًا، أو حكمًا وقبولًا، ونحو ذلك من التقدير المناسب، وهذا ظاهر، وهو المقرر عند عامة من شرح هذا الحديث. **[تعليقات على إحكام الأحكام]**.

فائدة: في الاستنشاق والانتثار والاستنثار

هذا بحث لغوي، هو أنه أمر ﷺ في هذا الحديث بالاستنشاق، ثم أن ينتثر، «فليستنشق ثم لينتثر، أو ثم لينثر، أو ثم ليستنثر»، وهذه كلها متقاربة، أعني: ثلاثة الألفاظ هذه، وفيها الجمع بين الاستنشاق والانتثار أو الاستنثار، ومحصل هذا البحث أن حقيقة الاستنشاق في اللغة غير الانتثار، صحيح أن النثرة طرف الأنف، ولكنه يُطلق الانتثار على إخراج الماء، والاستنشاق على دخوله، ومما يؤيد هذا الفرق أن النبي ﷺ غاير بينهما في هذا الحديث فقال: «فليستنشق ثم لينتثر»، ولاشك أنه يدل ذلك على أن حقيقة الاستنشاق غير حقيقة الانتثار، إذا تقرر هذا، فما الاستنشاق؟ الاستنشاق فُسر بأنه جذب الماء إلى الأنف، والمبالغة فيه التي أمر النبي ﷺ بها لقيطًا وغيره بقوله: «وَبَالِغْ في الِاسْتِنْشَاقِ إلا أنْ تكونَ صائمًا»[1] بالغ في الاستنشاق، المبالغة في الاستنشاق بإيصال الماء إلى آخر الخيشوم، آخر

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٢)، والترمذي (٧٨٨)، وقال: حسن صحيح. والنسائي (١١٤)، وابن ماجه (٤٤٨)، وأحمد (٤/ ٢١١)، وابن حبان (٣/ ٣٦٨)، والحاكم (١/ ٢٤)، والبيهقي (١/ ٥١) من حديث لقيط بن صبرة رضي الله عنه.

ممر الأنف، وإذًا ثم فرق بين الاستنشاق بمجرده، وبين المبالغة فيه، ونخرج من هذا إلى بحث متصل بهذا في أعضاء الوضوء، وهو أن المبالغة تُطلق في المضمضة والاستنشاق، وفي غيرهما يقال: الإسباغ، فالمضمضة، يُقال: بالغ في المضمضة، المبالغة في المضمضة، الاستنشاق، المبالغة في الاستنشاق، بالغ في الاستنشاق، أما غيرها، غير هذين فيُقال: الإسباغ، أسبغ الوضوء؛ كما جاء في بعض طرق حديث لقيط وغيرها، فهو أُمر بالمبالغة في الاستنشاق، وأُمر بإسباغ الوضوء، وإسباغ الوضوء في مقام المبالغة في الاستنشاق، فما المبالغة في المضمضة؟ المضمضة - كما قلنا - إدخال الماء إلى الفم، ثم إخراجه منه، أما المبالغة، فهي إدارة الماء في جميع نواحي الفم، وهنا قيل: لم النبي ﷺ أمر بالمبالغة في الاستنشاق، واستثنى حالة الصوم؟ فلم لم يذكر ذلك في المضمضة: «وَبَالِغْ في الاِسْتِنْشَاقِ إلا أنْ تكونَ صائمًا»، والمبالغة على هذا النحو بالمضمضة لم يستثنِ منها الصيام، ولم تذكر المضمضة؟ أجيب بأن الاستنشاق إذا بولغ فيه للصائم، فإنه لا يتحكم في دخول الماء إلى الحلق، أما المضمضة، وهي إدارة الماء في جميع الفم، فإنه يتحكم في ذلك غالب الناس، أما الإسباغ، إسباغ الوضوء، فهو متصل بهذا، وهو أن إسباغ الوضوء أن يتوضأ، ويتتبع الماء بإيصاله إلى كل جزء من العضو، ودلك العضو، فهذا يقع عليه اسم الإسباغ، إذًا اسم الإسباغ بتعميم الماء على جميع العضو، وتتبع البواطن، أو المغابن إذا كان ثم، ثالثًا أن يكون مع ذلك دلك للعضو، فهذا هو الإسباغ.

فإذًا المضمضة واجبة، والمبالغة فيها مستحبة، الاستنشاق واجب،

والمبالغة فيه مستحبة، والوضوء واجب، وإسباغ الوضوء على هذا النحو الذي فسرت مستحب، من أهل العلم من فسر إسباغ الوضوء بأنه تعميم العضو بالماء، فإذا فُسر الإسباغ بذلك، كان الإسباغ واجبًا. **[تعليقات على إحكام الأحكام]**.

فائدة في معنى الأب

(أب): ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ [عبس: ٣١] أصل الأب - مثل ما ذكرنا سالفا - يرجع إلى التغذية، يرجع إلى الإمداد، فسمي المرعى أبًّا في قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾؛ لأنه متهيئ للتغذية، وهنا ربطه المؤلف بمعنى التهيئة لما يراد منه، التهيئة للقصد منه، فذكر أنه يقال: أب لكذا إذا تهيأ له، ونزع إليه، أب إلى بلده، إذا تهيأ إلى الرجوع، ونزع.

وكذلك كلمة إبان التي تستعمل، يقال: وقد حصل كذا وكذا في إبان قراءة الكتاب، أو في إبان السفر، أو إبان سفره، أو إبان ولايته.

ما معنى كلمة إبان؟

يعني في أثناء، وفسرها أناس، وقالوا: وهو الزمان المهيأ لفعل الشيء، يعني: أنه في داخل هذا الزمان فعل.

لكن هي في إبان يعني في حين، أو في أثناء، وما أشبه ذلك، ولا تعني قبل، أنه قبل حدوث الشيء؛ كما قد يتوهم.

إبان يعني: في الشيء، لما تهيأ الشيء للحصول، وبدأ في الحصول يقال: في إبان كذا، أو إبان كذا، يعني: أثناءه وفي وقت حدوثه.

وفيما جاء أن أبا بكر رضي الله عنه سأل عن الأب، فقال: ما معنى ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾؟ ثم قال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني؟ إذا أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم، وهذا يدل على أن الصحابي - مهما كان جليلا - قد يخفي عليه المعنى، لا لأجل عدم علمه، ولكن لأجل أن الكلمة لا يكون استعمالها في اللغة كثيرًا، ويكون ورودها في السياق أيضا قليلا؛ لأنه قال: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ هذا الأب وجوده إلى ما يدعم، وهو المرعى، لم يرد، أو استفسر عنه أبو بكر الصديق رضي الله عنه. **[شرح مفردات القرآن للأصفهاني]**.

فائدة في معنى (أَبَقَ)

كلمة أبق جاءت في القرآن في قوله عز وجل: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾ [الصافات: ١٤٠]، و(أبق) قال: معناها هرب، لكن هل هو مجرد الهروب؛ كما ذكرنا لك، ليس فقط هرب، أبق فيها هروب فيه شدة، فيه بُعد، فيه هروب مع كراهة ونحو ذلك، حتى ألفاظ الباء والقاف فيها قوة، تدل من حيث المخارج على شدة الهروب، وعلى كراهة البقاء؛ لهذا إذا قالوا للعبد الذي هرب من سيده - طبعا لن يهرب من سيده إلا لكراهته لذلك، أو شدة رغبته في الهروب -: آبق، يعني: هارب، إذا هرب هروبا شديدا، أو نحو ذلك.

قال عز وجل هنا: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ أي: في قصة ذي النون عليه السلام، كما قال عز وجل: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾ يعني: هرب هروبا شديدا من أهل بلده؛ لأنه أراد أن يسلموا، فلم يؤمنوا، فركب في الفلك المشحون، يعني: أراد البعد، فركب السفينة من شدة هربه وكراهته البقاء معهم: ﴿أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ

ٱلْمَشْحُونِ﴾ يعني: هرب إليه، فهرب منهم إلى البعد عنهم، فركب في هذا الفلك، قال ﴿فَسَاهَمَ﴾ [الصافات: ١٤١] ما معنى ساهم؟

ساهم يعني: ألقى سهمه في القرعة، فالمقترع يقال له: مساهم، وساهم يعني: اقترع، يعني حصلت القرعة، ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات: ١٤١] يعني: جاءت القرعة عليه، أنه هو الذي يلقى من السفينة؛ تخفيفا لها كما في القصة.

المقصود من هذا أن كلمة أبق لها هذا المعنى، فيها البعد في الشدة، شدة الهروب، فيها ما يدل على هذه المعاني إذا وردت.

قال: وعبد آبق، وجمعه: آباق، وتأبق الرجل تشبه به، تأبق الرجل يعني: استتر، الحظ هنا من المعاني تأبق الرجل، قال: معناها: استتر.

ما الصلة بين تأبق إذا استتر، وبين أبق إذا هرب، وبالغ في الهروب؟ إذن تكون تأبق ليس هي استتر، ولكنه استتر استتارًا شديدًا، بحيث إنه في النتيجة يكون في قصده كقصد الذي هرب هروبًا شديدًا، هذا من صلة اللغة بعضها ببعض.

فإذا تأبق الرجل إذا استتر، هي في المعنى متصلة بأبق العبد، إذا هرب هروبا شديدا، أو أبق الرجل إذا أبعد هاربا من شيء يكرهه. **[شرح مفردات القرآن للأصفهاني]**.

❊ ❊ ❊

فائدة في اسم الجنس والمعنى الكلي

أولًا : الإبل اسم جنس لا واحد له من لفظه ، هذا كثير ، يكون الاسم يدل على الكثرة ، يدل على الجنس ، لكنه لا واحد له من لفظه ، مثل مثلا : (إنسان) إنسان ما مفردها؟ إنسان جنس ، لكن ما المفرد له؟ رجل ، أو امرأة ، كذلك (نساء) ، ما مفرد النساء؟ نساء يدل على جنس الإناث ، ما المفرد؟ لا مفرد له من لفظه ، وهكذا . . . ، بعضها يكون تمييزًا ما بين الاسم والمفرد الاسم الدال على الجنس ، أو الجمع والمفرد بزيادة التاء المربوطة ، أو بالنسبة إليه بالياء ياء النسبة .

الأول: بزيادة التاء المربوطة ، مثلا : تقول : تمر ، هذا جنس واحدها ، تمرة ، تفاح واحدها تفاحة ، خبز : خبزة ، وهذا يدخل في المطعومات .

والثاني: يدخل في القبائل والنسب ، فتقول : عرب واحدها عربي بياء النسبة ، عجم واحدها أعجمي ، أو عجمي ، وهكذا .

المقصود هنا: أن الإبل معروفة ، وهنا بحث : هل في اللغة أنه أطلقت الأسماء هذه على هذه المعينات ، أو أن المعنى الكلي موجود أولا ، ثم جاء وصف هذا المعنى ، أو انطبقت الصفات على هذا المخلوق ، فسمي إبلًا ؛ لأجل ذلك ، أو سمي بعيرا ؛ لأجل ذلك ، أو سمي بقرا ؛ لأجل ذلك ، وهكذا؟

لا شك أنه لم تسم إلا لأجل معنى كلي وجد أولًا ، ولهذا من المهم في اللغة أن نعلم أن التخصيص الموجود إنما هو تخصيص للمعنى الكلي

اللغوي بالمعين الموجود على أرض الواقع، مثلا: غير الإبل - لأن ما يحضرني الآن تفصيل الكلام، وإن كان قد يأتي - مثل كلمة بقر، البقر واحدها بقرة - كما ذكرت لك آنفا -، ما صلتها بالبَقْر الذي هو الشق؟ لأن هذه كانت تستخدم في شق الأرض، وحراثة الزرع، فلهذا أخذ اسمها من المعنى الكلي، وهو الشق، فالشق يكون في الأرض، ويقال: بقر بطنه، أو بقر فلان بطن فلان إذا شقه، ونحو ذلك من المعاني، فإذًا هناك معان كلية، ثم جاءت على الذوات المعينة، الإنسان أيضا معناه كلي من ماذا؟ من أنه يؤنس، على أحد الأقوال الأربعة فيه، على أنه يؤنس، أو أنه يتحرك ظاهرا، بخلاف الوحش الذي لا يؤنس، أو بخلاف الجن الذين لا يُروْنَ، فإذًا هناك معانٍ تنطبق على المخلوق المعين، فتؤول إليه، وهذا مهم أن تعلم، لماذا؟

لأن أكبر خطأ وقع فيه المتكلمون الذين أولوا الصفات، أو أولوا الأحكام الغيبية - الأحكام الغيبية الخبرية التي في القرآن أو السنة - أنهم حملوها على المعينات الموجودة، فأخذ مثلا: كلمة جناح، فقال: الجناح للطائر، فمعنى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤] هذا مجاز؛ لأنه استعارة، لماذا؟

قال: لأنه استعار الجناح من الطائر، فجعلوا أصلًا كلمة جناح موضوعة للطائر، وهذا الذي يتعرض له علماء الوضع - يعني: وضع اللغة -، ويخطئون فيه كثيرا، فيجعلون الكلمة موضوعة لذات، موضوعة لمعين، وهذا ليس بجيد في اللغة، بل الصحيح أن اللغة معان كلية، جاء هذا المفرد، وهذا المعين فيه من صفات تلك المعاني، فأطلق عليه؛ لأجل صلته بهذا المعنى.

وقد يكون هذا الإطلاق شائعًا؛ لأن اتصافه بهذه الصفات هو الأكثر، لكن لا يعني أنها محدودة به، فخذ مثلا: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ الجناح قالوا: هو للطائر، فصار عندنا هنا استعارة، والاستعارة نوع من المجاز، لكن إذا نظرت، فإن كلمة جناح جاءت في استعمالات كثيرة: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [البقرة: ٢٣٦] يعني: لا حرج عليكم ولا إثم، يعني: ولا ميل عما أمر الله ﷻ، الله ﷻ قال لموسى عليه السلام: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه: ٢٢] يعني يدك لماذا اليد صارت جناح (يد الإنسان)؟

لأن فيها ميلًا، بخلاف الرجل، الرجل فيها استقامة، ما يستطيع يميلها، فإذن كلمة جناح هل وجدت أولا للطائر، ثم نقلت إلى الإنسان، ثم نقلت إلى الميل، ثم نقلت إلى الاسم في استعمالاتها، أو المعنى الكلي موجود أولا، ثم بعد ذلك هذا المعنى الكلي إذا وجد بعضه في هذه الذات، سميت جناحًا، فالإنسان يده جناح حقيقة، لا لأجل التشبيه بالطائر، ولكن لرجوعها إلى معنى الجناح في اللغة، والجنوح الذي هو الميل الذي لا ضابط له واضح؟ والجناح في الطائر أيضا؛ لأنه يميل، ويتحرك في أي جهة، فيصعد لأعلى، وينزل، . . . ، إلى آخر ما هو معروف، هذا مثال، فانتبه له، وهذا يخدمك كثيرا، يخدم طالب العلم في معرفة قوة مذهب السلف في مسائل الاعتقاد والغيبيات؛ لأنهم لم يدخلوا في التأويل لأصل هذه المسألة الخطيرة في اللغة، وهي: أن الذين تأولوا جعلوا أصول الكلمات راجعة إلى ذوات ومعينات، فجعلوها هي الأصل، وهي المعنى الأول، وجعلوا الصرف عنها إلى شيء آخر إنما هذا هو المجاز، فجعلوا

الوجه هو وجه الإنسان وجه المخلوق، وجعلوا الرجل هي رجل المخلوق، وجعلوا . . . ، إلى آخره، فلم يفهموا المعاني الكلية أصلا ، ثم تنطبق هذه الأشياء الموجودة في الخارج، ولهذا كثيرا ما يقرر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن المعاني الكلية إنما توجد في الذهن، وإنما يوجد في الخارج التخصيص والإضافة، هذا صحيح؛ لأن الأعيان هي الموجودة في الخارج أما الأذهان، فهي التي توجد فيها المعاني الكلية المجردة، المعاني الكلية المجردة من أن تكون مضافة إلى معين، وهذه قضية مهمة جدا ، وأنا اهتممت بالكتاب الذي سيقرأ لترسيخ هذه المعاني؛ لأنها مما تميز بها علم السلف وأئمة السلف، ولم يرعه المتكلمون، أو الذين لم يحققوا في أبواب اللغات وخاصة اللسان العربي، فوقع خلل في فهم الشريعة، ووقع خلل في تفسير القرآن، ووقع خلل في تفسير السنة، وخاصة في الأمور الغيبية، أما لو أنها غير الأمور الغيبية، فالمسألة تكون أهون، يكون ما بين صواب وغلط، لكن في الأمور الغيبية، أصلوا أصولا في اللغة، ثم بنوا عليها النظر في العقائد والأمور الغيبية، فأخطؤوا خطأً كبيرًا . [**شرح مفردات القرآن للأصفهاني**].

فائدة في معنى الإتيان

قال: الإتيان هنا: مجيء بسهولة، يعني: أتى وجاء ليست بمعنى واحد، بل أتى معناها: جاء مع زيادة وصف، وهو السهولة، واليسر، والرسل، . . . ، إلى آخره، بحسب اختلاف العلماء في التعبير، وهذا يهم طالب العلم في تفسير القرآن؛ فإن تفسير الآية، تفسير اللفظ بلفظ آخر يكون على جهة التقرير على جهة التحديد، يعني: على جهة الإيضاح لا على جهة المرادفة؛

لأن لغة العرب ليس فيها ترادف، وليس فيها أيضا قانون بأن هذه الكلمة معناها هذه الكلمة بحذافيرها، بل إنما هذا للتقريب وللتفهيم، أما في الحقيقة، فكل لفظ في هذا اللسان الشريف - لسان العرب - كل لفظ له دلالة تختلف عن دلالة الآخر، قد تشترك معها في الأصل، لكن يكون بين اللفظ واللفظ فروق تميز هذا عن ذاك.

هذا مثال أن الإتيان مجيء بسهولة، ومن خصائص اللسان أن اللفظ إذا كان يحمل معنى السهولة أو الخفاء، فإن تكوين الأحرف من حيث خروجها وهمسها، واستعلائها، واستفالها تكون أرق، لذلك لاحظ لفظ (جاء) فيه قوة، لكن (أتى) فيه سهولة، وهذا كثير في اللغة في الألفاظ المتشابهة، متشابهة المعنى، فإنه في الغالب الكثير أنه إذا كان المخرج فقط، واستعمال الحروف من حيث الاستعلاء والاستفال أخف، فإن المعنى يكون أخف.

يحضرني مثال من الأمثلة على ذلك، مثل: قرص، وقبص، لاحظ كلمة قرص، فيها رنتها أكثر من قبص؛ لأن الراء من حروف الاستعلاء، والباء أرق منها، القرص أعلى درجة من القبص.

خذ مثلا كلمة: (لكم، لكز، ووكز)، (لكم) هي الأشد، تلحظ من اللفظ أنها أشد، و(لكز) لما جاءت فيها الزاي صارت أخف من (لكم)، و(وكز) هي أخف من (لكز) أيضا في الدلالة، المقصود أن الواو أخف من اللام. [**شرح مفردات القرآن للأصفهاني**].

❀ ❀ ❀

الفرق بين الوهْن والوَهَن

س ٢٣٤ : ما الفرق بين (الوهْن) و(الوَهَن)؛ لأنّه يلاحظ أنّ كل العبارات مشكّلة بالفتح؟

الجواب: الّذي أعلمه أنّها من ضَرَبَ، ووَهَنَ، الفعل مفتوح، وأمّا المصدر، فساكن، وَهَنَ، يَهِن، وَهْنًا، مثل: ضَرَبَ، يَضْرِبُ، ضَرْبًا، واضح هذا؟

السائل: كيف وأنّها وَهَنًا؟

الشيخ: هذا يحتاج إلى بيان، قد يكون لها وجهان، لكن وهنًا مسموعة.

أمّا قول الله ﷻ: ﴿إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤] هذا فعل، وَهَنَ فِعل، ﴿إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ هذا الفعل، أمّا المصدر، فهو الوهْن. **[فتح المجيد شرح كتاب التوحيد]**.

معنى (واعزاه)

س ٢٣٥ : بعض الألفاظ يا شيخ عند الناس؛ مثل رجل أتاه خبر عن صديق له، فقال: واعزاه، أي: ليت ما حصل هذا الشيء، فما حكم هذا؟

الجواب: لا، هذه ما فيها شيء (يا عزائي) لا، هذه ما فيها شيء، التي يستعملها أهل نجد، يعني يا عزائي له، هذا معناه، لكن واعزتاه!! أنا ما أدري لماذا عزتاه، يعني عزته هو. . . ، إذا كان المقصود العزاء، فالعزاء يعني: تعزى له، وعزاء له. **[فتح المجيد شرح كتاب التوحيد]**.

الفرق بين التسمّي والتكنّي

س ٢٣٦ : ما الفرق بين التسمّي والتكنّي؟

الجواب: ما الفرق من جهة المعنى، هذا يحتاج إلى تأمّل، يعني: هو مسألة الجمع بينهما أنّها تسمّي، وتكنّي، ما هي بظاهرة، لكن هي من جهة المعنى، طيب (الحَكَم) هذا إذا صار أكبر العيال، وأبوه يقال له: أبو الحكم ما يصلح؟ هي من جهة المعنى، المعنى هذا سمّي بالحكم لأجل أنّه يحكم بين الناس، فيرضونه، لا لأجل أن ولده الكبير الحكم، لأنّه يحكم بين الناس، فيرضونه، ذكرت لك أنا ضابط المسألة في هذا، لكن الفرق بين التسمّي والتكنّي يحتاج إلى تأمّل، ننظر من قالها، أأحد قالها من أهل العلم المعتبرين؟ [**فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**].

العلاقة بين الكنه والحقيقة

س ٢٣٧ : هل هناك فرق بين الكنه، والحقيقة؟

الجواب: الكنه والماهية هذه ألفاظ محدثة، وهي في اللغة: الحقيقة؛ لأن الكنه هو: جواب، يعني: كنه الشيء هو: جواب سؤال: ما يكون؟ جواب (ما يكون؟): كنه، وجواب (ما هو؟): ماهية، و(ما هي؟) الجواب: الماهية، يعني: إذا قلت لك: ما البيع؟ فقلت: البيع كذا، وكذا، وكذا، ذكرت أركانه، فهذه هي ماهية البيع، وهو كنه البيع.

وهذه هي حقيقة الحقيقة في اللغة، فهناك ألفاظ أحدثت في الكنه والماهية وما أشبهها، هي بمعنى الحقيقة. **[فتح المجيد شرح كتاب التوحيد]**.

السلام مصدر للفعل سلَّم

س ٢٣٨: هل السلام اسم مصدر سلم؟

الجواب: اسم مصدر أنا ذكرت لك، لكن يمكن التصريف، ما ضبطه؟ أنا ذكرت لك أن فعّل يقاس المصدر منها على التفعيل، واسم المصدر منها على فعَال، طلّق طلاقا، يعني: تطليقا، سلّم سلاما، يعني: تسليما، يعني: لها نظائر كثيرة في التصريف. **[فتح المجيد شرح كتاب التوحيد]**.

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

تم بحمد الله ومنته المجلد الثامن: (التفسير وأصوله - اللغة والبلاغة)

من الأجوبة والبحوث والمدارسات